#### الجتماعية لمجلة القومية

يصدرها

المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

16 the thing 12 11 . 1 . 1 . . 1.

من مواد العدد :

المصرى المعاصر: مقاربة أمبيريقية الصحافة المصرية وفكرة انشاء جامعة مفتوحة المجتمع الأردني من خلال أغانيه المادية الجداية العنف في الأسرة : حالة ضرب الزوجة في مصر

مؤتمرات رسائل جامعية عرض كتب

( باللغة الانجليزية )

## الاحتماعية القدمية

يصدرها

المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية يريد الزمالك - القاهرة

رئيس التصرير

دكتور أحمد محمد خليفة

نانب رئيس التحرير

دكتور عزت حجازى

قواعد النشر

- ١ المجلة الاجتماعية القومية دورية ثلث سنوية (تصدر في يناير ومايو وسبتمبر) تهتم ينشر مواد في العلوم الاجتماعية .
  - ٢ بعتمد على رأى محكمين متخصصين في تحديد صلاحية المادة للنشر .
- ٣ تحتفظ المجلة بكافة حقوق النشر . ويلزم الحصول على موافقة كتابية من المركز قبل إعادة نشر مادة نشرت فيها .
- ٤ يحسن ألا يتجاوز حجم المقال ٢٥ صفحة كوارتو مسافة مزدوجة . ويقدم مع المقال ملخص بلغة غير التي كتب بها ، في حوالي صفحتين .
- ه يشار إلى الهوامش والمراجع في المتن بأرقام . وترد قائمتها في نهاية المقال ، لا في أسفل الصفحة .

#### ثمن العدد والاشتراك

- ثمن العدد الواحد (في مصر) جنيه واحد (وخمسة دولارات للفارج)
- قيمة الاشتراك السنوى (في مصر) جنيهان (وعشرة دولارات للخارج) .
  - وتكون المراسلات على العنوان التالى: المجلة الاجتماعية القومية ، نانب رئيس التحرير ،
- المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، بريد الزمالك ، القاهرة ، مصر .

بنابر ۱۹۸۹ العدد الأول برون 150

## المجلة الاجتماعية القومية

يناير ١٩٨٩

العدد الأول

المجلد السابس والعشرون

## محتويات العدد

1.	1 -	ti
-	-	l)

	أولا: دراسات وبحوث
	١ – المصرى المعاصر: مقاربة نظرية وامبيريقية لبعض
	أبعاد الشخصية القومية المصرية
٣	أحمد زايد
	٢ _ الجدل الفكرى في الصحافة المصرية إزاء فكرة انشاء
	جامعة مفتوحة في مصر
22	نجوى حسين خليل
	٣ - المجتمع الأريني من خلال أغانيه الشعبية
70	أحمد الربايعة
	٤ _ المادية الجدلية
1.5	ايراهيم العيسوى
	ثانيا : ندوات ومؤتمرات
	١ ــ دور الاستثمار الخاص في تحقيق أهداف خطط التنمية
177	أحلام السعدى ، حسنين كشك
	٢ - السياسة الخارجية المصرية في عالم متغير
124	حماد إبر اهيم حامد

# ثالثاً: رسائل جامعية

	١ – تدخين السجائر طويل المدى
175	هند سيد طه
	٢ ـ أنماط التفاعل بين النظم التقليدية والحديثة : دراسة
-	لبعض النظم الاجتماعية في المجتمع اليمني
۱۷۳	رشاد محمد العليمي
	٣ ـ بعض جوانب السلوك اللغوى لدى مرضى الفصام
1 7 9	جمعة سيد يوسف
	٤ - التمييز بين فئات من مرضى الصرع
119	سهير فهيم الغباشي
	ابعا : عرض كتب
	مصير القطاع العام في مصر
	تأليف فؤاد مرسى
147	عرض نقدى على فهمى
	امسا : مقال باللغة الاتجليزية
	العنف في الأسرة : حالة ضرب الزوجة في مصر
٧.٧	ملك زعلوك

در اسات وبحوث:

# المصرى المعاصر مقاربة نظرية وأمبيريقية المعض أبعاد الشفصية القومية المصرية (\*) احد زايد(\* \*)

### (١) المشكلة:

منذ أن بدأ الاهتمام العالمي بدراسات الطابع القومي للشخصية أثناء الحرب العالمية الثانية، والباحثون – الاجانب في البداية ومن بعدهم الباحثون المصريون – لا يكلون من تكوين افتراضات وانطباعات عن الشخصية القومية المصرية. بل أن الاهتمام بالسمات الثابتة في شخصية الانسان المصري قد ظهر قبل الحرب العالمية الثانية بكثير، وعلى وجه التحديد منذ كتاب بوصف مصر » الذي وضعه علماء الحملة الفرنسية . فقد وصف شابرول – الذي كتب المجلد الخاص بالعادات والتقاليد في هذا الكتاب – المصريين بأنهم متدنيون يتمسكون بالتراث ، خاملون ، ذوو ملامح جامدة ، يتسمون بالبلادة والكسل والتحمل ، ويقدسون الأولياء والموتي (أ). وفي عام ۱۹۳۸ وصف

المجلة الأجتماعية القرمية منابر ١٩٨٩

<sup>(★)</sup> المقال تلخيص لتقرير مفصل أعده الكاتب في بحث الموضوع نفسه أجراه في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في المدة من ١٩٨١ – ١٩٨٥ فريق بحث من الدكاترة والاساتذة صفوت فرج (مشرفا)، وعلى حسن فهني (باحثا أول)، والهام عفيفي، وكمال المنوفي، ولحمد زايد، وفيصل يونس، وسهير كامل، وسميحة نصر، وعمر بن الخطاب خليل (اعضاء). (\* ★ \*) بكتوراه في علم الاجتماع، استاذ علم الاجتماع المساعد، كلية الاداب، جامعة القاهرة،

هنرى عيروط المصريين بالقدرية والكسل واللامبالاة وعدم القدرة على تحمل المسئولية والاعتقاد في الخرافات وعدم القدرة على التفكير العلمى، وهكذا وضع المستشرقون اللبنات الأولى لرؤية في الشخصية المصرية ما نزال تؤثر على المفكرين والباحثين العلميين حتى يومنا هذا.

فبرغم أن الاسهامات المصرية في دراسة الشخصية المصرية قد ارتبطت متأثرة بالتراث العالمي الذي ادخل مفاهيم الشخصية القومية، والشخصية
الأساسية basic personality، والطابع القومي national character. إلى دائرة
الضوء منذ الحرب العالمية الثانية - نقول أنه بالرغم من أن الاسهامات
المصرية قد ارتبطت بالنهضة المصرية في ستينيات هذا القرن (عندما كان
الاهتمام بدراسة الشخصية القومية برتبط بقضية التنمية)، وبهزيمة ١٩٦٧
(عندما كان الاهتمام بدراسة الشخصية القومية نابعاً من البحث في اسباب
النكبة أو الدفاع عن التراث القومي)، إلا أن هذه الدراسات لم تستطع الفكاك
من الرؤية الاستشراقية القديمة (سواء في المنهج أو المحتوى). بل ان هذه
الدراسات قد فشلت في وضع ايديها على محددات ثابتة للشخصية المصرية.
فالاطروحات التي قدمتها تكشف عن قدر كبير من التضارب والتناقض.

- (1) فقد اكدت بعض الدراسات على علاقة المصرى بالعالم المقدس، أو عالم ما فوق الطبيعة. ومن ثم فقد وصف المصرى بانه أميل الى التدين واشد تعلقاً بالممارسات الطقوسية (٢)، وأن تفكيره يتسم بالتفكير الخرافي غير المنظور، على المنطق (٤)، وأنه يقيم علاقات وطيدة مع العالم غير المنظور، خاصة عالم الموتى، مع ما يصاحب هذه العلاقات من حزن أو ممارسات خاصة عظهر فيها الاختلاط بين الديانة الرسمية والديانة الشعبية (٥).
- (ب) واكدت دراسة أخرى على أن المصريين يجمعون السمات الاساسية للشخصية الفهلوية والتى تنحصر فى القدرة على التكيف السريع للمواقف المختلفة، والنكتة المواتية، والمبالغة فى تأكيد الذات، والنظرة الرومانسية، وايثار العمل الفردى على العمل الجماعى، والرغبة فى الوصول الى الهدف بأقصى الطرق<sup>(۱)</sup>.
- (ج) وركزت مجموعة من الدراسات ، صدرت في عدد خاص من مجلة الفكر المعاصر عام ١٩٦٩ ، على مجموعة من السمات المتفوقة المتأثرة تارة بالفكر

الاستشراقى ، والمتنتقاه تارة أخرى من دراسات التراث الشعبى المصرى . ومن ثم فقد وصف المصريون بأنهم يتميزون بالتصلب النسبى وعدم القدرة على التغير السريع، والتمسك بالأرض، والتدين الشديد، والقدرية، وتقلب المزاج بين الحزن المفرط والفكامة المفرطة (٢). كما وصف المصريون بالازدواجية التى تتبدى في جوانب عديدة كالتناقض بين الانشاء والاخبار، وبين القول والاعتقاد، وبين القول والعمل، وبين الداخل والخارج (^). كما ظهر – في هذه المجموعة من الدراسات – تأكيد على أن شخصية المصرى تتأرجح بين التواكلية والقدرية (٩).

(د) وفي مقابل كل هذه الدراسات ظهرت نوعية خاصة من الدراسات تدافع عن الشخصية المصرية ، وتهتم بدراسة شخصية مصر لا شخصية المصريين . ورغم أن هذه الدراسات لا تدخل في نطاق دراسات الشخصية القومية ، إلا اثرت على تلك الأخيرة تأثيرا ملحوظا . فهذه هي نعمات فؤاد تتتبع شخصية مصر منذ عهد الفراعنة ، وتتحدث عن شخصية مصر في الأديان والآداب والفنون الفرعونية وفي العهد المسيحي والعهد الاسلامي العربي ؛ في حديث تتحول فيه مصر الى كيان مجرد له صفة التعالى والمفارقة ، بل إلى معبود مقدس يندمج فيه القديم بالجديد، ويحقق لنفسه وحدة واستمراراً عبر التاريخ (۱۱) . وهذا هو جمال حمدان يقارب الشخصية المصرية من منظور جغرافي، فيتحدث عن موقع مصر وموضعها وطبيعة نيلها الفيضية، وتجانسها الطبيعي والعمراني والبشري، وتميزها الاستراتيجي، وكلها صفات يعتقد أنها تميز شخصية مصر الاقليمية التي تتسم بالوسطية والاعتدال والتحانس (۱۱).

والملاحظ على النتائج التى توصلت إليها هذه الدراسات انها متناقضة ، 
نتأدجم بين الدفاع تارة والنقد تارة اخرى، وتركز على خصائص للشخصية 
المصرية قد تبدو متناقضة. وعلى سبيل المثال، فإن السمات الأساسية 
للشخصية الفهلوية قد تتناقض مع سمات أخرى كالقدرية والتواكل والاعتماد 
على العالم الغيبي. ومن ناحية أخرى، فإن معظم هذه الدراسات لم تستطع 
أن تتجاوز الاطروحات الاستشراقية (التي تكونت من خلال انطباعات شخصية 
عن الانسان المصرى، ولم تتكون من خلال دراسات موضوعية ). ويصدق ذلك 
بصفة خاصة على الدراسات التي ركزت على الاعتقاد في الخرافات والقدرية

والتدين.. الن هذه السمات التى ترددت كثيرا فى أعمال المستشرقين. وفضلاً عن ذلك فإن أيا من هذه الدراسات لم تعتمد على دراسات امبيريقية تقدم لنا مادة صادقة ودقيقة عن الانسان المصرى. ولكل هذه الأسباب، فإننا قد نصادف اشكالا كثيرة من التناقض بين التفسيرات التى تطرحها هذه الدراسات وبين الواقع، فضلا عن التناقض الكامن بينها فى الاساس.

ومن هنا ظهرت مشكلة هذه الدراسة، والتي تنحصر في الاجابة على سؤال بسيط: ألا يمكن أن نخضع بعض الاطروحات التي ظهرت حول الشخصية القومية المصرية، والتي أصبحت شائعة ومقبولة، الا يمكن اخضاع هذه الاطروحات للاختبار الامبيريقي، بحيث نستطيع أن نتحدث عن الطابع القومي للشخصية مع قدر من الثقة بصدق ما نقول؟ ومن هنا يتحدد هدف بحثنا هذا بأنه استطلاعي يحاول كشف الغموض الذي يكتنف بعض التفسيرات التي طرحت حول الشخصية المصرية. ومع تحديد الهدف على هذا النحو، فإن بحثاً يتناول هذه القضية الهامة لا بد أن ينطلق من أطار نظري ملائم، خاصة وأن معظم الدراسات السابقة لم تركن إلى مثل هذا الاطار النظري. فقد ركنت معظم الدراسات إلى التفسيرات الثقافية المتداولة، ومن ثم فقد أغفلت الجوانب البنائية الواسعة النطاق التي من المتوقع أن تؤثر على المصرية في الفترات التاريخية المختلفة، دون اعتبار لتأثير البنية الاجتماعية وخصوصيتها في كل مرحلة تاريخية.

## (٢) الاطار النظرى والفروض:

حظيت دراسات الشخصية القومية باهتمام نظم علمية مختلفة، يأتى على راسها الانثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع، وبالرغم من اختلاف المداخل النظرية النابعة من هذه العلوم، إلا أن القاسم المشترك بينها جميعاً هو محاولة البحث عن شيء ما عام ومشترك داخل الثقافة أو البناء الاجتماعي، وما هذا الشيء العام والمشترك الا السمات العامة للشخصية القومية. وخلال الجهود النظرية لمحاولة الكشف عن السمات العامة لشعب من السعوب، ظهرت مفهومات متعددة، كان أولها مفهوم الشخصية الاساسية لمحاولة الكشف على المدورة الذي طوره ابراهام كاردنر A. Kardiner ورالف لينتون

R. Linton, ويقوم هذا المفهوم على افتراض أن معايير الشخصية تختلف من مجتمع إلى آخر. حيث يشترك أعضاء كل مجتمع في قائمة طويلة من عناصر الشخصية، الأمر الذي يجعلهم يستجيبون للمواقف المختلفة بطريقة واحدة. وتشكل هذه السمات المشتركة الشخصية الاساسية التي تمد «اعضاء المجتمع بقيم ومفاهيم مشتركة، وتؤدى إلى اثارة رد فعل انفعالي موحد فيهم، تجاه حالات تمس قيمهم المشتركة، (١١). وبنفس الطريقة ظهر مفهوم الشخصية المنوالية المنوالية woodal personality والفرق بين هذا المفهوم ومفهوم الشخصية الإساسية، أن هذا الاخير يعتمد على فهم احصائي للشخصية القومية، وهو يشير الى السمات التي تتمتع بأعلى توزيع تكراري داخل مجتمع معين. ولذلك فإن الكشف عن الشخصية المنوالية لا يمكن أن يتم من خلال التقارير الاثنوجرافية أو الملاحظات الميدانية، وإنما لا بد أن يتمد على دراسة عينات الاثنوجرافية أو الملاحظات الميدانية، وإنما لا بد أن يعتمد على دراسة عينات أنماط السلوك في هذه العينات (١٠٠). وهكذا فإذا كان مفهوم الشخصية المنوالية الحبانب الكمي لها(١٤٠).

وإذا كان مفهرما الشخصية الاساسية والشخصية المنوالية قد ظهرا من تعاون بين علماء الانثروبولوجيا وعلماء النفس، فإن مفهوم الطابع الاجتماعي قد ظهر من خلال تطوير للأفكار الفرويدية. والذي طور هذا المفهوم هو ايرك فروم، ليعبر به عن شخصية المجتمع الذي يشترك غالبية أفراده في ثقافة واحدة. فقد ذهب إلى أن الظروف الاجتماعية، أو شروط الوجود الاجتماعي، هي التي تشكل الشخصية. وإذا كان لكل مجتمع وجوده الخاص وبناؤه النوعي، فإن لكل مجتمع طابعه الاجتماعي الذي يعمل على تشكيل طاقات الافراد بطريقة لا تجعل سلوكهم متروكاً للقرارات الارادية الواعية. وبذلك يعمل الطابع الاجتماعي على تحقيق وظائف المجتمع كما تتوافق مع الطابع الاجتماعي، فإن ذلك يؤدي إلى حدوث هوة بين الطابع الاجتماعي وهذه الظروف المتغيرة، الأمر الذي يجعل الطابع الاجتماعي يعمل الطبع الاجتماعي عمل تشيت "أك. وتكمن أهمية مفهوم الطابع كعامل تفكيك وليس كعامل تثبيت" . وتكمن أهمية العوامل التاريخية كعامل المحتماعي بهذه الصياغة في أنه يلفت الانتباه الى أهمية العوامل التاريخية

والبنائية في تشكيل بنية الشخصية، تلك القضية التي كانت موضوعا أساسيًا لا في أعمال ايرك فروم فحسب وانما في كل أعمال أنصار مدرسة فرانكفورت. من أمثال تيودور أدورنو وهوركهايمر وهربرت ماركيوز.

ويتضع مما سبق أن دراسات الشخصية القومية قد نجحت في بلورة العديد من المفاهيم أحداث وبرغم اقتراب هذه المفاهيم أحيانا وبعدها أخرى عن مفهوم الطابع القومى للشخصية ، ألا أن هذا الاخير هو المفهوم الأكثر شيوعاً. وهو يشير إلى اوصف الخصائص الثابتة للشخصية وأساليب الحياة المتميزة التي توجد لدى سكان دولة قومية معينة». وتميل دراستنا هذه الى إستخدام هذا التعريف، ولكنها تضعه في سياق بنائي أشمل، مستفيدة بذلك من الاطار النظرى الذى طرحه ايرك فروم حول مفهوم الطابع الاجتماعي، ورالف لينتون حول مفهوم الشخصية المنوالية، دون التزام مسبق بالابستيمولوجيا التي التزم بها هذا أو ذاك (١٨). فنحن بحاجة الى أن نربط مفهوم الشخصية القومية (أو الطابع الاجتماعي) بالتكوين الاجتماعي بما فيه من أنماط انتاج وعلاقات طبقية وابنية ثقافية وايديولوجية.

ولقد لفت السيد يس – وهو بصدد تطوير وجهة نظر ايرك فروم – لفت الانتباه الى اهمية الربط بين الشخصية القومية ونمط الانتاج السائد هنمط الانتاج السائد في عصر ما، أو منطقة حضارية محددة (كنمط الانتاج الاقطاعي أو الرأسمالي أو الاشتراكي) من شأنه أن يشكل الشخصية الانسانية وفق خطوط متميزة (١٩١٩) وفي ضوء ذلك يذهب الى أن الشخصية الانسانية تتسم في ظروف المجتمع الاقطاعي بثبات التفكير وغلبة الجمود والتحجر على العادات الاجتماعية، والقيم الاخلاقية، وتقديس الماضي، وشيوع التزمت العادات الاجتماعية، والقيم الاخلاقية، وتقديس الماضي، وشيوع التزمت أما النمط الرأسمالي فإنه يضفي على الشخصية سمات مختلفة مثل التفاؤل والاعتداد بالنفس والايمان بالعمل، والاعتراف بالسيادة المطلقة للعقل (٢٠٠) وفي ظروف التعايش بين النمطين – كما هو الحال في المجتمعات العربية كما يذهب السيد يس – تكشف الشخصية عن سمات مشتركة مستمدة من الماضي والحاضر (أي من النمط الاقطاعي والنمط الراسمالي).

ونحن أميل إلى قبول وجهة النظر هذه مع نقدها وتطويرها. فالقول بارتباط الشخصية بنمط الانتاج قول لا يمكن رفضه، ولكن إذا ما تأملنا السمات التي يحددها السيد يس للشخصية العربية في ضوء مبدأ التعايش بين انماط الانتاج نجد أنها لا تخرجنا من دائرة التفكير الاستشراقي (الذي بؤكد على تعايش الصفات المتناقضة في ضوء ظروف التحول) كما أن الشخصية لا تتأثر ينمط الانتاج وحده، وإنما توجد قلب تكوين اجتماعي بحوى أنماط أنتاج وعلاقات طبقية وايديولوجيات وأطرا ثقافية. ولعلنا نجد في الصياغة التي طورها تشارلز رايت ميلز وهانز جيرث في كتابهما الشهير عن «الطابع والبناء الاجتماعي» ما يدعم هذا الموقف النقدي. لقد ذهبا الى أن بنية الشخصية لا تتحدد من خلال المؤثرات الاقتصادية فحسب، بل يتحدد في ضوء مكونات البناء الاجتماعي ككل بما فيه من نظم عسكرية وسياسية ودبنية وقرابية (٢١). فالعلاقات المعقدة للبناء الاجتماعي هي التي تحدد طبيعة الادوار التي يقوم بها الافراد، ومن ثم طبيعة أنماط شخصياتهم. أن هذه المقولة تمكننا من أن نفهم الشخصية في سياقها التاريخي، بمعنى مجموعة الآثار والتراكمات التاريخية التي شكلت ظروفا بنائية معينة تطبع بدورها الشخصية بطايع معين،

فلا يكفى أن نحدد طبيعة نمط أو أنماط الانتاج السائدة، ونقول أن هذا النمط أو هذه الانماط تحدد سمات الشخصية القومية. أننا بحاجة إلى أن نلقى نظرة على تركيب البنية الاجتماعية، بعناصرها المادية واللامادية، وطبيعة الظروف التاريخية التي توجد فيها هذه البنية أو وجدت فيها من قبل، وتأثير ذلك على التناقضات الداخلية للبنية الاجتماعية. ومن هذه النقطة نستطيع أن ننتقل من المفهوم البنائي العام إلى المفهوم الخاص للشخصية، حيث تكون مهمة دراسة الطابع الاجتماعي العام هي الاجابة على السؤال التالى: إلى أي مدى تلقى البنية الاجتماعية، بما فيها من مظاهر اتساق أو تناقض (خلقتها ظروف تاريخية خاصة)، بظلالها على النمط العام الشخصية. ومن هذا المنطلق يتحدد الاطار النظري لهذا البحث، ومنه تنبع افتات أن

ونفصل الحديث عن اطارنا النظرى على النحو التالى:(٢٢)

١ - ان فهما للبناء الاجتماعى فى المجتمع المحيطى الخاضع لنظام بنية
 رأسمالية عالمية يجب أن ينطلق من خصوصية التطور فى هذا المجتمع.

٢ - والخاصية الجوهرية في تطور البنية الاجتماعية في المجتمع المصرى أنها خضعت في تطورها لمؤثرات عديدة (خارجية وداخلية) جعلت التطور فيها بتسم بعدم التساوق.

٣ - ونعنى بعدم التساوق فى التطور العملية التى بمقتضاها يشهد البناء الاجتماعى عمليات مستمرة من «الإضافات المصطنعة» تؤدى فى النهاية إلى أن تأخذ البنية شكلاً تعددياً، لا يقوم على الاتساق والاتفاق العام بين العناصر المتعددة وإنما يقوم على «تداخل عناصر مع عناصر آخرى» وتجاور عناصر مع عناصر آخرى، وتفوق عناصر على عناصر آخرى، وتناقض عناصر مع عناصر آخرى،").

٤ - يؤدى ذلك إلى أشكال من التعدد والتعفصل عبر كل مستويات البناء الإجتماعي، بدءاً من تعدد وتداخل انماط الانتاج، وتعدد وتداخل التركيبات الطبقية إلى تعدد وتداخل الأطر الثقافية، وتعدد وتداخل التوجهات الايديولوجية. ويؤدى تداخل وتعدد كل هذه المكونات وعدم اتساق مكوناتها الداخلية الى أشكال من التناقض عبر المستويين العام والخاص.

٥ – فعلى المستوى العام يقرز هذا الشكل الخاص من التطور اشكالاً من التناقض بين العناصر المكونة لكل نظام من نظم المجتمع، فضلاً عن التناقض بين مستويات التطور في كل نظام على حده (كالتناقض بين مستوى التطور في الاقتصادية اشد في الاقتصاد ومستوى التطور في الثقافة ، حيث تكون العناصر الاقتصادية اشد تخلفاً وتكون العناصر الثقافية – خاصة الحديثة منها – اكثر تضخماً) وكذلك التناقض بين الانتماءات الطبقية والمواقف الايديولوجية، والتناقض بين الوحدات الاساسية المكونة للعناء الاحتماعي ... الخ.

٦ - اما على المستوى الفاص، فإن هذه التناقضات تفرز تناقضات في بنية الشخصية بحيث تظهر فيها اردواجية واضحة تتجلى في تناقض الفعل الاجتماعي وعدم اتساقه، بحيث يصبح غامضا ومتقلباً ومتغيرا عبر مواقف الحياة الاجتماعي بحيث يكون من الصعوبة بمكان التنبؤ بمجراه. وما دام التناقض الذي نتحدث عنه هو تناقض في بنية الفعل، فإن ذلك يعنى أيضا أنه يتبدى في كل مكونات الفعل الاجتماعي (الاهداف والوسائل والقيم الموجهة)

٧ - فإذا كان الفعل الاجتماعى يعرف على أنه سلوك إجتماعى (بمعنى أنه يتجه نحو التفاعل مع آخر في موقف تفاعل) له هدف ووسيلة، ويظهر في موقف إجتماعى، وتوجهه قيمة أو معيار ثقافى، فإن التناقض يمكن أن يظهر في كل هذه المكونات. فتتناقض الساليب السلوك المختلفة، وتتناقض الاهداف بحيث يسعى الفرد نحو تحقيق أهداف متعددة قد تكون متعاندة في الكثير من الاحيان، وتتناقض وسائل تحقيق الاهداف، كما تتناقض الأطر المعيارية التي توجه الفعل. وهكذا نجد أن الفوضى والتضارب والتشتت الضاربة بجذورها في الهبئاء الاجتماعي تشع على بناء الشخصية، فتبدو قلقة، غير متسقة، لا ترسو على بر، ولا تسعى نحو الاتفاق العام بقدر ما تسعى نحو تحقيق الذات الفردية.

 $\tilde{\Lambda}$  - تبدو الشخصية هنا وكانها عالم متغير يموج بالتناقضات، مثلها مثل البنية الاجتماعية التى تشكلها. بل ان كثيراً من مظاهر التشوه والتضخم فى البنية يتم نقلها وصورة مصغرة البنية يتم نقلها  $\tilde{\Lambda}$ 

لما يحدث على المستوى العام.

٩ - من المتوقع فى هذه الظروف أن يتشكل الطابع الاجتماعى أو الطابع القومى للشخصية من تكرار خصائص على هذا المستوى المصغر بحيث يعكس هذا الطابع الاجتماعى خصائص البناء الاجتماعى الذى يتشكل داخله، مع الأخذ فى الاعتبار أمكانية التنوع داخل هذا الطابع الاجتماعى عبر مستويات مختلفة كمستوى الريف والحضر ومستوى التباين الطبقى.

١٠ - ثمة احتراز أخير برتبط بدرجة التغاير المستمر الذي يعترى البناء الاجتماعي. فسمات الطابع القومي ليست على هذه الدرجة من الثبات والاستقرار. فهي عرضة لتغيرات طالما أنها غير مستقرة، تستدمج دائما عناصر جديدة، بحيث تبدو معظم سماتها سطحية. هذا فضلا عن أن السمات التي تشكل الطابع الاجتماعي العام يمكن أن تستقر أو تبدأ في الاستقرار إذا ما حقق البناء الاجتماعي درجة عالية من الاتساق والاستقرار، ولكنها تبدأ من جديد في التناقض والتشتت كلما اتسم البناء الاجتماعي بالتعددية والتناقض. ويتبح لنا دلك إمكانية التعرف على مدى تنوع الطابع الاجتماعي بتنوع الفترات التاريخية، رغم إحتفاظه ببعض السمات العامة المشتركة في بتنوع الفترات.

كل الفترات ويمكن، في ضوء هذا الاطار العام، أن نفهم بعض الخصائص التي يتسم بها الانسان المصرى المعاصر، وذلك في ضوء الافتراضات التالية . . . .  1 - من المتوقع أن يكشف نمط الشخصية القومية عن خصائص متناقضة تجمع بين عناصر قديمة وعناصر جديدة في تشكيل واحد.

 ب – من المتوقع أن تكشف الشخصية القومية عن ضرب من الازدواجية تتبدى في مستويات مختلفة من السلوك.

جـ - مى ضوء ما سبق، لا تبدو خصائص كالتواكيلة والقدرية والفكاهة - وهى خصائص أضفيت على الانسان المصرى - كخصائص عامة مجردة وثابتة، وإنما هى خصائص متغيرة، تفهم فقط فى ضوء الوظيفة التى تؤديها فى الحياة اليومية لانسان يعيش وسط كم هائل من التناقضات والمصاعب والهموم اليومية تفرضها عليه ظروف البنية الميحيطية التابعة التى يتحرك داخلها ويقيم لنفسه فيها معاشاً.

## ٣ - المنهج:

بالرغم من تنوع المناحى المنهجية التى تستخدم فى دراسة الشخصية القومية، إلا أن هناك اتفاقاً على أن الاساس المنهجى الذى ترتكز اليه دراسات الشخصية القومية يعتمد على دربط اشكال خاصة من السلوك الذى يمكن مشاهدته (السلوك الخارجي) الذى يميز شعباً من الشعوب بالتوزيع النسبى للمكونات البنائية للشخصية. ويفترض أن هذه العلاقة تعد سببا جزئيا لأوجه الاختلاف أو التشابه فى السلوك بين الجماعات المختلفة، (٢٤) ويدل هذا النص على أنه رغم اختلاف المناحى المنهجية إلا أن الخصائص النفسية الاجتماعية لشخصية الشعب يجب أن تدرس من خلال مؤشرات خارجية، على اختلاف نوعية هذه المؤشرات. ونعتقد أن المنحى المنهجى لهذه الدراسة يتفق مع هذا المنحى المنهجى العام، حيث حاولنا أن نجمع بيانات من خلال أداة شبه مقننة (الاستبيان) عن بعض الخصائص وأساليب السلوك والاتجاهات التى يمكن قياسها، محاولين أن نكتشف مدى توزيعها النسبى بين عينة واسعة النطاق.

## ونقدم فيما يلي وصفا لأهم الاجراءات المنهجية في هذه الدراسة:

 أ -- اختيار الخصائص: لما كانت هذه الدراسة تسعى نحو اختبار بعض الخصائص التى أضفيت على الشخصية المصرية ، فقد كانت الخطوة المنهجية الأولى هى اختيار الخصائص التى ستركز عليها الدراسة. ولقد بدا الاختيار بقراءة كل الدراسات السابقة عن الشخصية المصرية، وحصر الخصائص التي تعالجها، وعقد لقاءات مع مفكرين وصحفيين ومؤرخين ورجال قانون وعلماء نفس واجتماع ومتخصصين في النقد الأدبى. ولقد أدى ذلك إلى تجميع عدد من الخصائص اختارت منها هيئة البحث الخصائص الأكثر تكراراً، وهي: الشك، والتدين، والعلاقة المعقدة بالسياسة، والتواكل، والصبر، والفكاهة والمرح، والتفكير الخرافي.

ب – أدوات البحث: لما كان الهدف الاساسي للدراسة هو محاولة الكشف عن مدى وجود هذه الخصائص، فقد كان من الضروري أن تتجه أداة البحث نحو تحقيق هذا الهدف، بحيث تكشف عن أهم الخصائص تكراراً في حياة الإنسان المصرى، ولذلك فقد كانت الإداة الرئيسية للبحث هي الاستنبان. ولكن تحديد الخصائص التي اشتمل عليها الاستبيان تطلب الاعتماد على المقابلة المتعمقة مع بعض المتخصصين والمثقفين على نحو ما ذكرنا قبل قليل. وبعد الانتهاء من هذه المقابلات، وكذلك بعد الانتهاء من قراءة التراث السابق، تم تصميم الاستبيان الذي اشتمل على ثلاثة وثمانين سؤالا ، بعضها مقنن والبعض الآخر غير مقنن (تم تقنينه بعد جمع المادة). وقد اندرجت أسئلة الاستبيان تحت تسعة بنود، فضلا عن الاسئلة الأولية الخاصة بالخلفية الاجتماعية للمحدثين. وهذه البنود هي: علاقة المصري بالآخرين، والمعرفة السياسية، والاتجاهات السياسية، والمشاركة السياسية، ومفهوم الصدر، والتدين، والفكاهة والمرح، والتوكل والتواكل، واسئلة متفرقة حول الثقة والتساهل والقدرية والتفكير الخرافي، وإجريت على الاستبيان بعد صباغته الأولية تجربة استطلاعية بهدف التعرف على جدوى الاسئلة، وملاءمتها لموضوع الدراسة، وتسلسلها المنطقي، وصباغتها اللفظية (خاصة فيما يتصلُ بالإيماء والتحيز والجاذبية الاجتماعية)، وأجريت التجرية الاستطلاعية على حوالي ٠٠٪ من العينة الاساسية (أي ١٨٠ حالة) أمكن مقابلة ١٦٥ منهم (أي بنسبة ٥ ر ١٦٪ من العينة). ولقد حققت التجرية الاستطلاعية أهدافها، وأضافت هدفاً جديداً يتصل بترتيب أسئلة الاستبيان في التجربة الاساسية (فقد استبعدت عناوين البنود، ورتبت الأسئلة بصرف النظر عن علاقتها بالبنود، بحيث لم يترك للباحث ولا المبحوث أن يحتفظ في ذهنه بتوجه معين يتصل ببند معین). 1 1

ج - العينة: صممت عينة الدراسة بحيث تتوافر فيها شروط التمثيل الكامل للجمهورية ، وكذلك تمثيل السكان بمستوياتهم التعليمية وسنهم ونوعهم ومحل اقامتهم (ريف أو حضر). وقد اختيرت مفردات العينة من العينة الدائمة لجهاز قياس الرأى العام بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، التي سحبت من التعداد العام للسكان عام ١٩٧١ ، ولقد قام الجهاز بسحب هذه العينة وضبط بياناتها عام ١٩٨١ ، وقد سحبت العينة بطريقة عشوائية، بحيث مثلت كل محافظة ١٣٥ مفردة، فيما عدا القاهرة الكبرى التي مثلت ب ٢٠٠ مفردة نظراً لكبر حجمها نسبيا. وقد بلغ حجم العينة المختارة ١٣٤٠ مفردة، تم مقابلة ٩٠٠ منها. ولذلك فإن التحليل الذي سيقدم في هذا البحث ينصب على هذا العدد.

 د – أساليب التحليل والتفسير: ثم تحليل البيانات تحليلاً احصائيا بوحدة الاحصاء بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية. وتم استخراج جداول بسيطة ومركبة. وجرى تحليل البيانات الكمية وفقا لبعدين أساسيين:

البعد الجزئى: حيث اتجه التفسير نحو ابراز الفروق على المتغيرات الاساسية التي اعتمدتها الدراسة، وهي الاقامة والنوع والتعليم والسن.

البعد الكلى: حيث وضعت البيانات فى سياق نظرى بنائى شامل يلم شتاتها ويكسبها قدراً من الترابط. ولذلك فقد أبرز التحليل بعض المتغيرات البنائية والثقافية التى يمكن أن تفسر وجود أو عدم وجود سمة من السمات.

#### ٤ - النتائج :

لن نفيض هنا في عرض البيانات الكمية (التي يمكن الرجوع اليها في التقرير النهائي للبحث)؛ وحسبنا أن نلخص أهم النتائج المتصلة بالخصائص التي اكدت الدراسة عليها، وسوف نعرض الخصائص التي تم التاكيد عليها في ضوء الاطار النظري للبحث وفروضه الموجهة، ونثير في ضوء الاطار النظري والفروض مجموعة من التساؤلات: إلى أي مدى كشفت المادة عن وجود تناقض وأزدواجية في حياة المصريين؟ وما هي أهم الخصائص الاخرى التي يمكن أن تنبثق من تحليل المادة؟ والى أي مدى ترتبط هذه الخصائص بالاطار البنائي العام الذي يتفاعل داخله الانسان المصرى؟ ومن الخصائص التي أي مدى يمكن اعادة تفسير الخصائص التي أضيفت على الانسان

المصرى؟ ومن ثم إلى أى مدى يمكن إعادة تفسير الخصائص التى أضفيت على الانسان المصرى في ضوء هذا الاطار النظرى؟ وهل هذاك خصائص جديدة اكد عليها التحليل ولم يوصف بها المصريون من قبل ؟ وما مدى عمق ... كل خاصية من هذه الخصائص في حياة المصرى؟

وللإجابة على هذه الأسئلة لابد من عرض نتائج البحث، من خلال تحديد مجموعة الخصائص التي كانت أكثر بروزا في استجابات عينة الدراسة على اداة البحث الرئيسية، ومحاولة تقديم تفسير لها في ضوء الاطار النظري للبحث. وبهذه الطريقة سوف نكتشف أن بعض الخصائص التي أكدت الدراسات السابقة عليها ليست هي بالضرورة السمات اللصيقة بالانسان المصري، وهي إن وجدت فإنها تفسر في ثوب جديد. كما أننا سوف نكتشف وجود بعض الخصائص التي لم تظهر في الدراسات السابقة ولكنها تجلت لنا واضحة من خلال المادة الكمية التي اعتمد عليها هذا البحث.

### ١ - التناقض والازدواجية:

كشفت المادة الامبيريقية عن أن سمة التناقض والازدواجية من أبرز السمات التى تسم سلوك الانسان المصرى المعاصر . ونقصد بالتناقض والازدواجية وجود أشكال متعارضة من السلوك أو الاتجاهات أو القيم يمكن أن تفهم في أن تفهم في المنائيا ، ومن هنا كان مفهوم الازدواجية ، ويمكن أن تفهم في ضوء تعارضها أو تعاندها ، ومن هنا كان مفهوم التناقض و نشير فيما يلى إلى بعض أشكال التناقض والازدواجية التي كشفت عنها المادة الامبيريقية التى اعتمد عليها هذا البحث.

(أ) التناقض بين الأحكام المثالية والسلوك العملى الذى يرتبط بتحقيق أهداف معينة. ويتصل هذا المستوى من التناقض بمعايير التقويم الموجهة نحو الآخر ونحو الآنا. فالمصرى عندما يصدر أحكاما بشأن الآخرين نجده يصدر هذه الأحكام في ضوء معايير اخلاقية بحتة، ولكنه لا يميل الى تطبيق نفس المعايير في تقويم سلوكه هو، حيث نجد أن تقويم سلوك الآنا لا يخضع لمعايير اخلاقية بقدر ما يخضع لمعايير عملية. ولقد اتضح ذلك من خلال الأحكام التى يطلقها المصرى على الأشخاص الذين يفضل التعامل معهم. أنه هنا يصدر أحكاما اخلاقية، فيؤكد أنه يميل الى التعامل مع الأفراد الأحسن

اخلاقاً والأميل الى التدين. ولكنه عندما يوضع في موقف تفاعل حقيقي، فإنه لا يركن كثيرا الى الأحكام الاخلاقية، وحتى الى الدين. بل يتصرف في ضوء لا يركن كثيرا الى الأحكام الاخلاقية، وحتى الى الدين. بل يتصرف في الالحاح على مسائل الاخلاق. ويدعونا ذلك الى التأمل في مستوى الاجلاق التى تحكم سلوك المصرى في الحياة اليومية في مقارنتها بالمثل العليا التي يرددها.

(ب) وتتبدى الازدواجية بشكل واضح فى التناقض بين العالم الخاص والعالم الغام. فللمصرى عالمه الخاص الذى يتكون من الأهل والأصدقاء، يثق بهم ويطمئن اليهم، ولكنه عندما يخرج الى العالم العام، فإنه يتعامل معه بحذر شديد، وكأنه عالم غريب مجهول يجب التعامل معه بشك وتوجس.

(جـ) ومن جوانب الازدواجية والتناقض التى كشف هذا البحث النقاب عنها التعارض بين النظرة النقدية وتبرير المواقف التي قد يتناولها نفس النقد. فشخصية المصرى تتارجح بين ثنائية النقد – التبرير. حيث نجده ناقداً لكل شيء: للحكومة ولسلوك الآخرين، بحيث يبدو الأمر في بعض الأحيان وكان كل فاعل يعتقد أن سلوكه هو الصواب فحسب وكل ما عداه منتقد (فهو غير صواب). ولكن هذا الفاعل عندما يواجه بعض المواقف التي تثير قوارص النقد مواجهة عملية يجد لها تبريراً، وهو عندما يفشل في تحديد تبرير موضوعي لها، يضع تبريره في سياق عام مطاط، كالقول مثلاً بأن كل انسان معرض للخطأ، أو أن الناس جميعاً يفعلون هذا.

(د) ازدواجية القول والفعل، حيث كشفت البيانات المتصلة بالاتجاهات السياسية خاصة أن المصرى يكون أنماطا جامدة من الاتجاهات، كالقول مثلاً بأن الشخص لا يجب أن يطبع السلطة طاعة عمياء، ولكن سلوكه الفعلى يكشف عن مخالفة لهذه الانماط الجامدة من الاتجاهات. فهذا السلوك لا يكشف الا عن طاعة عمياء، حيث يصل التمرد على السلطة في الكثير من الأحيان إلى حدوده الدنيا. فهو لا يتعدى النقد الذي يوجه السلطة الحاكمة (اينما وجدت) من وراء ظهرها.

ويمكن تفسير اشكال التناقض والازدواجية هذه في ضوء السياق البنائي الذي يحيط بعالم الحياة عند الانسان المصرى. ويبدو أن هذه سمات عامة يمكن أن توجد في أي بنية إجتماعية لها نفس ظروف البنية الاجتماعية في مصر. ولعل السمة البارزة لهذه البنية أنها مليئة هي نفسها بأشكال من التناقضات الاقتصادية والطبقية والثقافية، ومن المتوقع في هذه الحالة أن تفرز أشكالاً متناقضة من السلوك، وأنماطا من الشخصية تعانى من الازدواجية.

على أن هذا التحليل لايجب أن يترك عند هذا المستوى، لكي لابيدو ميكانيكياً . فلاشك أن أشكال الازدواجية هذه تبدو أكثر وضوحا لدى فئات إجتماعية دون فئات أخرى، وهي تسجل أعلى معدل لها في ظروف تاريخية خاصة. فمن ناحية نجد أن مظاهر التناقض والازدواجية أبرز عند الشرائح الطبقية الوسطى، فهذه الشرائح هي أكثر فئات المجتمع تعرضا لتناقضاته الداخلية، ومن ثم فهي أكثر من غيرها تعبيراً عن الازدواجية والتناقض (ولعل نلك يفسر لنا المواقف السياسية المتناقضة للشرائح الوسطى والميل الى تغيير هذه المواقف السياسية وفقاً لتغير الظروف). كما أن مظاهر التناقض والازدواجية تبدو أظهر عند الشرائح المتعلمة منها عند الاميين، وخاصة أصحاب التعليم الأولى أو المتوسط. فالتعليم غير الكامل وغير المتعمق ينزع الفرد من جذوره الاجتماعية ولكنه لا يحقق له حياة تبعده كثيراً عن هذه الجذور، ويؤدي به ذلك إلى أن تتنازعه قوى مختلفة واتحاهات متصارعة، وتتبدى منه الازدواجية في أوضح صورها . ويمكن بناء على هذا التحليل أن نفترض أن الازدواجية والتناقض يزدادان في شخصية الفرد كلما ازداد انفتاحه على العالم (واكتسب قدراً من الحداثة) بطريقة مشوهة. ولذلك فسوف يكرن الشخص الأمى الذي يرتبط بعالم محدود أكثر اتساقا وسوية في بنية شخصيته من الفرد الذي تعلم أو خرج من هذا النطاق المحدود أو خبر كلا هذين الموقفين في ضوء ظروف تغير مجتمعية خاصة (أي تغير غير متسق يقدم الى الناس ثقافة حديثة ذات طابع بدائي متضخم).

ومن الناحية الاخرى فإن الازدواجية تزداد في عمقها ومدى انتشارها في الفترات التي تتضاعف فيها تناقضات البنية الاجتماعية، وتبدأ في الانحسار أو تقل في مدى عمقها وانتشارها عندما تحقق البنية الاجتماعية قدرا من الاتساق والاتفاق العام. ويمكننا وفقا لهذه الفرضية العامة أن نحلل تناقضات الشخصية في فترات تاريخية مختلفة. يمكننا مثلا أن نكشف مدى عمق تناقضات الشخصية المصرية في فترة الستينيات التي حققت فيها البنية الاجتماعية قدرا من الاستقلال النسبي عن مؤثرات النظام

الراسمالي، وحققت بالتالى قدراً من الاستقرار والاتفاق العام. وأن نكتشف أيضا كيف زادت هذه التناقضات وتضاعفت في فترة الانفتاح الاقتصادي في السبعينيات والثمانينيات، بفعل الاندماج الكامل للبنية الاجتماعية في السوق الراسمالي، وما فرضه ذلك من ضغوط اقتصادية على الشرائح الوسطى والفقيرة في المجتمع. حقيقة أننا لا نمتلك مادة أمبيريقية تعالج بناء الشخصية في فترة الستينيات، ولكن المادة التي اعتمد عليها هذا البحث قد جمعت في عصر ذروة الانفتاح الاقتصادي. وإذا كانت هذه المادة قد كشفت عن ضروب من التناقض عميقة في بناء شخصية الانسان المصري، فإن الأمر يدعونا الى أن نطرح الفرضية على النحو الذي صغناه بها تواً. والأمر متروك لم يديونا الى أن نظرح الفرضية على النحو الذي صغناه بها تواً. والأمر متروك لم والبحث. وحسبنا أن نؤكد هنا أهمية فهم التنوعات الداخلية في بناء الشخصية القومية دون أن نضفي على الانسان المصدي سمات عامة ومجردة وكأنه يولد بها أو هكذا وجد . ليس الأمر هكذا

#### ٢ -- الشك والتوجس:

أشارت بعض الدراسات إلى وجود سمة الشك في الغرباء والسلطة عند الإنسان المصرى. ولكن بحثنا قد اكد على أن هذه الخاصية – إن وجدت – فابنها لا توجد بنفس الطريقة التي أشارت إليها تلك الدراسات (أي كسمة أصيلة تخلقت من خلال علاقة القهر بين المصرى والسلطة) فتفسيرها بالنحو الذي تبدو عليه، لا بد وأن يضع في اعتباره متغيرات أوسع نطاقاً من علاقة المصرى بالسلطة.

وبادىء ذى بدء فقد أوضح هذا البحث إمكانية التفرقة بين مستويين من الشك.

الأول: يرتبط بالتوجس الذي يظهره المصرى كلما تفاعل مع الدوائر الأبعد من دائرة حياته الخاصة.

والثانى: يرتبط بالتعامل مع أجهزة الدولة من خلال موظفيها.

ولقد كشفت المادة الامبيريقية التي اعتمدت عليها هذه الدراسة عن أن المستوى الأول من الشك هو الأكثر شيوعاً وعمقاً في شخصية الانسان

المصرى. أما المستوى الثاني، فهو وأن كان أحدى السمات المحددة لعلاقة المصرى التاريخية بالسلطة، فإن المؤشرات تؤكد على أنه لم يعد موجوداً على النحو الذي كان عليه في الماضي. فقد أكدت البيانات على أن علاقة المصيري بالسلطة بجب أن تفهم على أنها علاقة معقدة يحكمها التباعد وليس التقارب، كما يحكمها الاستسلام والخضوع دون الاقتناع والتعاقد. ويبدى المصرى في ضوء هذا النمط من العلاقة قدراً من التناقض في اتجاهاته ومظاهر سلوكه تجاه السلطة. فهو يدرك مثلاً أن الدولة سلطة عليا يجب طاعتها ، ولا يتردد في التعبير عن ذلك صراحة . ولكنه ببطن - في ذات الوقت -تدرا من الانتقاد السلوكها يعبر عنه في صورة لفظية فقط، من خلف ظهر السلطة خاصة ممثليها الذين يناط بهم تنفيذ القانون. ولكن الأمر لا ينتهى عند هذا الحد، بل يتضاعف في تعقيداته عندما نجد البعض يتعلقون بذوى السلطة ويتخذونهم مثلاً عليا بالرغم من خضوعهم التام لهم، ونجدهم يتوحدون معهم ومع انماط شخصياتهم رغم شدة التسلط الذي يمارس عليهم. في هذا الموقف تتحول السلطة إلى قيمة في حد ذاتها، وتتحول الوظيفة الحكومية في عقلية الانسان المصرى إلى مصدر للسلطة مهما كان مستوى هذه الوظيفة. الوظيفة الحكومية هذا ليست دوراً يؤدى من خلاله المواطن خدمة الى أخبه المواطن، وإنما هي أقرب الى مفهوم الوضع المتميز الذي يرفع الفرد درجة عن الآخرين ويحقق له سلطة عليهم.

ولا شك أن هذه العلاقة المعقدة هي أحد مصادر السلوك المتوجس المتصل بالعوالم الخارجة عن دائرة العالم انخاص (نقصد المستوى الأول من الشك الذي أشرنا اليه قبل قليل). ولكن هذا المستوى من الشك ألصق بعوامل بنائية أخرى. ولعل طبيعة التركيب الطبقى في المجتمع من أقرب العوامل في تفسير هذا الضرب من السلوك. فالبناء الاجتماعي الذي يشهد في تطوره أشكالاً من عدم التساوق، يفرز تكوينا طبقيا غير متجانس تشكل كل شريحة منه عالماً خاصاً بها، ويصبح الحراك الاجتماعي صعباً خاصة بين الشرائح الطبقية المتمايزة اقتصاديا واجتماعياً. ومن هنا يظهر التفاعل والاتصال داخل الشريحة بشكل اكثف واعمق من التفاعل بين الشرائح. وفي ضوء هذا الموقف نجد الشخص الذي ينتمي الى الشرائح الدنيا قل جراة في التعامل مع الشرائح لابين على من الطقوس ما يضرب

حولها سياجاً بحد من بتعداه اشكالاً من الغطرسة في السلوك وأشكالاً من الاحتقار لكل من هو أدنى: ومن هذا يتحول العالم الخاص لكل فئة إلى عالم أكثر أمناً. وإذا وضعنا في إعتبارنا أن عملية التحديث البراني الذي أصاب البنية الاجتماعية لم تغير تماماً مفاهيم الارتباط بالاسرة والعائلة والاقليم، وفي ضوء ذلك، فلا البناء الطبقي يسمح بالتواصل، ولا التحديث أزال كلية العوامل الفاصلة بين الناس، ويفسر لنا ذلك لماذا كشفت الدراسة عن أن الفرد بكون اشد ثقة في أقاربه وابناء قريته أو مدينته ويحكم هذه الثقة اعتقاد مأن القريب أو الجار أو ابن البلد أفضل من الآخرين، الذين كثيراً ما يوصفون يأه صاف غير مرغوب فيها. بل أن الأمر قد يتعدى ذلك إلى الذاتية المفرطة، عندما نجد الفرد بلتف حول اسرته أو حول ذاته فقط. هذه الذات التي تتحول الى مركز للعالم، تشكل عالماً خاصاً هو أفضل عالم بالنسبة للفرد، وكل ما عداه زائف. ولذلك لا نجد غرابة في أن كل اسرة تعتبر أن ايناءها هم أفضل الابناء من حيث التربية والخلق، وإن كل فرد يتحدث عن نفسه يعيارات البطولة والمغامرات (التي تميزه عن الآخرين). وهذا يتحول كل فرد من وجهة نظره الى بطل في علاقات تخلو من البطولات الحقيقية. وتضيع في النهاية مقولة الوطن والمواطن. وتحتاج هذه النقطة الى مزيد من الاستقصاء والبحث. ٣ - التعلق بالإشخاص (الأفراد):

كشفت المادة الامبيريقية المتصلة بالثقافة السياسية والممارسات السياسية عن أن مستوى الثقافة السياسية للمصرى على درجة عالية من التدنى، كما كشفت عن أن الثقافة السياسية تنخفض بشدة عندما يتصل الأمر بالمؤسسات السياسية كلأحزاب والنقابات، وترتفع بشكل ملحوظ عندما يتصل الأمر بمعرفة الأفراد الأكثر بروزاً في الدوائر السياسية. حقيقة أن مستوى الثقافة السياسية المتصل بمعرفة بعض أسماء النخبة الحاكمة ليس كبيراً (فقد انخفضت النسبة فيما يتصل بمعرفة بعض الأشخاص الى أقل من بالمؤسسات السياسية. كما كشفت البيانات المتصلة بالسلوك السياسي عن أن بالمؤسسات السياسية. كما كشفت البيانات المتصلة بالسلوك السياسي عن أن ترجها حزبياً أو توجهاً سياسياً عاماً، بل يرتبط بتوجه سياسي واضح، سواء كان ترجها حزبياً أو توجهاً سياسياً عاماً، بل يرتبط بشخص معين يعرفه الناخب معرفة شخصية أو يقع تحت تأثيره السياسي أو حتى تحت سيطرته معرفة شخصية أو الاعلامية أو

ويدعونا ذلك إلى أن نطور فرضية تتصل بخاصية تبدو واضحة لدى الانسان المصرى - خاصة في سلوكه السياسي - هي أنه في ممارساته السياسية والاجتماعية يتعلق بالأشخاص وليس بالمؤسسات. هنا تصبح علاقة الشللية والعلاقات القائمة على المعرفة الشخصية أو الاقليمية أكثر بروزاً من العلاقات المنظمة التي ترتبط بمؤسسات لها معاييرها وتنظيماتها. وترتبط هذه الخاصية فيما يبدو بطبيعة الخبرات السياسية التي عاشها الانسان المصرى حيث كانت السلطة السياسية تقوم على المركزية المفرطة، وحيث كانت خيوط السياسة تتجمع جميعا في يدى شخص واحد. ولم تحدث التغيرات التي شهدتها الساحة السياسية فيما بعد ثورة ٢٣ يوليو تغيراً في إتجاه الناس نحو ربط الدولة بشخصية فرد واحد، بل أن هذه التغيرات قد دعمت هذا الاتجاه وعمقته.

ومن ناحية أخرى، فإن كثيراً من الافعال الاجتماعية والسياسية التي ينخرط فيها الانسان المصرى في حياته اليومية (بما في ذلك حياة العمل) ترتبط بأشخاص (افراد) اكثر من ارتباطها بمؤسسات. فمشكلاته في الأسرة والجيرة والعمل جميعاً يمكن أن تحل من خلال أفراد (نشير هذا الى التدخل الفردي (الشخصي) في حل المشكلات). كما أن المواقف التي يدخل فيها في حياته اليومية ما هي الا مواقف يتحكم في كل منها فرد واحد، فكثيراً ما يكون التفاعل الاجتماعي في هذه المواقف مقيداً بسيطرة فرد واحد أو أكثر يتميز عن الأخرين بميزة معينة (كبر السن – التعليم – الوضع الاجتماعي – الوضع القرابي... الخ). ويؤدى ذلك كله إلى أن يتحول مفهوم السياسة في ذهن المواطن العادي الى مفهوم يرتبط بمواقف الحياة اليومية ومشكلاتها ؛ وتتحول السياسة -بناء على ذلك - إلى العلاقة بهذا الشخص أو ذاك ممن ترتبط بهم حياة المواطن من خلال الجيرة أو العمل أو القرابة أو أي شخص آخر. ليست السياسة هي هذه الأجهزة الضخمة والمؤسسات الكبيرة التي تستخدم لغة غبر مفهومة وخطابأ غامضاً بتناقض كثيراً مع الحياة اليومية ومشكلاتها، انما السياسة هي أولئك الأشخاص الذين يسيرون أمور الحياة حتى لو كان دورهم مرتبطاً بالاستغلال والظلم. ونشعر هنا اننا بحاجة الى بيانات آوفر عن طبيعة التبادل الثقافي أو الاقتصادي الذي يحكم العلاقة بين المواطنين والأفراد الذين يتعلقون بهم في حياتهم اليومية.

#### ٤ - الميل التبريرى:

هذه احدى السمات الجديدة التي لم يشر اليها من قبل. ونقصد بالميل التبريرى عدم ادارك الاسباب الواقعية للخطأ، أو لأسباب السلوك بشكل عام، وتبرير وقوع الاحداث اما من خلال عوامل ذاتية أو من خلال أسباب متعالية على الواقع. ولقد كشفت المادة الامبيريقية عن وجود هذا الضرب من السلوك التبريري لدى الانسان المصرى. وهو أميل الى تبرير الأخطاء - كالاخطاء في صبياغة القوانين مثلا - من خلال ازاحتها على القضية العامة بأن كل انسان معرض للخطأ، كما أنه أميل الى تبرير بعض أشكال السلوك التي ينتقدها عندما ينخرط بالفعل في أشكال السلوك هذه، ولقد أشرنا الى جانب من هذا عند حديثنا عن الازدواجية.

ويبدو أن الفاعل، عندما يواجه ظروفاً صعبة تكتنفها كثير من مظاهر التناقض وعدم الوضوح والتحدد، كما هو الحال في أي بنية متحولة وتابعة، فإنه يطور لنفسه أساليب متعددة لمواجهة مواقف الحياة المختلفة. ومن المتوقع في ضوء الأطر الفكرية والثقافية المتناقضة (التي تحدد مسار تفكيره)، أن يتعامل الفاعل الاجتماعي في مواقف الحياة الاجتماعية المختلفة بشكل متفاير، بحيث يتبني معياراً معينا في موقف معين، ويتبني معياراً أخراً مناقضا في موقف أخر. ويؤدي به هذا الى حالة من التبرير المستمر لسلوكه وأفكاره واتجاهاته، أو لسلوك الأخرين واتجاهاتهم، خاصة من يتعاطف معهم أو تربطه بهم علاقة صداقة.

فى هذه الظروف نجد أن العاطفة والانفعال هما اللذان يحكمان الفعل الاجتماعي، وليست الاحكام العقلانية الموضوعية. وكلما تناقضت المعايير التى تحكم السلوك وتعددت أشكالها، مال الفعل الاجتماعي نحو الركون إلى العاطفة والانفعال، وابتعد عن العقلانية والموضوعية. وفى هذه الحالة يرتبط الفعل الاجتماعي بالتبرير غير المنطقي لمظاهر السلوك، ويكشف عن قدر كبير من التحيز. وهكذا يمكن أن تفسر الخاصية التي اطلقنا عليها «الميل التبريري» في ضوء عوامل بنائية تنعكس على بنية الشخصية وتحدد مسار سلوكها ونمط تفكيرها ومنطقها في ايواء ذاتها في العالم المتناقض المحيط بها.

#### ٥ - السلبية :

لا يمكن القول بأن السلبية سمة تلصق بشعب من الشعوب الا في توفر شروط تاريخية وينائية معينة. ولقد كشفت بدانات هذه الدراسة عن وجود تدر من السليبة لدى المصرى المعاصر، خاصة قيما بتعلق بمستوي الانخراط ني السياسة. ولا نميل هذا إلى وصف المصرى بالسليبة على اطلاقها، بل نميل الى تفسيرها في ظروف البنية الاجتماعية التي يتفاعل في نطاقها. فلم بود التحديث الى محو الأمية (فما يزال أكثر من نصف الشعب المصرى من الأميين). وهناك علاقة وثبقة بين نقص المشاركة في السياسة وفي حياة المحتمع المحلى (قرية كان أم مدينة) وبين الأمية. ولكن التأكيد على دور الامية لا يجعلنا نغفل عوامل أخرى ترتبط من ناحية بالمستوى الاجتماعي الاقتصادي لغالبية سكان أرض مصر، وترتبط من ناحية ثانية بطبيعة التنظيمات السياسية. فمعظم السكان يعيشون في مستوى اقتصادي منخفض، ويفرض هذا المستوى ظروف حياة صعبة تجعل الانسان العادي لا يهتم كثيراً تأمور السناسة ولا يقهمها الانقدر ما تسهم في حل مشكلاته اليومية. فمحور إهتمامه هو حياته وهمومه الفردية والاسرية. وهنا يتحدد الوعى الاجتماعي عند مستوى هذه الهموم ولا يتجاوزها الى المستوى العام، نعني الربط بينها وبين المشكلات السياسية والاقتصادية العامة. وطالما ابتعدت هذه المشكلات عن بوَّرة الوعي، فإن النتيجة تكون افراطاً في السلبية واللامبالاة تجاه ما هو عام، واقراطاً في الانخراط والانشغال بما هو خاص.

ومن ناحية أخرى، فإن هذه السلبية لا تلقى اهتماماً من قبل التنظيمات السياسية وما يسود فيها من أشكال الممارسة السياسية . ونستطيع أن نشير في هذا السياق الى بعض الملاحظات العامة: فأولاً نجد أن معظم هذه التنظيمات - الاحزاب المتعددة ومن قبلها الحزب الواحد - تنشأ من خلال الصغوة السياسية أو الصغوة المثقفة، ثم تبدأ في الانتشار على المستوى المحلى من خلال جماعات الصغوة المحلية التي لها مصلحة سياسية واقتصادية في ممارسة السياسة. وتبقى الجماهير خارج دائرة التنظيم، وحتى إذا ما سعت الصغوة المحلية نحو ضم اعضاء الى التنظيمات الحزبية، وغلن عملت : الضم، هذه لا ترتبط باقناع أو اقتناع، وإنما هي إجراء شكلي

لاستكمال صورة التنظيم. وثانياً: قان هذا الانفصال بين التنظيمات السياسية وبين الجماهير يضفى على الممارسة السياسية أهدافاً سياسية متباينة، من وجهة نظر كل من الصفوة والجماهير. فالصفوة السياسية تسعى الى تدعيم مواقفها مع المحافظة على الشكل التنظيمي للحزب أو الأحزاب، وبالتالي اعادة انتاج نفسها على المستوى السياسي والاجتماعي. ولا تدخل الجماهير هنا كهدف لممارسات الصفوة وسلوكها السياسي. ويدرك الناس ذلك على ما يبدو. فقد كشفت الدراسة مثلاً عن أن نسبة كبيرة من السكان لا تعرف أهداف، العملية الانتخابية، ولا حتى الأهداف من وراء انشاء تنظيمات كالأحزاب، وهنا تصبح الممارسة السياسية للشخص العادي اما ممارسة قهرية، بمعنى أن عليه أن يذهب الى صناديق الاقتراع بحكم القانون، وأما ممارسة ترتبط عليه أن يدهب الى صناديق الاقتراع بحكم القانون، وأما ممارسة ترتبط باهداف عملية، كمساندة شخص معروف له على الناس أياد في مجال العمل أو مجال تسهيل أمور الحياة اليومية، أو هكذا يشاع عنه على الأقل.

خلاصة القول أن لدينا انفصالاً بين الأهداف والطموحات الخاصة بكل من جماعات الصفوة السياسية والجماهير العريضة. فجماعات الصفوة توجه السياسة وجهة خاصة، ولها فهمها الخاص للتنظيمات السياسية ووظائفها والمدافها. أما الجماهير فلها حياتها اليومية ومشكلاتها العملية التى قد لا تنعكس في الكثير من الأحيان في الممارسات السياسية. ومن هنا تكون السلبية متوقعة، ونكون اللامبالاة من جانب الجماهير أحد منتجات الظروف المحيطة، وليست سمة أصيلة في بناء الشخصية. وتحتاج هذه النقطة الى مزيد من الدراسة وفقا للمنظور البنائي المقترح هنا. فذلك يمكن أن يلقى مريداً من الضوء على مستويات الوعى الاجتماعي واشكال الممارسة السياسية وأهدافها والنتائج المترتبة عليها.

## ٦ – الصير :

كثيراً ما أضفيت هذه السعة على الانسان المصرى. ولقد كشفت دراستنا عن أن الصبر يعد إحدى السعات التي تسع سلوك الانسان المصرى ونعط تفكيره، ولكن الدراسة اكدت في نفس الوقت على أن الصبر له مفاهيم مختلفة في أذهان الناس، بعضها اكثر شيوعاً من البعض الآخر، كما كشفت عن أن الصبر يعتبر سعة أكثر ظهوراً عند فئات اجتماعية بعينها. فبالنظر الى المقاهيم المختلفة للصبر، اتضع من خلال الدراسة أن الصبر يأخذ غالباً مفهوما دينيا، يعنى اقتصل ما يأتى به الله خيراً أم شراً الله وهذا هو أكثر مفاهيم الصبر شيوعاً ومن المفاهيم الأخرى الأقل شيوعاً اعدم الغضب الشديدا، التحمل ظروف الحياة القاسية، التحمل الظلم، وكشفت الدراسة عن أن الصبر - بمفاهيمه المختلفة - أكثر ظهوراً عند الشرائح الدنيا في المجتمع . حيث ظهر شبه اجماع لدى أفراد العينة على أن الفقراء أكثر صبراً من الأغنياء.

ويدعونا ذلك إلى أن نفسر الصبر كسمة من سمات الشخصية القومية في ضوء بعدين أساسيين بينهما علاقة واضحة:

البعد الأول: هو التدين. ويعتبر سمة جوهرية في شخصية الانسان المصرى، الأمر الذي دفعنا إلى عدم معالجتها في هذه الخاتمة على انها أمر مسلم به أكدته الدراسات السابقة واكدته دراستنا هذه. ويمكن القول بأن الانسان المصرى يستمد صبره من قيمه الدينية الراسخة والعميقة الجذور. فهو عندما يتحمل قسوة الحياة أو الظلم، أو أي شكل من أشكال الجور، فإنه يستعين بما يحمله في داخله من مخزون ديني لكي يعبر هذه المواقف الصعبة.

البعد الثانى: يرتبط بطبيعة الظروف الاجتماعية - الاقتصادية القاسية التى يعيش فيها الفقراء (وهم أكثر فئات المجتمع صبراً). إذ يعتبر الصبر - فى هذه الظروف - بمثابة ميكانيزم نفاعى يتحصن به الانسان الفقير ضد أشكال اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية التى يتعرض لها فى حياته. ولنا أن نتوقع - فى ضوء هذا - أن توجد المفاهيم الدينية للصبر فى اذهان الفقراء بشكل أجلى من وجودها عند الفئات الأخرى.

ولكننا نكون قد جاوزنا الحقيقة إذا قلنا أن الصبر سمة مطلقة عند الفقراء، بمعنى أنهم صبورون إلى الأبد دون أى قدر من الثورة على ظروف حياتهم. فقد كشفت دراستنا عن أن الصبر يختفى عند حد معين يمكن أن نطلق عليه «عتبة الصبر- أى النقطة التى إذا تجاوزها الظلم أو الجور فلا يكون بعدها صبر.

ولقد كشفت هذه الدراسة عن أن «عتبة الصبر» لدى الانسان المصرى ترتبط باستمرارية وجوده فى الحياة. فهو صبور طالما أن حياته تسير فى هدوء، وطالما أن الحاجات الاساسية له وللأسرة متوفرة عند حدها الأدنى. ويبدآ الصبر في النفاذ إذا ما تهدد هذا الوجود بأى شكل من الأشكال. فالانسان الفقير يستطيع أن يتحمل قسوة الحياة، وما تفرضه من أشكال للامساواة الاقتصادية والاجتماعية، كما يستطيع أن يتحمل أى تهديد لحياته طالما أنه لن يؤثر على مستوى الكفاف الذي يعيش فيه. أما إذا وصلت هذه التهديدات إلى تهديد وجوده ذاته (أى التأثير على مستوى الكفاف الذي يحفظ هذا الوجود) فإنه يبدأ في الثورة ويفقد كل ما لديه من صبر.

ويدانا ذلك على أن الفقير أخلاقى فى سلوكه، رغم ما يحيط به تهديدات ومساعب، حيث يتحمل هذه التهديدات والمصاعب بصبر ويستمين بالقيم الدينية فى تدعيم صبره، ولكنه لا يصبر للحظة عندما يصل الأمر إلى جوهر الحياة نفسها، أى إلى جوهر الوجود ذاته. ولسنا نسعى هنا إلى الايحاء بأن الفقراء يولدون هكذا، بسلوكهم هذا. فسلوكهم هذا ما هو الا نتيجة لظروف معقدة يعيشون فيها، وليس أمامهم من سبيل آخر. ومرة اخرى نؤكد على أهمية تتبع هذه القضية فى بحوث أخرى تلقى عليها مزيداً من الضوء.

## ٧ - الفكاهة والمرح:

كثيرا ما يوصف المصرى بأنه محب للفكاهة وأن روحه تتسم بالمرح. ولقد أكدت دراستنا على أن هذه القضية لا يجب أن تؤخذ على إطلاقها. فقد أكدت على ضرورة التفرقة بين مستويات الفكاهة، وكذلك الشرائع الاجتماعية الأكثر ميلاً اليها، وأن نحدد وظائف الفكاهة بالنسبة للفاعل في ظروف تاريخية معينة.

فقد وجدنا من خلال دراستنا أن المصرى ليس ميالاً إلى قول النكتة، فلم تتعد نسبة من تذكروا نكتة قيلت لهم أكثر من ٥ ( ١٧ ٪ من حجم العينة. وعلى العكس من ذلك اكدت الدراسة أن بعض المصريين أميل الى المشاركة في النكتة عن طريق السماع وليس عن طريق القول. فقد وصلت نسبة من يحبون المشاركة في مواقف التنكيت (عن طريق السماع) حوالي ٥٥٪. ووفقا لذلك فإن نسبة لا يستهان بها من الشعب المصرى تخرج عن دائرة الفكاهة والمرح (فهي لا تشارك من خلال القول أو السماع في مواقف التنكيت). وتوجد هذه النسبة بتركيز أكبر في محافظات الصعيد وبعض محافظات الوجه البحرى وخاصة محافظاتي الشرقية والغربية. وتظير أعلى معدلات الفكاهة والمرح في المحافظات الساحلية من ناجية والمحافظات ذات الطابع الحضرى (القاهرة والجيزة) من ناحية آخرى، وتظهر معدلات حب الفكاهة بين المتعلمين الحضريين بشكل أكبر من ظهورها عند الأميين أو عند سكان الريف. وفي ضوء ذلك فإن دراستنا أكدت على أن اعتبار حب الفكاهة سمة عامة لدى الشعب المصرى يحتاج إلى مراجعة. فهي سمة ترتبط بشكل أكبر بقطاع خاص هو ذلك القطاع الأكثر تعليماً والأكثر انفتاحاً على العالم.

وفى ضوء المنطلقات النظرية التى توجه هذا البحث فإننا نميل الى تفسير هذا الموقف في ضوء اعتبارين:

يرتبط الأول بالارتباط بين المشاركة في الفكامة، وبين التعليم والانفتاح على العدام. فالفكامة هنا تظهر على أنها أحد المؤشرات الدالة على الحداثة، وهنا تتحول الحداثة في أنهان الناس إلى مفهوم أقرب إلى مفهوم الفهلوة، ويبدو أن ذلك هو إحدى النتائج المترتبة على تضخم البنية الفوقية وتشوه عناصرها المكونة، بل أن هذا الفهم للحداثة هو أحد المؤشرات العاكسة لهذا التضخم وذلك التشوه، فالبنية الاجتماعية عندما تتحول بشكل غير متساوق، وعندما تتحكم فيها عناصر متناقضة (داخلية وخارجية) فإنها تفرز بناء فوقيا متضخماً. ونعنى بالتضخم هنا أن تبدو العناصر الثقافية مشوهه تزخر على الفكاهة والمشاركة فيها. نجد أن الفكاهة تصبح لدى المتعلمين وغيرهم من سكان الحضر والسواحل أحد مظاهر الحداثة، ويصبح الاشخاص غير التدادين على المشاركة فيها متخلفين، ونستطيع أن نسوق أمثلة كثيرة مشابهة ترتبط بعناصر ثقافية أخرى، ونكن حسبنا هنا الاشارة إلى ما تعكسه الفكاهة والمشاركة فيها، وما يحيط بها من مفهومات من تشوه وتضخم في بنية الثقافة الحديثة في المجتمع المصرى.

على أن الأمر يمكن النظر اليه من منظور آخر، خاصة إذا ما آخزنا في اعتبارنا المواقف التي تظهر فيها الفكاهة والوظائف التي تؤديها. فقد ظهر أن المواقف التي تظهر فيها الفكاهة هي مواقف ترتبط في معظمها بحالة من الضيق أو الملل التي تنبع من الاحساس بأزمة عامة أو بأزمة شخصية. كما أكدت البيانات أن أكثر موضوعات النكتة انتشاراً هي موضوعات الجنس والجماعات الاقليمية ورجال السياسة. فالنكتة تعتبر إحدى الاستجابات تجاه الأزمات العامة. آحياناً والأزمات الشخصية أحيانا أخرى.

وإذا ما أخذنا في اعتبارنا الموضوعات التي تتناولها النكتة لوجدنا أن الاستجابة تجاه الازمات العامة تعتبر إستجابة انسحابية يرتد منها الانسان المصرى الى ذاته، فيسخر منها ومن الآخرين، ليجد لضيقه متنفساً ولملله مخرجاً. ويمكن تفسير هذا الانسحاب بأنه سلوك يؤدى إلى حل الأزمة العامة على المستوى الشخصى. ونعنى بذلك أن يتخلص الانسان من حالة الغضب والملل، بصرف النظر عما إذا كانت الأزمة العامة قد حلت أم لا. فالفرد مثلاً عندما يسخر بالنكتة من الجماعات الاقليمية أو حتى عندما يروى نكاتاً جنسية فإنه يشعر بالتفوق على الآخرين. وهو عندما يسخر من رجال السياسة فإنه يلقى بالمسئولية والتبعة على الآخرين. وفي الحالتين يمكن أن يشعر الفرد بأنه تخلص من بعض همومه وبعض متاعبه بعد أن يكون قد فرغ شحنة انفعاله في النكتة (في الآخرين بمعنى آخر). ويعتبر هذا السلوك الانسحابي سلوكاً متوقعا في ضوء الانفصال ذي التاريخ الطويل بين الدولة والناس وفي ضوء ما يخلقه نمط الحداثة من فردية ولا مبالاة تجاه المشكلات العامة.

#### ٨ - التواكل:

هذه سمة من السمات التى اكد بحثنا على رفضها. فقد كشفت البيانات عن أن المصرى لا يركن كثيرا إلى فكرة الاعتماد على الحظ في تحقيق الأمال وحل المشكلات. فقد بلغت نسبة من رفضوا هذه الفكرة حوالى ٥١ العن عجم العينة. كما أكدت نسبة ٥٦ أن الاعتماد على العمل هو الذي يحدد نمسيب الانسان من الحياة. وفي ضوء ذلك أكدت الدراسة على أن المصرى أميل إلى التوكل وليس الى التواكل، حيث يدفعه سلوكه الديني ومعتقداته الدينية الراسخة الى ربط العمل بالتوكل على الله. وحتى أولئك الذين يؤمنون بالحظ، فإنهم يربطون الحظ بالعمل. ولقد حاولت دراستنا أن تطور مفهوم بالمعمل التوكلي؛ على أنه المحدد لنمط العمل والانجاز عند المصرى. ووفقاً لهذا المفهوم نجد أن المصرى يزاوج بين التوكل والعمل، مدخلاً في حياته من خلال هذه المزاوجة قليلاً من الحظ أو المسيئة يكون بمثابة اله يكانزم لدفاعي ازاء أي فشل في العمل. فهو من خلال التوكل على الله يؤمن بأن الدفاعي ازاء أي فشل في العمل، فهو من خلال التوكل على الله يؤمن بأن الحصول على نصيب أوفر يتطلب عملاً. فإذا أدى العمل إلى نتيجة طيبة،

فهو نصيب طيب وحظ طيب ورضاء من الله، وإذا لم يؤد إلى نتيجة طيبة، فإن التوكل على الله - مانح الحظ ومانعه - يعمل بمثابة الميكانيزم الذى يخرج الانسان من حالة الفشل ويدخله فى البدء من جديد.

ومن اندتوقع أن يسيطر مفهوم «العمل التوكلي» على عقل المصرى، وأن يوثر بشكل ملحوظ على سلوكه المتصل بالعمل. نقول من المتوقع أن يسيطر هذا المفهوم في ضوء بعض الاعتبارات الثقافية والاقتصادية التي ترتبط بحياة المصرى. فمن الناحية الثقافية نجد أن القيم الدينية لها تأصيل عميق الجذور في نفوس المصريين. ويعتبر التوكل على الله إحدى هذه القيم الدينية أما من الناحية الاقتصادية فإن الظروف المحيطة بحقل العمل تجعله - في الكثير من الأحيان - غير دائم وغير مضمون النتيجة، حيث تتحكم فيه ظروف خارجة عن ارادة الانسان (خاصة العمل في الزراعة والصيد). كما أن هناك قطاعاً عريضاً من العمال لا يعمل بشكل دائم. وترتبط أعمالهم بانشطة قطاعاً عريضاً من العمال لا يعمل بشكل دائم. وترتبط أعمالهم بانشطة مننوعة غير دائمة (ونفكر في هذا السياق في عمالة الزراعة والباعة الجائلين والقطاع الحضري غير الرسمي على الجملة). في مثل هذه الظروف فإن ارتباط العمل بالتوكل يكون منطقيا.

اقد حاولنا هنا أن نجمع شتات ملاحظاتنا الامبيريقية، وأن نضعها فى مجموعة محددة من السمات، بعضها موجود وبعضها الآخر غير موجود، بعضها عميق وبعضها أقل عمقاً. وقد حاولنا أن نؤكد فى تفسيرنا للبيانات أن السمات التى يثميز بها سلوك المصرى وافكاره واتجاهاته ليست موجودة بنفس القدر لدى كل المصريين، الأمر الذى يؤكد على أهمية مفهوم الطبقة فى تحليل هذه السمات. كما حاولنا أن نؤكد على أن بعض السمات تكون لها سيطرة وسيادة فى فترات تاريخية دون الأخرى. وأولاً وقبل كل شيء حاولنا أن نؤكد على أن السمات المحددة للشخصية القومية يجب أن تفهم فى ضوء متغيرات بنائية واسعة النطاق حددنا معالمها فى الاطار النظرى للدراسة.

ونؤكد في النهاية على ضرورة عدم اصدار احكام عن الشخصية المصرية دون الاعتماد على بيانات امبيريقية، فقد عانت دراسات الشخصية المصرية من هذه المشكلة، فقد بدأ المستشرقون بتقديم انطباعات عن شخصية الانسان المصرى كانت في مجملها انطباعات متميزة نابعة من فرض اطروحات نظرية مثالية على بناء اجتماعي مغاير، وسار الباحثون المصريون على نفس المنوال، فطفقوا يكتبون عن الشخصية المصرية مرددين نفس السمات التي نكرها المستشرقون، دون الركون الى مادة امبيريقية رصينة، ودون النظر الى خصوصية البناء الاجتماعي للمجتمع المصري بما يحويه من تناقضات.

ولقد حاولت دراستنا هذه أن تتجاوز هذا الموقف. فاعتمدت على مادة المبيريقية ، وحاولت أن تفسر هذه المادة في ضوء السياق الخاص للبناء الاجتماعي للمجتمع المصري. ولذلك فإن القاريء لما توصلت اليه هذه الدراسة من نتائج يجد اختلافاً واضحاً بينها وبين الدراسات السابقة من حيث نوعية المادة ونمط التفسير. ومع ذلك فنحن لا نذهب الى أن دراستنا قد قالت كل شيء في هذا الموضوع الشائك المعقد. بل أنها – على العكس من ذلك بداية لاثارة مشكلات نظرية وفروض يمكن أن تخضع للدراسة والبحث ولقد اكدنا على هذه النقطة طوال عرضنا لنتائجنا. فلا غرو إذن أن نسم دراستنا هذه بأنها مقاربة نظرية وامبيريقية، فهي ليست أكبر من ذلك ولا أدني.

### المراجع والهوامش

- (١) شابرول، وصف مصر: المجلد الخاص بالعادات والتقاليد، ترجمة زهير الشايب، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩.
- (۲) هنرى عيروط، الفلاحون، ترجمة محمد غلاب، مطبعة شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة، بدون تاريخ.

#### (٣) انظر:

H.Amar, Gowing up in an Egyptian Village, Routledge and Kegan Paul, London, 1954.

- (٤) نجيب اسكندر ورشدي قام، التفكير الخراقي، مكتبة الانجلق المصرية، القاهرة، ١٩٦٧.
- (٥) سيد عويس، من ملامح المجتمع المصرى المعاصر، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ٣٩٦٣؛ فظاهرة الموت في حياة المصريين، مجلة الفكر المعاصر، العدد ٥٠، ١٩٦٩.
- (٦) طرح حامد عمار مفهوم الشخصية الفهلوية عام، ١٩٦٤ في دراسته الشهيرة بعنوان ففي بناء البشر: دراسات في التغير الحضاري والفكر التربري، سرس الليان، ١٩٦٤، ومنذ أن صدرت هذه الدراسة أصبح مفهوم الشخصية الفهلوية مفهوما محورياً لا في دراسات الشخصية المصرية فحسب بل في دراسات الشخصية العربية أبضاً: انظر نقد السيد يس لدراسة صادق العظم بعنوان دالنقد الذاتي بعد الهزيمة، والتي استخدمت مفهوم الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر، الطبقة الثانية، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٣. ص ١٩٥٥ وما بعدها.
- (٧) عزت حجازى «الشخصية المصرية بين السلبية والإيجابية». الفكر
   المعاصر، العدد ٥٠، القاهرة، ١٩٦٩.
  - (٨) انظر مقال حسن حنفي في المرجع السابق.
    - (٩) انظر مقال على فهمى في المرجع السابق.
- (١٠) نعمات أحمد فؤاد ، شخصية مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، (نشرت لأول مرة عام ١٩٦٧ ) .

- (١١) جمال حمدان، شخصية مصر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠.
- (١٢) رالف لينتون، الأصول الحضارية للشخصية، ترجمة عبد الرحمن
   اللان، نشر مؤسسة فرانكلين، بيروت، ١٩٦٤، ص ٤٦.
  - (١٣) المرجع السابق، ١٠٢.
  - (١٤) يس، مرجع سابق، ص ١٥٦.
  - (١٥) المرجع السابق، ص ص ٥٥ ٥٥.
    - (١٦) المرجع السابق، ص ٥٥.
- (١٧) من المفهومات الأخرى الأقل أهمية مفهوم رؤية العالم World Wiew الذى طوره روبرت ردفيلد فى دراساته حول ثقافة الفلاهين ، انظر حول هذا المفهوم .
- روبرت ربفيك ، المجتمع القروى وثقافته ، ترجمة قاروق العادلي ، مطبعة حسان ، القاهرة . د . ت
- (١٨) سوف تكون الاستفادة من مفهوم الشخصية المنوالية استفادة منهجية بالأساس، ولذلك فسوف نترك الحديث عنه الآن الى حين الحديث عن المنهج،
  - (۱۹) پس، مرجع سابق، ص ۲۰.
    - (٢٠) المرضع نفسه.
- (۲۱) انظر النموذج الذي قدمه تشارلز رايت ميلز وهانز جيرث في المرجع التالي:

H.Gerth and C.W. Mills, Character and Social Structure, Routledge and Kegan Paul, London, 1954.

- (۲۲) يعتمد التحليل التالى على النموذج النظرى الذي طوره كاتب هذه السطور في دراسته عن: البناء السياسي في الريف المصرى، انظر: أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصرى، دار المعارف، القاهرة، ۱۹۸۱.
  - (٢٣) النص مأخوذ من المرجع السابق، ص.
    - (۲٤) انظر:

G.Devos, (National Character) International Encyclopedia of Social Science, Vols. 11:- 12. p.18.

# الجبل الفكري في الصنافة البصرية إذا فكرة اتناء جابعة بفتوهة في معر (\*)

نجوی حسین خلیل(\* \*)

يعد الرجوع إلى الصحافة من الخطوات الاساسية عند القيام باستطلاعات للراى حول القضايا الخلافية. ونختلف هنا مع الفرضية التى تنظر الصحافة نظرة تقليدية تبين ان الصحافة والآراء التى تتضمنها لاتعد مصدرا اساسيا، ولا تصلح ان يستند اليها علميا. فالآراء والاتجاهات التى ترد فى الصحف فى الوقت الراهن يمكن ان تعبر تعبيرا حقيقيا - الى حد ما - عما يشغل الرأى العام، توثر فيه وتتأثر به. ومن خلالها يمكننا أن نصل إلى منطق المعارضين ومنطق المؤيدين للقضية الخلافية موضع الدراسة •

ويدور في الوقت الراهن في مصر حوار واسع حول الاصلاحات الشاملة

المجلة الاجتماعية القومية

<sup>★</sup> هى خطرة أساسية من خطرات استطلاع للرأي يجريه قسم بحوث وقياسات الرأي العام . وعنوانه ؛ استطلاع للرأي حول انشاء جامعة مفتوحة في مصر ؛

اشتركت في تطبيق التحليل الكيفي لمضمون المعالجات الصحفية المحددة للدراسة كل من د • نجوى خليل (المشرف)، ود • سلوى العامرى، والاسائذة: رباب الحسيني ومنى يوسف وجميلة نحد (اعضاء) •

<sup>★ ★</sup> يكتوراه في الاعلام ، خبيرة بقسم بحوث وقياسات الرأى العام ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والمنائبة \*

التى ينبغى ان توضع فى الاعتبار عند تطوير التعليم و وتقع بين تلك الموضوعات قضية اصلاح التعليم الجامعي، وهي تعدمن أهم المسائل التي يثور كثير من الجدل حولها و وذلك يرجع الى عجز الامكانات الجامعية عن استيعاب اعداد الهلاب المتزايدة التي ترغب فى الاستزادة من العليم والحصول على شهادة جامعية تفتح أمامها فرص العمل. بالاضافة إلى المرتفعة لهذا النوع من التعليم، وغلبة خريجي الكليات النظرية على العملية وققص الكوادر المدربة التي يحتاج اليها مجتمعنا في الحاضر وفي المستقبل كل ذلك، إلى جانب عدم تحقق مبدأ تكافؤ الفرص في التطبيق العملي، حيث انتشرت الدروس الخصوصية، وارتفعت أسعار الكتب والمراجع الأساسية في مختلف التخصصات الجامعية وبخاصة العملية. كما اتيحت للبعض دون الأخر - تبعا للامكانيات المادية - فرصة الالتحاق بجامعات ذات مصروفات باعظة داخل مصر أو خارجها.

ومن هنا برزت آراده لحل هذه الأزمة، طرحها مختلف وزراء التعليم فور توليهم لمسئولياتهم التنفيذية، منها دعوة طرحها الأستاذ الدكتور فتحى محمد على (وزير التعليم العالى السابق) بانشاء جامعة تكنولوجية، ودعوة أخرى طرحها رجال الأعمال الذين اجتمعوا في ٣٠ سبتمبر ١٩٨٦ بانشاء جامعة الهلية خاصة. وأخيرا دعوة طرحها الأستاذ الدكتور أحمد فتحى سرور وزير التعليم الحالى بانشاء جامعة مفتوحة في مصر.

وتثير فكرة انشاء جامعة مفتوحة في مصر قضايا ايديولوجية واقتصادية واجتماعية خلافية كثيرة وفي من ناحية تثير قيما ايديولوجية اساسية متعلقة بمباديء تكافؤ الفرص وحق التعليم بالمجان للجميع وحق الحراك الاجتماعي عن طريق التعليم ، في مقابل شيوع الممارسات الواقعية التي تحد فعليا من فعالية هذه المباديء وكما انها تثير تفضيلات النخبة الحاكمة في التعليم وتركيزها على الكيف او الكم وبالاضافة الى انها تشير الى مشكلة عبى التعليم على ميزانية الدولة وضرورة ترشيد الانفاق الحكومي على التعليم والجامعي والاستفادة من الامكانات التكنولوجية المتوافرة

كوسائط تعليمية متاحة . في مقابل الرأى الآخر الذي يرى وجوب التريث في اختيار السياسات المتبغاة لتطوير التعليم الجامعي مع ضرورة الزام الدولة بالانفاق على التعليم مهما كان حجم الانفاق • الى جانب ان فكرة انشاء جامعة مفتوحة في مصر تثير قضايا اجتماعية متعلقة بالتعليم الجامعي، كالخلاف حول قيمة الشهادة الجامعية والدراسة الاكاديمية في حد ذاتها ، في مقابل قيمة العمل اليدوى والفنى اى اكتساب التدريب والتثقيف اليدوى دون شهادة اكاديمية •

وقد اهتمت الصحافة المصرية – قومية ومعارضة – بمعالجة الفكرة التي طرحها وزير التعليم في النصف الاول من عام ١٩٨٧ بصدد التعليم المفتوح وضرورة انشاء جامعة مفتوحة في مصر (بهدف تخفيف الضغط على مؤسسات التعليم العالى، وتوفير فرص التعليم الجامعي لمن حرم منها وبمعدلات تتلاءم مع ظروف المجتمع). فقد انشغلت الصحافة بطرح وجهات النظر المتعددة حول فكرة المشروع المطروحة، وظهرت آراء مؤيدة للقرار، وآراء لخرى معارضة تبين مثالب ذلك المشروع وتدعو الى التأني في البدء في تطبيقه •

من هنا يتبين أهمية الاعتماد على تحليل ما نشر على صفحات الجرائد المصدية، التي من شأنها كشف الجوانب الخلافية والاشكاليات حول هذا الموضوع الخلافي •

#### الخطوات المنهجية:

وقد اعتمدنا على اسلوب تحليل المضمون الكيفي في دراسة مضمون الرسالة الإعلامية المنشورة في الرأى الصحفي (المتمثل في المقال والتحقيق والحديث) مع الاشارة الى بعض الاستدلالات الكمية البسيطة و وهو اسلوب من شأنه الكشف عن الاتجاهات الصحفية الكامنة في مضمون الرأى ، التي تهدف الى التأثير على الرأى العام ، ورأى الصفوة في فكرة انشاء جامعة مفتوحة في مصر •

من ثم، فان دراستنا تلقى الضوء على النقاط المحددة التالية: . . أو لا : -

تحديد اتجاه الرسالة الاعلامية التي تطرحها الجرائد والمجلات المصرية

نحو انشاء جامعة مفتوحة في مصر ٠

ثانيا: -

تحديد مفهوم الجامعة المفتوحة الذي يرد في الرأى المنحفى ويهدف إلى التأثير على القارىء واقناعه به •

**-** : ثالثا

الكشف عن حجج التأييد والمعارضة والتحذيرات المطروحة في كافة الرؤى الصحفية حول انشاء جامعة مفتوحة في مصر.

رابعاً : --

معرفة التطبيقات والامثلة المطروحة في الصحف المصرية حول الجامعة المفتوحة سواء داخل مصر أو الدول العربية أو الاجنبية •

وتتمثل الفترة الزمنية التى تعنى الدراسة بتحليل مضمونها الصحفى فى سبعة شهور، من أول فبراير الى آخر اغسطس ١٩٨٧ • وقد اعتمد اختيارنا لهذه الفترة الزمنية المعنية بالدراسة على عدد من المحكات الموضوعية:

۱ – فهى الفترة التى عنيت فيها الصحافة بنشر الراى حول الهمية تطوير التعليم بحيث يغطى احتياجات التنمية فى المجتمع وتشجيع اسلوب التعليم المستمر الى جانب الاشارة فى بادىء الامر الى ضرورة انشاء جامعة مفتوحة فى مصر، والذى سرعان ما حرصت الصحافة على ابرازه فى فترة الذروة.

٢ - وهي فترة اقتراب امتحانات الثانوية العامة وتردد فكرة عجز الامكانات
 لجامعية والتعليم العالى على استيعاب الاعداد المتزايدة من خرجي المرحلة الثانوية.

 ٣ - وهى أيضا فترة تركيز الدولة على مجال التعليم في مصر، وعقد مؤتمر تطوير التعليم، وما أعقبه من مواقف صحفية متباينة.

قامت الدراسة على تحليل مواد الرأى في الصحف القومية الثلاث: الاهرام، والاخبار، والجمهورية ، والجرائد الحزبية: الوفد والاحرار والشعب والأهالي ومايو ، وجريدة صوت العرب، والمجلات: اكتوبر، والمصور، وروز اليوسف، والأهرام الاقتصادي.

وقد اعتمد التحليل على فكرة Theme كوحدة القياس في سياق النص الصحفى. واشتملت مستويات التحليل على الخطوات التالية:- قراءة الرسالة الصحفية (الحديث أو المقال أو التحقيق) بأكملها لاستخلاص إتجاهها نحو مشروع انشاء جامعة مفتوحة في مصر. وذلك بتحديد الاتجاه الكامن الذي تقصده المادة الصحفية في جوهرها سواء بالتأبيد والقبول أو الرفض والمعارضة.

#### ثانيا : -

قراءة الرسالة الصحفية مرة ثانية لاستخلاص مفهوم الجامعة المفتوحة الذي يرد في النص • وذلك يتضمن تعريف الجامعة المفتوحة، ونوعية البرامج التي تقدمها، وطريقة التدريس التي تتبعها، وأسلوب الالتحاق بها.

#### فالفان –

اعادة قراءة النص الصحفى لاستخراج الحجج التى تطرحها الرسالة الاعلامية الاثبات صحة ما تتبناه، وتتضمن هذه الحجج أهدافا أو أسبابا أو نتائج متوقعة • بالاضافة الى استخراج اية تطبيقات أو أمثلة للجامعة المفتوحة تطرحها الرسالة الاعلامية سواء كانت تطبيقات محلية أو عربية أو اجنبية •

وقد روعى في الدراسة ضرورة تحقيق قدر عال من الثبات بين الباحثات المشتركات في اجراء التحليل الكيفي لمضمون الرأى المسحفي والوصول الى نتائج متقاربة عند تحليل المضمون \* فقد تم مناقشة ابعاد موضوع الجامعة المفتوحة والهدف من اجراء تحليل المضمون الكيفي لمواد الرأى بالجرائد والمجلات، ومستويات التحليل التي تقوم عليها الدراسة \* وتم تطبيق خطوات التحليل على ثلاث من مواد الرأى الصحفى، هي:

- ١ مقال كتبه عبد العظيم انيس في جريدة الاهالي تحت عنوان الجامعة
   المفتوحة والمخاوف المطروحة التاريخ ٨ / ٤ / ١٩٨٧ ٠
- ٢ مقال كتبه حامد دنيا في مجلة اكتوبر تحت عنوان ، اولياء الامور والطلاب يتساءلون الجامعة المفتوحة متى تبدأ ، بتاريخ ٢٦ / ٤ / ١٩٨٧ ٠

٣ - مقال كتبه على الدين هلال في مجلة الاهرام الاقتصادي تحت عنوان
 « الجامعة المفتوحة وسياسة التعليم» بتاريخ ٤ / ٥ / ١٩٨٧ ٠

وقامت كل ممن شاركن في تحليل مضمون الرسائل الصحفية المتعددة بتحليل العينة المختارة، لقياس الثبات وتحديد مدى تطابق أو تشابه أو تقارب «المحللات» في تحليل المضمون ذاته \*

وقد ثبت أن هناك تقاربا شبه تام بين والمحالات والخمس في تحليل مضمون المادة الصحفية ذاتها عند تحليل المقال الاول: تبين أن الرسالة الإعلامية الكامنة بها لدى اربع محالات هو رفض التسرع بانشاء جامعة مفتوحة في مصر، ولم تبعد المحالة الخامسة كثيرا عن استخراج الاتجاه ذاته وان كانت لم تحددها في رفض التسرع بانشاء جامعة مفتوحة ، وإنما في تحذير من خطورة الاستهانة بالإعداد الضروري للجامعة المفتوحة والما مفهوم الجامعة المفتوحة فقد ورد في الرسالة الاعلامية لدى اربع محالات بالتعريف ذاته وبينما لم تحدده محللة واحدة والما المجبع المطروحة المتأكيد على الرسالة الكامنة في المقال فقد وردت لدى المحللات جميعهن على نحو واحد وفيما يتعلق بورود تطبيقات وامثلة للجامعة المفتوحة فقد ذكرت المحللات الخمس ورود مثال الجامعة المفتوحة في بريطانيا ، في الوقت الذي الفعت فيه ثلاث منهن على ورود مثال آخر الى جانبه هو تجربة تأهيل معلى المرحلة الابتدائية و

وبالنسبة لتحليل المقال الثانى: تبين أن المحللات الخمس قد قمن بتحديد الفكرة الرئيسية الكامنة التى تحتويها الرسالة الاعلامية نفسها، وهى تأييد انشاء جامعة مفتوحة فى مصر أى توافر التطابق فى تحديد الفكرة الرئيسية أما فيما يتعلق بتحديد حجم التأييد الذى طرحه الكاتب، فقد اتفقت المحللات الخمس على حجة مؤداها اتاحة الفرصة فى التعليم الجامعى لكل من يريد، كحق للمواطن، بينما اتفقت أربع من المحللات على حجة مؤداها عدم تكلفة الدولة بأية أعباء مادية. ولم تذكرها المحللة الخامسة و واتفقت اربع من المحللات على دراسات مسبقة حول البعامعة المفتوحة، بينما انفردت محللة واحدة بأن هذه الجامعة لا تلتزم بقواعد القبول فى الجامعات التقليدية. وبالنسبة لتحديد مفهوم الجامعة

المفتوحة الذى ورد فى المقال فقد اتفقت عليه اربع محللات حيث جاء أن الدراسة فى الجامعة المفتوحة تعتمد اساسا على تلقى المناهج الدراسية من قنوات التليفزيون والاذاعة ، وانها لن تعتمد على وجود طلاب داخل الكليات الجامعية يتلقون المحاضرات فى مدرجاتها ومعاملها بينما لم يرد المفهوم لدى المحللة الخامسة ، حيث ضمنتها فى حجج التأييد .

أما الامثلة المطروحة فقد نكرتها ثلاث محللات، حيث تحددت في جامعة لندن المفتوحة وبعض دول وسط اوروبا بينما أوردت المحللتان الاخريان هذه الامثلة ضمن المفهوم الوارد في نص المقال •

وفيما يتعلق بتحليل المقال الثالث: ظهر أن هناك اتفاقاً بين ثلاث محللات على تحديد الفكرة الرئيسية التي وردت في المقال في ضرورة التمهل قبل انشاء الجامعة المفتوحة وتحذير شديد للاتجاه الاندفاعي، بينما حددت محللتان الفكرة الرئيسية التي وردت في ضرورة الاعداد والدراسة قبل اتخاذ القرار بانشاء الجامعة المفتوحة و وهو يعد نوعا من التقارب حيث أن الاعداد والدراسة تستلزم التمهل وعدم التعجل في انشاء الجامعة فعلياً، ولكننا لا ندعى هنا أن التمهل يعني الاعداد والدراسة وبالتالي فهو تقارب في المعنى وليس تشابها أو تطابقاً و

وفيما يتعلق بالحجج المطروحة التي تدعم الفكرة الرئيسية التي يطرحها الكتب، فقد اتفقت المحللات الخمس عليها في الكيف وان اختلفت في الكم وذلك يرجع اساسا الى الايجاز والادماج لدى البعض والتفصيل والإفراد لدى البعض الآخر، ولا يرجع الى اغفال حجج بعينها و وتمثلت هذه الحجج في خطورة خلق آمال وتطلعات جديدة، وضرورة دراسة الموضوع والاعداد له لدراسة علاقة الجامعة المفتوحة بالنظام التعليمي القائم، ولأن الجامعة الجديدة لا ينبغي ان تكون نقلا ونسخا لما هو قائم في الجامعات الحالية الى جانب ضرورة وجود حوار علمي بشأن تطبيق جامعة مفتوحة تبث دروسها من خلال الراديو والتليفزيون و بالإضافة الى ضرورة دراسة الآثار الاجتماعية والسياسية للجامعة المفتوحة و

وتوافر التشابه التام والتطابق بين كافة المحللات على عدم ورود مفهوم للجامعة المفتوحة، وكذلك عدم ورود امثلة أو تطبيقات لها في المقال ذاته • ومن واقع التحليل الكيفى لمضمون الرأى الصحفى بهدف معرفة ما نشر حول الجامعة المفتوحة، ونواحى الاتفاق والخلاف حول مفهوم الجامعة المفتوحة وحجج المؤيدين والمعارضين، ومدى معرفة الكتاب بتطبيقات الجامعة المفتوحة فى دول اخرى، ونوعية التحذيرات المطروحة بصدد انشاء مثل هذه الجامعة فى مصر، فانه يمكننا أن نورد النتائج المحددة التى استخلصناها فى الدراسة على النحو التالى:

### نتائج الدراسة:

اولا - الاتجاهات الصحفية بين التاييد والمعارضة لانشاء جامعة مفتوحة في مصر:

يمكننا استعراض مختلف الاتجاهات الصحفية نحو انشاء جامعة مفتوحة في مصر من خلال التصنيف التالي:

- ا اتجاه القبول والتأييد •
- ب اتجاه القبول ولكن في اطار شروط وتحذيرات ينبغي مراعاتها قبل
   البدء في انشائها بالفعل \*
- جـ- اتجاه معايد يعرض وجهتى النظر دون تغليب رأى على الآخر •
   د اتجاه الرفض والمعارضة
  - هـ الى جانب ستجابات اخرى لا تدخل تحت التصنيف •
  - 1- انجاه القبول وتأييد فكرة انشاء جامعة مفتوحة في مصر:

شاع فى الصحف القومية والمجلات اتجاه القبول والتأييد لفكرة انشاء جامعة مفتوحة فى مصر تأييدا مطلقاً \* فقد تبنت هذه الصحف والمجلات - فى تسع مقالات رأى - فكرة الجامعة المفتوحة، وشجعت على انشائها فى مصر \* كما حرصت على عرض توصيات المجلس القومى للتعليم حول الجامعة المفتوحة ومطالبة المجلس بانشائها فى مصر ، الى جانب تأييد الفكرة من خلال تناول توصيات المؤتمر القومى لتطوير التعليم (١) \*

وعنيت الصحف بنشر فكرة انشاء الجامعة المفتوحة في مصر وابراز الهدف من انشائها، ومفهرمها، في اطار خطة الدولة والسياسة التعليمية التي يتبناها وزير التعليم، فقد ظهر اربعة عشر حديثا صحفيا مم وزير التعليم بهذا الخصوص، منها عشرة لحاديث نشرت في الصحف والمجلات القومية، واربعة احاديث في جريدتي مايو (صحيفة الحزب الحاكم) والوفد (الحزبية ذات الاتجاه اليميني) ومجلة الاهرام الاقتصادي (المجلة المتخصصة) (١٠٠٠ •

ب - اتجاه لقبول فكرة انشاء الجامعة المفتوحة بشروط وتحذيرات:

ظهرت اتجاهات صحفية تريد فكرة انشاء الجامعة المفتوحة، ولكن على اساس الاهتمام بالتعليم الفنى والتأهيلي، وبمراعاة شروط مهمة قبل البدء في انشائها بالقعل، وتنادى بالتريث والاعداد والدراسة الجادة لجدوى المشروع وقد ظهر هذا الاتجاه في شمانية قوالب رأى بالاخبار والمصور وروز اليوسف ومايو الحزبية والاهرام الاقتصادى، وجريدة الاهالي (الحزبية ذات الاتجاه اليسارى) والاخيرة عنيت بابراز اتجاهها التحذيرى في ثلاثة قوالب رأى أى ما يقارب نصف المواد المنشورة في الصحف المصرية بهذا الخصوص(<sup>(۲)</sup>).

## ج- اتجاه محايد نحو الفكرة:

يتسم هذا الاتجاه بعدم تغليب رأى على الاخر، وهو يعرض وجهتى النظر حول الموضوع ويترك للقارىء حرية الاقتناع بواحدة من وجهتى النظر، وقد انحصر هذا الاتجاه فى الظهور بمعالجتين صحفيتين فى جريدة اخبار اليوم وجريدة الوفد الحزبية، حيث نشرتا فى تحقيقين صحفيين آراء تؤيد انشاء الجامعة المفتوحة وآراء ترفض انشاءها، مع طرح الافكار المختلفة التي يقدمها كل اتجاه دون تدن لاحداها(1).

## د - اتجاه لرفض ومعارضة فكرة انشاء جامعة مفتوحة في مصر:

عنيت الاتجاهات المعارضة لفكرة الجامعة المفتوحة في مصر بنشر وجهة نظرها في الصحف القومية (الاهرام والاخبار والجمهورية) وذلك في ست مقالات بالاضافة الى راى تم نشره في مجلة الاهرام الاقتصادي و تمثلت في آراء لتربويين ومتخصصين ومسئولين سابقين في مجال التعليم وغيرهم، واصحاب وجهة نظر أخرى ممن يرون انشاء جامعة تكنولوجية أو جامعة الهلية في مصر، إلى جانب مقالتين في جريدة الأحرار الحزبية (ذات الاتجاه اليميني) التي تتبنى وجهة نظر تؤيد انشاء جامعة الهلية في مصر<sup>(0)</sup>

وفي الوقت نفسه ظهرت استجابات لا تدخل تحت التصنيف الذي حددناه،

وهي تتضمن رأيا غير معارض وغير مؤيد، يمثل رأى وزير اسبق للتربية والتعليم يؤكد على أن الجامعة المفتوحة ليست جديدة على مصر<sup>(١)</sup> •

من هنا يمكننا القول از الصحافة المصرية قد عنيت في الفترة الزمنية التى خضعت للدراسة بابراز القضية الخلافية المثارة بشأن انشاء جامعة مفتوحة في مصر، كما اهتمت بمعالجة الرأى الرسمي والرأى المعارض بنوعياته وبدرجاته المتباينة • ويمكننا القول أيضا بأن تباين الآراء بصدد هذا الموضوع الخلافي قد ورد في الصحف القومية والمجلات ولم ينحصر في الصحف الحزبية المعارضة. وأن الصحف الحزبية اختلفت في ترجهاتها، حيث ظهرت الوفد في جانب الحياد وحرصت على نشر وجهة النظر الرسمية التي يتبناها وزير التعليم وآراء من يختلفون معه، دون تأييد لاحدها . أما جريدة الأهرام فقد اكنت على أهمية الجامعة الأهلية ، وعنيت بابراز الاتجاه المعارض معارضة مطلقة لفكرة الجامعة المفتوحة • أما الأهالي (اليسارية) فقد ظهرت في اتجاه القبول المشروط للفكرة . ومن ثم فإن الخلاف لا يرد إلى اتجاهات سياسية فاصلة ، وانما إلى توجهات جزئية أزاء قضية كلية تتعلق بمستقبل التعليم في مصر .

## ثانيا - مفهوم الجامعة المغتوحة في الصحافة المصرية:

تتردد مفاهيم متعددة للجامعة المفتوحة في الابحاث والمراجع، ونوقشت في العديد من الندوات المصرية والعربية ولن نسرد في هذه الورقة المفاهيم المختلفة، وانما سنقدم تعريفا واسعا عآخرذا مما طرحه الباحثون، ثم نتعرض لمفهوم الجامعة المفتوحة من وجهة نظر وزير التعليم، واخيرا المفهوم الذي تبلوره الآراء الصحفية باتجاهاتها المختلفة و

من ثم يمكن تحديد مدى شمول الرأى فى معالجته لموضوع خلافى، وما اذا كان تأييده لفكرة الجامعة المفتوحة أو معارضته لها هو بناء ذهنى متكامل يبدأ من تأييد الفكرة ويتسق مع مفهوم متحدد للجامعة المفتوحة ويبين فلسفة انشائها فى مصر، أم انه غير مكتمل الاتساق •

تعرّف الجامعة المفترحة بأنها مؤسسة للتعليم العالى، تهدف أساسا إلى تعليم الكبار غير المتفرغين، واتاحة الفرصة لكل من يريد استكمال تعليمه العالى دون اشتراط أية مؤهلات رسمية للالتحاق بها(٢) • ويمكننا وضع

مفهوم واسع يعرف الجامعة المفتوحة من وجهة نظر الكتابات العلمية المصرية والعربية، مؤداه انها شكل من أشكال التعليم العالى والجامعى يعتمد على الدارس نفسه وتوافر الدافع الذاتي للتعليم لديه. وهي تعتمد على وسائل التعليم عن بعد والتفاعل غيرالمباشر بين المعلم والطالب، حيث يكون الطلاب بعيدين عن مؤسسات التعليم والهيئة الاكاديمية التي تضع البرامج العلمية وهي ايضا بديل للدراسة التقليدية التي تتطلب التفرغ، ووسيلة اقتصادية لنشر التعليم وتنويعه محيث يوفر التعليم على المستوى الجامعي لكل من لديه الرغبة بغض النظر عن موقعه الجغرافي أو وضعه الاجتماعي أو سنه أو مؤهلاته العلمية وتقوم هذه الجامعة بتنظيم مراكز اقليمية تتولى مهام توجيه الطلاب وارشادهم، وتنظيم لقاءات مع اساتذة متخصصين لتبادل المناقشات واعداد برامج تدريبية خلال فترات العطلة لاكتساب بعض المهارات الفنية والعلمية تحت اشراف اساتذة متخصصين وفي النهاية يقوم عدد من اعضاء هيئة التدريس بالجامعات والمعاهد العليا بتقويم المستوى العلمي للطلاب والسادي العلمية والعلمية والعلمية والعلمية عدد من الطلاب (أ) و

واعتمادا على اسلوب تحليل المضمون الكيفى لمواد الراى فى الصحف القومية والحزبية والمعارضة والمتضمصة فى الفترة التى غطتها الدراسة (من أول فبراير إلى أخر أغسطس عام ١٩٨٧) قمنا باستخلاص تصور وزير العليم للجامعة المفتوحة، كما ورد فى تصريحاته بالصحف و وذلك بقراءة الرسالة الصحفية التى ترد فى المضمون وتقدم توضيحا وتعريفا بهذه الجامعة من وجهة نظره •

فقد تبين من نتائج التحليل لمواد الرأى الصحفى، المعتمدة أساسا على الحاديث صحفية اجريت مع وزير التعليم، ورود احد عشر حديثًا، سبعة منها نشرت في الصحف القومية والمجلات وثلاثه نشرت في صحف حزبية (الوفد، ومايو) وحديث واحد نشر في الاهرام الاقتصادى \*

ويمكن أن نبلور وجهة نظر وزير التعليم ومفهومه للجامعة المفتوحة التى ينوى انشاءها فى مصر فيما مؤداه: أن الجامعة المفتوحة جامعة غير تقليدية، من شأنها تحقيق التعليم المستمر، وتطوير وتحديث نظم التعليم، كما تتيح فرصة التعليم أمام الجميع (بكافة الاعمار والطبقات والمستويات) وتعمل على احد ثلاثة مستويات.

- ١ تعليم متكامل مع اعطاء شهادة معترف بها ٠
  - ٢ تدريب العاملين ومحو الامية الوظيفية .
    - ٣ التثقيف العام وتعليم الكبار ٠

وتضم الجامعة المفتوحة - كما يراها وزير التعليم - تخصصات جديدة وغير نمطية، تشمل العلوم الفنية الصناعية والتكنولوجية والتطبيقية والتربوية، والتخصصات التي تهتم بالواقع اليومي، مثل استصلاح الاراضي، والتنمية الريفية، وعلوم الادارة، والميكانيكا، والرياضيات، والاقتصاد المنزلي ويقوم أعضاء هيئات التدريس بالجامعات باعداد المناهج و وتتيح الجامعة المفتوحة للفرد أن يتعلم ذاتيا و وتستخدم البث التليفزيوني والاذاعي ووسائل التعليم الحديثة، كالدوائر التليفزيونية المغلقة وشرائط الفيديو كاسيت، الي جانب المذكرات والمطبوعات التي يتلقاها الطالب بالمراسلة ويتم استخدام الوسائل الثلاث (المراسلة والبث التليفزيوني وشرائط الفيديو) ويتم استخدام الوسائل الثلاث (المراسلة والبث التليفزيوني وشرائط الفيديو) والمعلم في مكان واحد و هذا بالاضافة الى أنه يتم تنظيم لقاءات اسبوعية والمعلم وياسائذة للاستفسار عن بعض الموضوعات وذلك بالاتفاق مع مراكز الشباب أو الجامعات التقليدية و وتصل مدة الدراسة بها الى ٣٦ اسبوعا وليس من المحتم أن يتفق موعد بدء الدراسة بها مع الجامعات التقليدية (أ) وليس من المحتم أن يتفق موعد بدء الدراسة بها مع الجامعات التقليدية (أ)

من هنا يمكننا القول أن هناك اتفاقا عاما حول تعريف الجامعة المفتوحة وعدم وجود خطوط فاصلة بين المفهوم النظرى أو المفهوم الذي يتبناه وزير التعليم، برئاسة التعليم، فمن واقع التقرير الذي قدمته اللجنة التي كونها وزير التعليم، برئاسة نائب رئيس جامعة القاهر ، لدراسة امكانات انشاء الجامعة المفتوحة في ابريل ۱۹۸۷ ، والمنكرة التي اعدها الخبير الإنجليزي ا • ب • أد نجتون بصدد انشاء جامعة مفتوحة في مصر ، واللقاء الذي اجراه المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية مع وزير التعليم في العام نفسه ، تبين اتساق المفهوم الذي طرحه الوزير حول الجامعة المفتوحة مع المفاهيم النظرية الورادة في المراجع والندوات المصرية العربية •

أما فيما يتعلق بمفهوم الجامعة المفتوحة الذى تبلور واضحا فى الآراء الصحفية المختلفة، فقد تبين حرص الآراء الصحفية التى تؤيد انشاء جامعة مفتوحة فى مصر على ابراز مفهوم شامل لما تعنيه الجامعة المفتوحة، ومتسق مع التعريف القاموسى والنظري والرسمى الذي طرحه وزير التعليم • كما تبين الاتفاق نفسه لدى الآراء الصحفية التي تتسم بقبول الفكرة في اطار شروط وتحذيرات، والآراء المحايدة وابرزت النتائج أيضا وجود اتفاق عام مع اختلاءات بسيطة في ابراز الجوانب المتعددة لتعريف الجامعة المفتوحة •

أما الاتجاة المعارض والرافض لفكرة انشاء جامعة مفتوحة فقد ندر تناوله لمفهوم محدد يعكس منطق المعارضة الذي يتبناه ، كما أن الأراء التي بلورت المفهوم وعارضت الفكرة قد اتفقت مع أراء الاتجاهات الاخرى (المؤيدة والمحذرة والمحايدة) في بعض الجوانب، ولم تظهر خطوط فاصلة بين المفاهيم المتبناه لدى كافة الاتجاهات حول تحديد ماهية الجامعة المفتوحة ،

## ١- جوانب الاتفاق حول طرح مفهوم للجامعة المفتوحة

حرصت الآراء الصحفية المتعددة، سواء التى تبنت اتجاه القبول والتأييد أو اتجاه القبول في اطار شروط وتحذيرات أو اتجاه صحايد أو اتجاه الرفض أو المعارضة، على ابراز الجانب الخاص بأن الجامعة المفتوحة هي واحدة من أشكال التعليم المستمر التى تعطى فرصة التعليم الجامعي لكل من يريد التعليم بلا حدود أو قيود أو شروط، أى التي لا تشترط مؤهلات ولا عمرا بالذات ولا تفرغا للدراسة (۱۰).

واتفقت الآراء ذات الاتجاه التأييدى واتجاه القبول في اطار شروط والمحايدة على اعتماد الجامعة المفتوحة على برامج خاصة في التليفزيون والاذاعة والمراسلة "بالبريد (بارسال كتب وتوضيحات وتحضير اجتماعات فصلية في مختلف انحاء البلاد)، والفيديو كاسيت والكمبيوتر، وغيرها من وسائل الاتمال التي تقوم على التعليم الذاتي دون وجود اتصال مباشر. فهي تعتمد على التدريس عن بعد ونقل العلم الى الطائب في الاوقات والامكنة التي تناسبه (۱۱)،

واوضحت الاتجاهات المؤيدة للفكرة والمؤيدة في اطار شروط والمحايدة نوعية التخصصات والاولويات التعليمية في الجامعة المفتوحة المزمع انشاؤها في مصر، وحددتها في التخصصات الفنية والتكنولوجية والتطبيقية والحرفية وبرامج التثقيف العام – مع البعد عن الدراسات النظرية – وفي التأهيل العلمي لوظائف بعينها(١٧٠). كما اتفقت الآراء المحايدة لفكرة انشاء جامعة مفتوحة فى مصر والمعارضة لها على ان انشاء جامعة مفتوحة فى البلاد لا يلزم الدولة بتعيين الحاصلين على الشهادات التي تمنحها(١٣) •

ب حوانب التفرد والاختلاف حول مفهوم الجامعة المفتوحة .

ابرزت نتائج الدراسة وجود بعض الاختلافات في طرح مفهوم الجامعة المفترحة ·

فقد تبين أنه في الوقت الذي اتفقت فيه مختلف الاتجاهات المؤيدة والمعارضة وما بينهما على أن التعليم المفتوح يعنى أعطاء فرصة التعليم بلا حدود أو قيود لمن يريد في أي وقت مادام الانسان على قيدالحياة (وهذا يتسق مع فلسفة التعليم المستمر التي تعد واحدة من الروافد الاساسية في تعريف الجامعة المفتوحة الذي طرحه مختلف الآراء)، فأن الاتجاء المؤيد لفكرة أنشاء جامعة مفتوحة في مصر أنفرد بوضع شروط للالتحاق بهذه الجامعة وحصرها في الحاصلين على الثانوية العامة أو الغنية، وأمضوا في العمل عدة سنوات (31) ه

ويمكننا هنا القول بأن هذه الآراء التي حددت شروطا للالتحاق بالجامعة المفتوحة قد تناقضت مع التعريف القاموسي والشائع للجامعة المفتوحة، والتعريف الذي طرحه وزير التعليم في الصحافة المصرية.

وانفردت الآراء التى وردت فى اتجاه التأييد لانشاء الجامعة المفتوحة بامكانية أن تقوم هيئة غير حكومية بتطبيقها، وأن تشارك المصانع والشركات فى وضع بر مجها ومواردها، كى تصبح كليات لخدمة الفرد والمجتمع (۱۰) و هذا الى جانب التأكيد فى احدها على أن تكون جامعة عربية تجمع الامكانات العربية العلمية والمادية (۱۰). بينما يشير رأى آخر ورد فى اتجاه التأييد لها أن تكون جامعة شاملة متكاملة تتضمن الجامعة التقليدية والتكنولوجية التطبيقية والبيئية المفتوحة (۱۷) و ورد رأى محايد لا يجد أية مشكلة فى أنشاء كليات نظرية بالجامعة المفتوحة ليست بديلا عن الجامعات التقليدية وليست نوعا من انواع تطوير التعليم (۱۸) و

من ثم يمكننا القول بوجود اتفاق عام فى الخطوط الاساسية للتعريف بالجامعة المفتوحة فى الصحافة المصرية القومية والحزبية والمعارضة، وعدم وجود خطوط فاصلة بين المفاهيم المتبناه •

## ثالثا - حجج التاييد والمعارضة والتحذيرات المطروحة في الصحافة المصرية حول انشاء جامعة مفتوحة في مصر:

استنادا الى ما نشر فى الصحافة المصرية القومية والحزبية بصدد فكرة انشاء جامعة مفتوحة فى مصر، يمكننا أن نحدد منطق المعارضين ومنطق المؤيدين للفكرة و واعتمادا على اسلوب تحليل المضمون الكيفى يمكننا تبيان الحجج ووجهات النظر المتعددة حول الفكرة المطروحة للمشروع، واضعين فى الاعتبار تصنيف الاتجاهات الصحفية بين التأييد والمعارضة لانشاء جامعة مفتوحة فى مصر •

#### ١ - اتجاه القبول والتابيد:

حرصت الاتجاهات المؤيدة للجامعة المفتوحة على ابراز كافة الججج والاسباب والاهداف الايجابية التي تؤكد على اهمية انشائها في مصر وضرورته • فقد تبين من نتائج التحليل الكيفي لمواد الرأى في الصحافة المصرية ورود حجج رسمية ابداها وزير التعليم ومؤداها:

- ١- أن الجامعة المفتوحة هي نظام مأخوذ به في العديد من دول العالم، وأن
   مصر ليست الدولة الوحيدة التي تسعى الى انشائها •
- ٧ ومن شانها تخفيف الضغط على مؤسسات التعليم العالى ، واتاحة فرص التعليم الجامعى للكافة معن حصلوا على الثانوية العامة ولم يجدوا مكانا في الجامعات ولمن حرموا منها لظروف اجتماعية أو اقتصادية أو جغرافية كحق من حقوق الانسان للتعليم مادام على قيد الحياة، وبذلك يحقق فلسفة التعليم المستمر ويوفر ديمقراطية التعليم ٥
- ٣- إلى جانب (هميتها الاقتصادية التى تتضمن توفير الأموال الصعبة الباهظة التى تنفق لاستكمال الطلاب لتعليمهم العالى فى جامعة بيروت العربية أو الجامعة الأمريكية بمصر أو الجامعات الأوروبية، والاستفادة من هذه العملات الصعبة فى الانفاق التعليمى داخل مصر مع عدم تكلفة الدولة بأية أعباء مالية.

- ٤ وأن أنشاءها يكون في أطار خطة الدولة لرفع مستوى التعليم ، حيث ثبت فشل نظام الانتساب ، وعدم جدواه مما دعى الى الغائه •
  - ٥ والاهتمام بالتخصصات التي تحتاجها الدولة فعلبا ٠
- بالاضافة الى انها سوف تتبح للانسان المصرى أن يعمل ويتعلم فى
   الوقت نفسه. وبهذا تحقق تطلعات قومية منها تشجيع ممارسة التعليم
   المستمر، والقضاء على الأمية الثقافية، وملاحقة العلوم الحديثة
   والتكنولوجية •
- ٧ وبخاصة أن نفقات أنشائها ستكلف الدولة ثلث أنشاء جامعة تقليدية ،
   ويتحمل الفرد قدرا من المصروفات •
- ٨ إلى جانب أن اليابان قد قدمت عرضا بانشائها مجانا فى مصر،
   وقدمت منحة قدرها خمسة ملايين جنيه للبدء فى هذا المشروع. وتم
   التوصل إلى الاستفادة بخبرات اليونسكو فى هذا المجال (٢٠).

وبهذا اتفقت كافة الآراء الصحفية التي اتجهت نحو القبول والتأييد لفكرة انشاء جامعة مفتوحة في مصر في تناولها لحجج التأييد مع ما ابداه وزير التعليم من أراء وافكار(٢١) •

### ب- اتجاه القبول في اطار شروط وتحذيرات:

عنى أصحاب هذا الاتجاه بابراز تأييدهم لفكرة مشروع الجامعة المفتوحة في اطار شروط وتحذيرات تضمنت مايلي:

- ١ أن الاعداد للمشروع يحتاج إلى مالا يقل عن ثلاث سنوات.
- ٧ ويحتاج إلى دراسات مستفيضة حول جدوى هذا النوع من التعليم، وعقد عشرات اللجان من المتخصصين التربويين والاكاديميين لتحديد كل ما يتعلق بتصورات الجامعة المفتوحة من حيث التخصصات والمقررات والامكانيات التعليمية المتاحة والفئات التى يمكنها الانتحاق بها ٠
  - ٣ ويحتاج إلى إعداد جهاز تنظيمي متفرغ.
- ٤ والى الاستعانة بأحدث الاساليب المرئية في التوضيح وبريد سريع
   كفء واعداد البرامج التعليمية •

- ٥ كما أكد اصحاب هذا الانجاه ضرورة تقييم مشروع اعادة تأهيل
   معلمي المرحلة الاساسية قبل البدء في مشروع الجامعة المفتوحة ٠
- ٦ وأهمية دراسة علاقة هذه الجامعة بالنظام التعليمي وتأثيرها عليه ٠
- ٧ والبحث في الآثار الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للجامعة
- ٨ ضرورة ربط الاجر بالعمل وليس بالشهادة وتغيير النظرة الاجتماعية
   للحاصلين على الشهادات غير الجامعية
- ٩ واهمية تحديد واقعنا التعليمي واحتياجاتنا الفعلية من الوظائف
   والاعمال التي من شأنها تحقيق التنمية للمجتمع بحيث تعنى بها
   الجامعة المفتوحة (مثل تأهيل المعلمين والتأهيل الفنى العالى
  - ' والتلمذة الصناعية) •
- ١٠ مع مراعاة ألا تكون الدولة ملزمة بتعيين خريجيها عن طريق القوى
   العاملة.

بالاضافة الى ذلك لم يغفل اصحاب اتجاه القبول في اطار شروط وتحذيرات، تناول حجج القبول من حيث القيم الايديولوجية المتعلقة باتاحة الفرصة للتعليم كحق من حقوق الانسان وفي أى وقت يريد، وعلى اساس أن الجامعات الحالية لا تستوعب الاعداد المتزايدة للحاصلين على الثانوية العامة كما انهم حرصوا على ابراز أن هذا النظام التعليمي المفتوح يعد بديلا اكثر جدية وفائدة من نظام الانتساب، وأن الجامعة المفتوحة تعد فكرة رائدة تشرف عليها الحكومة مع استخدام أحدث وسائل العلم والتكنولوجية والاجهزة الحديثة، وأن من شأن انشائها تحقيق الربط بين التعليم والعمل وزيادة الانتاج.

ونلحظ أنه مع ادراك هذا الرأى للجوانب الايجابية للجامعة المفتوحة، وحرصا على طرح شروط ينبغى توافرها قبل البدء فى انشائها، فان أصحاب هذا الرأى اكدوا على أن هناك ضرورة فى استكمال احتياجات الجامعات الحالية ماديا وبشريا قبل التفكير فى انشاء جامعة جديدة، بحيث تؤدى هذه الجامعات دورها على الوجه الاكمل(٢٦)،

#### ح- الاتجاه المحايد:

تبين من نتائج تحليل المضمون الكيفي لمواد الرأى التي ظهرت في كافة الصحف القومية والحزبية والمجلات وجريدة صوت العرب (في الفترة الزمنية من أول فبراير إلى آخر أغسطس عام ١٩٨٧) أن الاتجاه المحايد انحصر في تحقيقين بجريدتي أخبار اليوم والوفد، عنيت فيهما الصحيفتان بابراز وجهتى النظر المؤيدة والمعارضة بحججها المتباينة دون تبن أو تحبيذ لاحداهما دون الاخرى.

فقد وردت حجج التأييد لانشاء جامعة مفتوحة في مصر متضعنة أن الجامعة المفتوحة تعد ضرورة قصوى لاتاحة الفرصة لكل من لم ينل تعليمه العالى سواء من الطلاب الحاصلين على مجاميع لم تؤهلهم للالتحاق بالجامعات والمعاهد العليا أو الحاصلين على شهادات متوسطة، كما أنها فكرة جيدة من الناحية العملية والفنية، حيث تواجه مشكلات ازدياد عدد الطلاب المستمر وتكدسهم في قاعات الدرس، وتحل مشكلة نقص المبانى والمعامل المستمر والاجهزة والمتطلبات الضرورية للتحصيل العلمي واكتساب المهارات الفنية المطلوبة وانها أفضل من الانتساب بالجامعات أما من الناحية الاجتماعية الاقتصادية فلنها تحقق للفرد الصورة الاجتماعية والادبية التي لايقتنع المجتمع بسواها والمتمثلة في الحصول على تعليم جامعي وعال ، إلى جانب انها مواجهة سليمة لاحتمالات الانحراف التي يتعرض لها الطلاب الراغبون في استكمال التعليم الجامعي ويلتحقون بالجامعات الاجنبية خارج مصر و كما انها لا تلزم الدولة بتعيين الخريجين وتهتم بالتخصصات الفنية والتكنولوجية المطلوبة لتحقيق التنمية في المجتمع و

أما حجج المعارضة التى وردت بصدد انشاء الجامعة المفتوحة فى مصر فقد تضمنت أن الجامعة المفتوحة ليست حلا ولا علاجا، وأن الحاجة إليها فى الخارج ليست متوافرة هنا، حيث أن البلاد متخمة بالجامعات وسوق العمل به فائض فى كل التخصصات باعداد رهيبة من الخريجين الذين لا يتوافر لهم عمل وأن الاتجاه لانشاء جامعة مفتوحة يعد ضربا للجامعات القائمة وأن هناك عجزا فى الامكانات المادية وأعضاء هيئة التدريس بالجامعات، مما يدعو إلى أهمية تحسين أوضاع الجامعات الحالية التي

تتردى من سىء إلى أسوأ، وأن التخصصات النادرة التى يمكن أن تقوم بها الجامعة المفتوحة يمكن ادخالها في الجامعات القائمة و أنه لا يمكن قيام جامعة بدون اتصال مباشر بين الدارس والاستاذ الجامعي، ولا يوجد فروق بين الجامعات المفتوحة ونظام الانتساب بحيث يمكن استخدام فكرتها في الجامعات الحالية لتقليل الضغط على المدرجات وأنه لا يمكن أن يستفيد الطالب من التقدم التكنولوجي عن طريق وسائل الاعلام دون الممارسة العملية والى جانب سوء الخدمة البريدية في انحاء الجمهورية وصعوبة تخصيص قناة تليفزيونية لهذا النوع من التعليم، إلى جانب أنه لا يتناسب مع وضع الريف الذي لايتوافر به الكهرباء وبالإضافة الى أن خريجيها سيكونون مصدر ضغط كبير على الدولة كي تقوم بتعيينهم(٢٣٠).

#### د- اتجام الرفض والمعارضة:

حرصت الآراء التى وردت فى الصحافة المصرية واتسعت بالرفض والمعارضة لفكرة انشاء جامعة مفتوحة فى مصر على اعطاء صورة شاملة لكافة الحجج الفنية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى تؤكد عدم ضرورة انشاء هذه الجامعة. فقد جاء بها:

- ١ أن انشاء الجامعة المفتوحة في مصر يمثل تناقضا واضحا لسياسة الدولة والجامعات من حيث خفض الاعداد المقبولة لرفع كفاءة العملية التعليمية، ولما استقر الرأى عليه من حاجة الدولة الملحة للتعليم الفنى المتوسط وفوق المتوسط •
- ٢ بالاضافة الى الانتكاسة التي ستحدث للمعاهد الجالية كمؤسسات علمية تطبيقية.
- ٣- وما سيحدث عن تشتت لاعضاء هيئة التدريس لعدم كفايتهم لهذا
   العبء الجديد .
- ٤ الى جانب ضعف الاتصال العلمى المداشر والمستمر بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس فى هذا النوع من التعليم، مما يجعل هذه الجامعة لن تحقق الهدف الاساسى منها وهو رفع المستوى العلمى للجامعات •

- ٥ كما أنه سيحدث بالقطع تفرقة فى المعاملة بين خريجى الجامعة المفتوحة وخريجي الجامعات الاخرى.
- ٦ وأن من شأن هذه الجامعة المفتوحة أن تحول العمال الفنيين الذين نشكو نقصا في تخصصاتهم الى العزوف عن الورش والاهتمام بالدراسة الأكاديمية النظرية، وتفقد الدولة عناصر مدربة.
- ٧ و إن معظم التخصصات المقترحة لهذه الجامعة ليست الدولة في حاجة
   اليها عما سيكون من شأنه تكدس الخريجين العاطلين •
- ٨ وورد ايضا أنه من الافضل مواجهة مشكلاتنا التعليمية القائمة بدلا
   من اضافة عبء جديد إليها .
- ٩ وأن من شأن انشائها الحد من تكافؤ الفرص، حيث سيلغى مكتب التنسيق ويفتح الباب على مصراعيه لحملة الدبلومات الزراعية والتجارية والصناعية فضلا عن الثانوية العامة والحاصلين على هذه الشهادات من أعوام سابقة وبالتالى اصافة أعباء جديدة وضغوط على الدولة •
- ١٠ وأن انشاءها بعد اهدارا للمال العام وعدم ترشيد الاستهلاك للانفاق الاستثماري في التعليم.

وورد رأيان في «الجمهورية» و «الاحرار» يؤكدان على أن الجامعة الأهلية يمكن أن تقدم للبلاد الطبيب المتمرس والمهندس ذا الخبرة والكيميائي والمهندس الزراعي، وهي التي من شأنها توفير نفقات تعليم أبناء مصر دون أعباء على الدولة، وبخاصة أن الجامعة المصرية المفتوحة المقترحة لا تتوخى ذات الاهداف التي تخدمها الجامعة الانجليزية المفتوحة (٢٤) «

من ثم يمكننا القول أن كافة التوجهات الصحفية قد حرصت على ابراز كافة النقاط الايديولوجية والاقتصادية والاجتماعية والفنية الخلافية المثارة حول اقتراح وزير التعليم بضرورة انشاء جامعة مفتوحة في مصر \* وقد تبين من النتائج التي أشرنا إليها تفصيلا أن كافة الآراء الصحفية، سواء التي اتسمت بالقبول للفكرة أو المعارضة إياها بدرجاتها المختلفة، قد أكدت على ابعاد قضية التعليم الجامعي في المجتمع المصري وضرورة حل مشكلاته ورفع مستوى التعليم وضعا في الاعتبار لعب، التعليم على ميزانية الدولة وضرورة ترشيد الانفاق الحكومي على التعليم العالى والجامعي • والا أن الخلاف يكمن بالنسبة لمسألة انشاء جامعة مفتوحة في مصر على اساس أن انشاءها سيزيد المشكلات التعليمية تفاقما ، بينما أن الرأى المؤيد لها يجد فيها حلا لكافة المشكلات • هذا الى جانب أن كافة الأراء اجمعت على أهمية دراسة جدوى فكرة انشاء هذه الجامعة وما يحيط بها من ضرورات ينبغى مراعاتها قبل البدء فيها •

ويمكننا الاشارة إلى أن هناك رأيين معارضين لانشاء جامعة مفتوحة فى مصر ، يرى اولهما أنه من الافضل أصلاح وتطوير التعليم الجامعى والعالى القائم، وذهب الآخر إلى أن الجامعة الأهلية هى الأسلوب الأجدى لمواجهة قضية التعليم فى مصر المتمثلة فى ازدياد العبء على الدولة ·

### رابعا - نماذج للجامعات المفتوحة تطرحها الصحافة المصرية:

مما لاشك فيه أن هناك أهمية واضحة لتجديد مدى المام الصحافة المصرية بنوعيات تطبيقية للجامعة المفتوحة سواء على المستوى المحلى أو العربي أو الاجنبي، والامثلة المحددة التي يبرزها كل اتجاه من الاتجاهات المريدة أو المعارضة للجامعة المفتوحة في مصر • فان هذا من شأنه أن يبين التلاقي والتباعد بين الآراء الموجهة للتأثير على الرأى العام في مصر وبين الراى الرسمي الذي تمثله التوجهات الرسمية بترجيح أمثلة بعينها للجامعة المفتوحة المتبناه في مصر أو الكشف عن وجود للجامعة المفتوحة بمصر دون تسميتها فعليا •

## أ- اتجاه القبول والتأييد:

ورد في الاحاديث الصحفية والتحقيقات التي نشرت في الصحافة المصرية ممثلة لتصريحات وزير التعليم العديد من الامثلة والنماذج التطبيقية للجامعة المفتوحة. منها نموذج محلى هو «مشروع اعادة تأهيل معلمي المرحلة الابتدائية (مرحلة التعليم الاساسي) « الذي يعد التربويين للحصول على درجة البكالوريوس في التربية من كلية الدراسات التربوية عن طريق استخدام التلفزيون واللقاءات والمحاضرات والمطبوعات. إلى جانب التأكيد على نموذج الجامعة المفتوحة في انجلترا ، والتي تعد تجربة رائدة في مجال التعليم المفتوح ( افتتحترسميا عام ۱۹۷۰ ) ، وتضم ستكليات نظرية وعملية على

وتكنولوجية ، ولها رئيس ونائب رئيس ومجلس ادارى ومجلس تعليمى ، وطلابها يحصلون على البكالوريوس والدراسات العليا ، وبلغ عدد طلابها فى عام ١٩٨٦ حوالى ١٩٨٨ ألف طالب . كما ذكرت نماذج آخرى للجامعة المفتوحة متوافرة فى العالم ، سواء فى امريكا أو الاتحاد السوفيتى وفرنسا والسويد واليابان وهولندا واسبانيا والمانيا الشرقية وتايلاند • (٢٥) •

أما في مجال الراي الصحفي للكتاب والمتخصصين، فقد تبين من نتائج تحليل المضمون لما ورد في كافة الصحف المصرية في اتجاه القبول والتأييد لانشاء جامعة مفتوحة في مصر ورود نموذج تجربة تأهيل معلمي المرحلة الابتدائية، وهو نموذج محلى إلى جانب أنه قد تم الإشارة إلى نماذج أخرى وأمثلة للجامعات المفتوحة في ١٩ جامعة مفتوحة في دول العالم، ككليات خدمة المجتمع في الولايات المتحدة وإنجلترا وكندا واستراليا والهند واليابان والصين والاتحاد السوفيتي، مع ذكر أن أكبر هذه الجامعات في الصين ، واغناها في اليابان ، وأصغرها في كوستاريكا . بالاضافة إلى ورود نموذج لمشروع جامعة القدس المفتوحة (ومقرها عمان/ الاردن). وذكر أصحاب هذا الاتجاء أن أبرز مثال للجامعة في بريطانيا ، حيث تقدم المادة العلمية للدارسين عن بعد وترسلها للطلاب في منازلهم. وتسمح للطلاب أن يدرسوا بما يتناسب مع قدراتهم، وتسمع لهم بالعودة للدراسة في الوقت الذي يناسبهم، واختيار عدد المواد والبرامج من بين الانظمة الكثيرة المتاحة لهم، ولا تشترط أي مؤهلات عند الالتحاق، وتعطى درجة جامعية عند الانتهاء من الامتحانات النهائية لهذه الجامعة ، كما تمنح درجات علمية عالية • و يعتمد التدريس بها على الاذاعة والتليفزيون، ويقضى الطالب من ١٠ الى ١٤ ساعة في الأسبوع لمدة ٣٢ اسبوعا لدراسة المنهج الواحد أو المادة الواحدة، ويتسلم المادة الدراسية بالبريد، ويقضى اسبوعا في احدى المدارس الصيفية (٢٦) •

## ب - اتجاه القبول في اطار شروط وتحذيرات:

وقد تبين من نتائج التحليل أيضا أن أصحاب هذا الاتجاه قد ذكروا الكثير من الامثلة والنماذج المطروحة للجامعة المفتوحة. حيث ورد في مقالاتهم وموضوعاتهم الصحفية مشروع معلمي المرحلة الابتدائية كمشروع مشابه لمشروع الجامعة المفتوحة والى جانب ذكر امثلة للجامعات المفتوحة في بريطانيا واستراليا وكندا (وهي بلاد تتباعد فيها المسافات وتقل كثافة السكان) وامريكا واليابان وهولندا واسبانيا وفرنسا وقد حدد هذا الاتجاه أن من أهم التجارب الرائدة في هذا المجال التجربة البريطانية ،(وقد اشرنا اليها في الفقرة السابقة) وتضع المناهج بها وقرق المناهج وهي مجموعة من الأكاديميين ويتعاون معهم بعض مخرجي الاناعة والتليفزيون وعضو من معهد تكنولوجيا التربية التابع للجامعة ومهمته تقديم المشورة بالنسبة لبناء المنهج وقعد متكافقة الجامعة التقليدية ، لانها لا تحتاج إلى مرافق وخدمات ، وكلما ازداد عدد الطلاب قلت التكلفة(٢٧).

#### جـ- الاتجام المحايد:

اشار أصحاب الراى المحايد ازاء انشاء جامعة مفتوحة في مصر إلى الأمثلة ذاتها، وهي برنامج تدريب معلمي المرحلة الابتدائية والجامعة المفتوحة في انجلترا وفرنسا. وان كانوا قد اضافوا نموذج جامعة في الهواء باذاعة الاسكندرية (٢٨).

## د - اتجاه الرفض والمعارضة:

لم يأت نكر لامثلة أو تطبيقات لجامعات مفتوحة سوى للجامعة البريطانية المفتوحة كنموذج أصيل للتعليم المفتوح في العالم، تقبل كل من له قابلية على الاستزادة من العلم في أي مجال بصرف النظر عن مؤهله، ومن هنا تحقق فلسفة تأهيل من وفاتهم قطار التعليم ، وتعتبر بهذا ترضية اجتماعية ونفسية لكل المواطنين و أن مثل هذا التأهيل لا يلزم الدولة بتعيين الحاصلين على المؤهل، ويصبح بمثابة رفع المستوى العلمي في المجتمع وقد اكد كاتب هذا المقال أن المشروع المقترح للجامعة المفتوحة في مصر لا يتوخى ذات الاهداف التي تخدمها الجامعة الانجليزية مما دعا إلى

اما الاستجابات الاخرى التى وردت، ولا تدخل تحت التصنيف الذى اعتمدنا عليه فى عرض نتائجنا، فقد جاء بها أن الجامعة المفتوحة ليست جديدة على مصر، مشيرة فى ذلك إلى الجامعة الشعبية (\* أ. بالاضافة إلى

أنتست الجاسعة الشعبية بقرار وراري في ١٠ اكتوبر ١٩٤٥ مقصد نشر التقافة مين اهراد
 الشعب وتطيم وتتقيف الكمار من الرحال والسماء دول استرط الإحرام مراهلات معينة ولكل بشرط الاح

مشروع تأهيل معلمي المرحلة الابتدائية الذي تخرج منه أولى الدفعات وتضم ما يقرب من ٣٥ الف دارس ودارسة (٢٠٠٠) .

#### الخاتمة

الجدل الفكرى فيما يتعلق بالجامعة المفتوحة في ضوء الصراع الايديولوجي حول اصلاح سياسة التعليم الجامعي:

يسود اتفاق عام لدى كافة الرؤى الرسمية وغير الرسمية والاشتراكية والراسمالية على أن النظام التعليمي بعامة والجامعي بخاصة يمر بازمة. واستنادا إلى دراسة حول الجدل الفكرى في الصحافة حول السياسة التعليمية (تتضمن الفترة الزمنية من مايو إلى اكتوبر ١٩٨٦) (٢١) تبين بروز اتجاهات ثلاثة أساسية.

الاتجاه الأول: يرتبط انصاره بتطبيق القيم الاشتراكية في مجال التعليم، وبخاصة فيما يتعلق بالمبادىء الاساسية، كتكافؤ الفرص والمجانية وانفراد الدولة بانشاء مؤسسات التعليم الجامعى • وعارضوا بشدة كل محاولات التغيير التي تعدف الى تقليص دائرة المجانية أو السماح بامتيازات لبعض الفئات، كانشاء جامعة اهلية بمصروفات •

وهو اتجاه يرى البعض أنه يتجاهل الظروف الاقتصادية التي تمر بها البلاد، وتزايد السكان بما يفرضه من توفير منشآت تعليمية جديدة، ووجود مؤسسات التعليم الخاص والاجنبي بالفعل •

أما الاتجاه الثاني: فهو يعكس الروية الراسمالية التي ترى ضرورة

<sup>=</sup> تقلّ سن الطّالب عن السائسة عشرة وان يكون ملماً بالقراءة والكتابة - وتستخدم في التدريس اساليب متعددة هي . السينما والفانوس السحري والمصورات والاجهزة . فضلا عن تنظيم زيارات للأمكنة الاثرية والمعارض والمتاحف والمؤسسات الثقافية .

وفى ١٧ مايو ١٩٤٩ صدر مرسوم ملكى بتغيير اسمها لتكون مؤسسة الثقافة الشعبية ، دفعاً للالتباس مع الدراسة الجامعية وقد عنيت هذه المؤسسة بالدراسات السياسية والاجتماعية والتاريخية والأدبية والعلمية والمهنبة والتقافية وانصحية والنسوية والفنون الجميلة واللفات الحية -

أنظر في ذلك ساطع الحصري، حولية التقافة العربية، السنة الأولى، حامعة الدول العربية -الادارة التقاميمة مطبعة لمجتنة التاليمف والترجمية والنشر، القاهمرة، 1989، ص. ص. 280 - 200

ابتعاد الدولة عن التدخل المستمر فى كافة انشطة المجتمع بما فيها المجال التعليمى • وتؤكد على ضرورة ترك المبادأة للقطاع الخاص، بحيث يحقق الربح الذى لا يتناقض مع خدمة المجتمع.

ويتسم الاتجاه الثالث: بالتركيز على الجوانب الفنية التفصيلية التى لا تنطلق من رؤية ايديولوجية محددة •

أما فيما يتعلق بالاتجاهات التي استخلصناها من الجدل الصحفى المثار بصدد انشاء الجامعة المفتوحة في مصر، فقد توافر اتفاق عام في الخطوط الاساسية للجامعة المفتوحة • ولا يمكن رد الخلاف الظاهر الى اتجاهات سياسية فاصلة، وانما الى توجهات جزئية ازاء قضية كلية مهمة •

ويمكننا -بناء على هذه الدراسة التحليلية - أن نؤكد أن كافة الآراء والتوجهات قد اتفقت على ضرورة حل مشكلات التعليم الجامعي ورفع المستوى العلمي واضعين في الاعتبار عبء التعليم على ميزانية الدولة \* هذا الى جانب اهمية القيام بدراسات حول مشروع انشاء الجامعة المفتوحة في مصر قبل البدء فيها \* ألا أن الخلاف ظهر في توجهات تمثل المعارضة للمشروع \* وقد ظهر هذا التوجه في الصحف القومية وجريدة الاحرار الحزبية \* ويرى اصحاب هذا الرأى أن أنشاء الجامعة المفتوحة سيزيد المشكلات التعليمية تفاقما ، على العكس من المؤيدين الذين يجدونها حلا لكافة المشكلات . وهو خلاف لا يعكس توجها ايديولوجيا .

وقد ظهر واضحا أن التوجه الأيديولوجي الحزبي لم يبد سوى في جريدة الأحرار ، التي ناصرت رأى رجال الأعمال ، بعدائها الحاد للجامعة المفتوحة وتأكيدها على أفضلية إنشاء جامعة أهلية ، على أساس انها الأجدى لمواجهة قضية التعليم في مصر ، والمتمثلة في رأيهم في ازدياد العبء المستمر على الدولة . أما جريدة الوفد فلم تتبن وجهة نظر أيديولوجية حيث حرصت على الدولة . أما جريدة النظر الرسمية والآراء الخلاقية على السواء • وكذلك ظهر اتجاه جريده الأهالي اليسارية نحو القبول المشروط للفكرة بلا أية خطوط تقصله عما سواه من اتجاهات • كما تبين أن الصحافة القومية قد اشارت إلى امكانية قيام هيئة غير حكومية بتطبيق الفكرة ، وهو ما يتفق مع الرؤية الرساسانية .

وفى الوقت نفسه ، لم تظهر خطوط فاصلة بين المفاهيم المتبناة لدى كافة الاتجاهات الصحفية المنشورة حول تعريف ماهية الجامعة المفتوحة.

وعلى الرغم من توافر بعض الاختلافات في طرح المفهوم والمتمثلة في الصحافة القومية لا الحزبية، والتي حددت شروطا للالتحاق بهذه الجامعة وحصرها للقبول بها في الحاصلين على الثانوية العامة او الفنية وامضوا في العمل عدة سنوات، فإن هذا الاختلاف في طرح المفهوم لم يعكس اختلافات ايديولوجية بقدر ما عكس تناقضا مع التعريف السائد والشائع للجامعة المفتوحة • فقد تناقض هذا الطرح مع فلسفة التعليم المفتوح التي تعنى باتاحة فرصة التعليم بلا حدود او قيود ولمن يريد وفي أي وقت يريد •

### المصادر والمراجع

(۱) عواطف عبدالجليل، العلم والحياة، الجمهورية، ۱۹۸۷/۲/۲۸ وكريمة عبد الرازق، توصيات المجلس القومى للتعليم حول الجامعة المفتوحة، الأخبار، ۲۰/۱۹۸۷، وحامد دنيا، الجامعة المفتوحة متى تبدأ، مجلة اكتوبر، ۲۲/۱۹۸۱، وحامد دنيا، الجامعة المفتوحة متى المفتوحة، الأهرام، ۲۹/۵، و ۱۹۸۷/۲۰، ومحسن محمد، المجلس القومى للتعليم يطالب بانشاء الجامعة المفتوحة في مصر، الجمهورية، عام/۱۹۸۷، والسيد عليوة، بعد المؤتمر القومى للتعليم، الأهرام، ۳/۸/۷۸۲، ورجائى شريف، التعليم المستمر وفتح أبواب الجامعات للجميع، الجمهورية، ۲۹۸۷/۸/۳، وصفوت عبدالحليم سند، حول توصيات المؤتمر القومى لتطور التعليم، الأخبار، ۱۹۸۷/۸/۳،

(٢) الجامعة المفتوحة من العام القادم، الأهرام، ١٩٨٧/٣/٢٤. ومحمود عارف، مع وزير التعليم، الأخبار، ١٩٨٧/٤/١. وفتحى سرور وزير التعليم: لابد من ثورة تعليمية تغير الواقع المتخلف، أصحاب العقول الجامدة لن يوقفوا المسيرة، الأخبار، ١٩٨٧/٤/١. ومكتب للقبول بالجامعة المفتوحة، الأهرام، ٢١/١/١٤٨٤. ومصمود عارف بحث خطوات تنفيذ الجامعة المفتوحة، الأخبار، ٢/٤/٢/٢. وتصريحات لوزير التعليم، مايو، ٢٧/٤/٢٧. وسامى مراد، وزير التعليم يعلن، الوفد، ١٩٨٧/٥/١٣ . ومحفوظ الأنصاري وآخرون، د . فتحى سرور وزير التعليم في حوار مع الجمهورية، الجمهورية، ١٩٨٧/٦/٤ . ووزير التعليم يتحدث: الجامعة المفتوحة تركز على التخصصات الفنية، الوفد، ١٩٨٧/٦/٦. ومحمود المناوي، فتحى سرور أمام لجنة التعليم بمجلس الشعب، الأهرام، ١٩٨٧/٦/١٠. وصلاح منتصر، الجامعة المفتوحة، أكتوبر ١٩٨٧/٦/١٤. وبثينة البيلي وإيمان رسلان. الجامعة المفتوحة طريق الراغبين في مزيد من الثقافة، المصور، ١٩٨٧/٧/١٧. ومعالى الوزير في جدول الضرب، الأهرام الاقتصادي، ١٩٨٧/٨/١٧. ومحمد خليفة، وزير التعليم: ومحمد خليفة، وزير التعليم: الجامعة المفتوحة ضرورة ولا قيود على طلابها، الجمهورية ٢٤/٨/١٩٨٧. 39

(٣) كريمة عبد الر"ق، صوفى أبو طالب. رئيس لجنة التعليم بمجلس الشعب يتحدث حول الجامعة المفتوحة، حديث الأخبار، ١٩٨٧/٥/٢٠. وعبد العظيم أنيس، الجامعة المفتوحة والمخاوف المطروحة، مقال وعبد العظيم أنيس، الجامعة المفتوحة والمخاوف المطروحة، مقال الأهالى، ٨/٧/٧٨، والكاتب نفسه، التعليم والحوار الوطنى، مقال، الأهالى، ٨/٧/٧٨، وعلى الدين هلال، الجامعة المفتوحة وسياسة التعليم، الأهرام الاقتصادى، ٤/٥/٧١، وبثينة البيلى، الجامعة المفتوحة في قفص الاتهام، مقال، المصور ١٩٨٧/٢/١، ومحمد أبو مندور، حول مؤتمر المفتوحة لمن، روز اليوسف، ٢/١/١/١٠، ومحمد أبو مندور، حول مؤتمر التعليم، مقال، الأهالى، ٢/١/١/١٠، ويسرى الديدامونى، رؤساء الجامعات يتحدثون عن رؤيتهم للجامعة المفتوحة، مايو، ١٩٨٧/٦/٨.

اليوم، ٢٥/٤/٢٥. والجامعة المفتوحة على مائدة البحث، تحقيق صحفى، الوفد، ١٩٨٧/٧/١٩.

(0) محمود كامل، جامعة مفتوحة ومقفولة، ومقال؛ الأهرام، ٣/٥/٢/٣٠ والكاتب نفسه، وجهة نطر. الانضمام إلى طوابير العواطلية، مقال الأهرام، ٣/٥/١٩/١ . ورجب البنا، جامعة في الهواء، مقال، الأهرام، ٢٩/٥/٢١ . ورجب البنا، جامعة في الهواء، مقال، الأهرام، ٢٩/٥/٢١ . وحمدى النجار، نظرات في إصلاح التعليم، مقال، الجمهورية، ١٩٨٧/٧/١٢ . وفتحى محمد على، اقتراحات لتطوير التعليم، مقال، الجمهورية، ١٩٨٧/٧/٢٤ . ومصطفى كامل مراد، رأى المعارضة تطوير التعليم، مقال، الأحرار، ٢١/٧/٢٢٧ . وشهيرة الرافعي . د. فتحى محمد على، تطوير وتحديات التعليم في مصر، تحقيق صحفى، الأهرام الاقتصادى، ٢٩/٧/٢٧٧ . ومحمد أبراهيم . أنى اعترض على أنشاء الجامعة المفتوحة، مقال، الأخبار، ١٩٨٧/٨/٢٨ .

(٦) يوسف عز الدين ومحمد خليفة، ٣ قضايا هامة أمام المؤتمر
 القومى للتعليم، تحقيق صحفى، الجمهورية، ٢/٢/٧٨.

Encyclopedeia, Britannica, Vol. VII.P. 547 ( Y )

(٨) أنظر الى المفاهيم المتعددة للجامعة المفتوحة في كل من:
 احمد أنيس، الجامعة المفتوحة، دورة المجالس القومية
 المتخصصة. ع: ٢، ابريل – يونيو، ١٩٧٨، ص: ٢٤

وأفنان نظير دروزه، ماهية نظام التعليم في الجامعة المفتوحة، كلية التربية، جامعة النجاح الوطنية، ص ١٠٩. ١١٥.

والجامعات والتعليم المستمر من أجل التنمية، تقرير المجلس القومى للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا، الدورة الثانية عشرة، يونيو ١٩٨٥، ص١٩٢١، ١٢٨٠

والجامعة المفتوحة، نشرة اعلامية، المجالس القومية المتخصصة، م: ٢٧، مايو، ١٩٨٧، صن ٤٥ ــ ٥٤.

والتعليم عن بعد، أعمال الندوة التي نظمها منتدى الفكر العربي وجامعة القدس المفتوحة، عمان الأردن، الطبعة الأولى، مارس ١٩٨٧.

والطالب في جامعات التعليم المفتوح، جامة القدس المفتوحة، ١٩٨٦.

والمجلس العلمي لقسم بحوث وقياسات الرأي العام، المركز القومي للبدوث الاجتماعية والجنائية، لقاء مع وزير التعليم، في ١٩٨٨/١/١٠ ومدخل إلى نظم التعليم المفتوح في التعليم العالى، جامعة القدس المفتوحة، الأردن/ عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

وسعد لبيب، دراسات فى العمل التليفزيونى العربى، مركز التوثيق الاعلامى لدول الخليج العربى، بغداد، ١٩٨٤.

وعبد الوهاب البرلسى، التعليم عن بعد والجامعة المفتوحة، محاضرة في جامعة اليرموك. في ١٩٨٧/٢/٢٤، ص ١- ٤.

ومحمد سيف الدين فهمى، بعض استخدامات الاذاعة والتليفزيون في التعليم الجامعي، ورقة غير منشورة.

ومحمد شحات حسين خطيب، ادارة النظام التعليمي في الجامعة المفتوحة، كلية التربية، جامعة الملك سعود، ص ١٢٥ ـ ١٣٥ ـ

ومحمد محمود رضوان، الجامعة المفتوحة، الرائد، مجلة المعلمين،

ع: ٤، ديسمبر ١٩٧٨، ص ٢ - ٣٠

وه. س ويلتشاير . ترجمة عثمان لبيب قراج . الجامعة المفتوحة . مجلة مستقبل التربية . اليونسكو . ع : ٣ . يوليو \_ سبتمبر ١٩٧٣ . ص ٤٣٤ . ٤٣٤ و ٤٣٢ \_ ٤٣٣ .

ويوسف مصطفى القاضى، مجالات الجامعة المفتوحة الاثيرية فى خذمة الاسلام، مجلة اتحاد الجامعات العربية، القاهرة، ع: ١٦ سبتمبر ١٩٧٩، ص. ١٠٠٠.

(P) الأهرام، ۲۲/۱۹۸۷. والأخبار، ۲۱/۱۹۸۷. والأهرام، ۲۱/۱۹۸۷. والأهرام، ۲۲/۱۹۸۷. والأخبار، ۲۲/۱۹۸۷. ومايو، ۲۷/۱۹۸۷. والمصور، والرفد، ۲۱/۱/۱۹۸۰. والمصور، ۱۹۸۷/۱۷۷. والمصور، ۲۱/۱۷۸۷۸. والجمهورية، ۲۱/۱۷۸۷۸. والجمهورية، ۲۱/۱۷۸۷۸.

 $(^{1})$  الاتجاهات المؤيدة في كل من: الجمهورية،  $^{1}$  $^{1$ 

(۱۱) الاتجاهات المؤيدة في: الأخبار، ۱۹۸۷/٤/۳۰. واكتوبر، ۲۲/٤/۲۰. والأهرام، ۲۹/۹ و ۱۹۸۷/۲/۱۰.

الاتجاهات المصدرة في الأهاليي، ١٩٨٧/٤/. والأخبار، ٢٢/٥/٢٢٠. والأخبار، ٢١/٥/٢٢٠.

الاتجامات المحايدة في أخبار اليوم، ٢٥/١٤/١٨.

(۱۲) اخبار اليوم، ۲۵/۱۹۸۷. والأخبار، ۲۲/۱۹۸۷. والأهرام، ۲۹/۱۹۸۷.

(۱۳) اخبار اليوم، ٢٥/٤/٧٥٠. والوفد، ١٩٨٧/٧/٩٠. والأحرار، ١٩٨٧/٨/٣٠.

- (١٥) الأخبار ، ٢٠/٤/٢٠ . والجمهورية ، ١٤/٤ ، ٢٩/١٩٨٧ .
  - ( ۱۲ ) الأمرام ، ٥/٦/٧٨٧ . ( ۱۷ ) الأمرام ، ٣/٨٧/٨٧ .

  - (١٨) الوقد، ١٩٨٧/٧/١٩.
  - (١٩) الجمهورية، ٦/٧/٧٨٠.
- (۲۰) الأهرام، ۱۹۸۷/۳/۲۶ والأخبار، ۱۹۷/۶/۲۱ والأهرام، ۱۹۸۷/۶/۲۱ والأهرام، ۲۱/۵/۷۶۱ والأهرام، ۱۹۸۷/۶/۲۱ والوقد، ۱۹۸۷/۵/۲۱ والأمسرام، والجمهورية، ۲/۲/۱۹۸۶ والوقد، ۲/۲/۷۹۸ والأمسرام، ۱۹۸۷/۲/۱۶ والمصور، ۲/۷/۷/۷۱ والأمرام الاقتصادی، ۱۹۸۷/۸/۱۱ والجمهوریة، ۲/۸۷۸/۲۱ والأمرام الاقتصادی، ۱۹۸۷/۸/۱۱ والجمهوریة، ۲/۸۷۸/۲۱
- (۲۱) الجمهورية، ۲۸/۷/۷۸ والأخبار، ۲۰/۱۹۸۷. واكتوبر، ۲۰/۱۹۸۷. والأهرام، ۲۹/۱۹۸۷. و ۱۹۸۷/۲۸ واکتوبر، ۲۱/۱۹۸۷. والأهرام، ۲۸/۱۹۸۷. والجمهورية، ۱۹۸۷/۸/۲۸ والأخبار، ۲۸/۷/۷۸.
- (۲۲) الأهالي، ۱۹۵۷/۸/۸ . والأهرام الاقتصادي، ۱۹۸۷/۸ . والأخبار، ۱۹۸۷/۸/۲ . والسمصور، ۱۹۸۷/۸/۲ . والسمصور، ۱۹۸۷/۸/۲ . والأهالي، ۷/۸ و ۱۹۸۷/۲/۲۹ . والأهالي، ۷/۸ و ۲۸۷/۷/۲۹ .
  - ( ۲۳ ) اخبار اليوم، ۲۵/٤/۷۸۱، والوقد، ۱۹۸۷/۷/۱۹.
- (۲۶) الأهرام، ۳۰/۱۹۸۷. و ۱۳/۵ و ۲۲/۵/۱۹۸۰. و الجمهوريــة، ۱۹۸۷/۷/۱۲. و ۱۹۸۷/۷/۲۰ والأحــرار، ۱۹۸۷/۷/۲۷ والأحـرار، ۱۹۸۷/۷/۲۷ والأحـرار، ۱۹۸۷/۷/۲۷. والأحـرار، ۱۹۸۷/۸/۲۸.
- (۲۵) الأخبار، ۱۹۸۷/٤/۱. ومايو، ۲۷/٤/۲۷. والوفد، ۱۹۸۵ و ۲/۲/۱۹۸۷.
- (۲۲) الجمهورية، ۲۸/۲/۷۸۸. والأخبار، ۲۰/٤/۱۹۸۷. والأخبار، ۲۰/۱۹۸۷. و ۱۹۸۷/۸/۷۸۰. والأهرام، ۲۹/

- (۲۷) الأمالي، ۱۹۸۷/۶/۸، وروز اليوسف، ۲۲/۲/۱۹۸۷. والأهالي، ۱۹۸۷/۷/۸.
  - ( ۲۸ ) اخبار اليوم، ٢٥/٤/٧٨١ . والوفد، ١٩٨٧/٧/١٩ .
    - (۲۹) الأحرار، ۳/۸/۸۸۲.
    - (۳۰) الجمهورية ، ۲/۷/۷۸۷ .
- (۳۱) نجوى حسين خليل، قضايا الجدل الفكرى فى الصحافة حول السياسة التعليمية. تحليل مضمون الصحافة المصرية من مايو إلى اكتوبر ١٩٨٦، المؤتمر الدولى الثانى عشر للاحصاء والحسابات العلمية والبحوث الاجتماعية والسكانية، القاهرة ۲۸ مارس ـ ۲ ابريل ۱۹۸۷، جامعة عين شمس. ص ۲۰۳ ـ ۲۰۳.

# المجتمع الأردنى من خلال أغانيه السعبية دراسة في الأنروبولوجية النقافية

## احمد الربايعة(★)

#### مقدمة :

يستخدم علماء الاجتماع والانثروبولوجيا طرقا ووسائل كثيرة لدراسة المجتمع وحيوى وتحليل ثقافته ، غير انهم نادرا ما يستعينون بالأغانى الشعبية كمدخل مهم وحيوى لدراسة المجتمع أو كاداة من ادوات البحث والتحليل . ومع أن هؤلاء العلماء يؤكدون أن التراث الشعبى (هولكراتسه ، ١٩٧٧ ، ص ٩٥) عموما – بما في ذلك الأغانى الشعبية – هو ميدان خصب من ميادين دراساتهم ، وأنه ، أي التراث ، أدخل بعلمهم منه بعلم الفلكلور (هولكراتسه ، ١٩٧٧ ، صن ز) ، إلا أنتا لا نكاد نعثر إلا على دراسات جادة قليلة في هذا الصدد (الجوهري ، ١٩٦٨ ، ص ٣٣) ٠

وفى نطاق المجتمع الأردنى، فان الدراسات التى تناولت الأغانى الشعبية كعنصر مهم من عناصر التراث الشعبى، او كجزء من الأدب الشعبى الأردنى (هولكراتسه، ١٩٧٧، ص ٣٧)قد ركزت بصورة اساسية على جمع هذه الأغانى وتسجيلها والمحافظة عليها، بقصد استلهام السمات القومية وتعزيز الهوية الثقافية والشخصية الوطنية. وقد عبر على الخليلى عن هذه الحقيقة عندما اشار الى اأن الاغانى الشعبية الأردنية غالبا ما تكون حيادية الى أنها تقدم دون

المجلة الاجتماعية القومية

المجك السادس والعشرون يتاير ١٩٨٩

 <sup>★</sup> تكتوراه في علم الاجتماع، استاذ علم الاجتماع المساعد، كلية الاداب، الجامعة الاردنية، عمان \*

محاولة لتحليلها أو سبر غور الوجود الاجتماعي الكامن من ورائها (الخليلي، ١٩٧٧، ص ٣٤)٠

ومع ذلك، فهناك دراسات قليلة قد أشارت الى بعض الظواهر والقوى الاجتماعية التى تعكسها الأغاني الشعبية (أنظر العمد، ١٩٦٩، ص ص ٨ – ١٥ ) ولكنها لم تلتزم بمنهج اجتماعي أو أنشروبولوجي محدد تنفذ من خلاله لتحليل المضامين الاجتماعية التي تشتمل عليها الأغاني الشعبية. كما انها لم تحاول أن تستخلص من سمات الأغاني الشعبية وخصائصها ما يشير الى تكامل نظم المجتمع وترابط اجزائه وعناصره، وربما يعود ذلك الى أن غالبية الباحثين والدارسين الذين تناولوا الأغاني الشعبية هم من الفلكلوريين ودارسي الأدب الشعبية ٠

ولاشك أن هذه الجهود لها أهميتها وقيمتها ، لا لأنها تعمل على حفظ التراث الذي يستمد منه الشعب مصادر قوته وعزته ووحدته أو يلهب مشاعره تجاه كثير من القضايا الوطنية والقومية فحسب ، بل لان هذه الجهود ثعبًد الطريق أمام الانثروبولوجيين لدراسة المجتمع من خلال النصوص الأدبية الذي يجمعها الفلكلوريون ودارسو الأدب الشعبي (أنظر سرحان، ١٩٦٨) وحجاب ، ١٩٧٨)

إن الاغانى الشعبية هى نوع من التعبير الفنى الانسانى الذى يصدر عن عامة الناس، أو هى قصائد منفومة وذات لحن معين تجرى على السنة الشعب وترددها الجماهير وتتناقلها الاجيال لتصبح تراثا قوميا (حجاب، ١٩٧٨، ص ١١) • ومع أن الاغانى الشعبية يبدعها انسان واحد يكون مجهولا في الغالب (دورسون، ١٩٧٣، ص ١٧) • الا أنه يعبر عمًا يجول في وجدان الشعب كما لو أن الشعب كله هو الذى أبدعها ليعبر بها عن عواطفه ومشاعره والحاسيسه تجاه كثير من المواقف والقضايا الاجتماعية المختلفة •

ونظرا لهذه الخاصية التي تميز الأغاني الشعبية، فقد اعتبرها علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا مصدرا مهما من مصادر المعلومات الخاصة بأحوال المجتمع وثقافته، وبخاصة المجتمع الزراعي، واداة مهمة من ادوات البحث والتحليل و فهذه أندرا ديفا تؤكد أن الاغاني الشعبية تعكس الواقع الاجتماعي في المجتمع الزراعي وتصوره وتصفه بدقة، لكونها تمدنا

بمعلومات غزيرة عن كثير من النظم الاجتماعية التي تنتجها الشعوب والجماعات البشرية، وبخاصة المجتمعات الزراعية و وترى ديفا وأنه لو حللنا الأغاني الشعبية، وما تنطوى عليه من مضامين وتعبيرات اجتماعية، لوجدنا أنها تكشف عن كثير من خفايا التفاعل الاجتماعي والاتجاهات الاجتماعية والمعتقدات الشعبية تجاه العالم الخارجي والعالم وفوق الطبيعى واندار ديفا، ١٩٧٤، ص ص ص ٧٠ - ٧١).

ويرى محمد الجوهرى أن التراث الشعبى عموما هو نوع من التعبير الظاهرى عن الوجود الداخلى، أى الذات البشرية، نظرا لان الأفراد يُعبِّرون بواسطته عن حقيقة عواطفهم ومشاعرهم تجاه كثير من القضايا الاجتماعية (الجوهرى، ١٩٦٨، ص٣٣) و وربعا تكون الاغانى الشعبية، كما تقول ديفا، اصدق في الدلالة والتعبير عن أحوال الناس وأوضاعهم الاجتماعية من الوسائل الأخرى المتبعة في البحث والتحليل، كالاستبانة والاختبارات الشخصية، لأن الناس يعبرون عن عواطفهم ومشاعرهم ومعتقداتهم واتجاهاتهم بطريقة عفوية تلقائية (اندرا ديفا، ١٩٧٤، ص ٧١). فتصبح وانبا السعبية بذلك المصوت الصادق والتعبير الحي الذي يتجلّى في كل جانب جوانب الحياة الاجتماعية و وبالإضافة الى ذلك، فان الاغاني الشعبية تعتبر وسيلة دراسية قليلة التكاليف بالقياس للوسائل الاخرى المتبعة، كما انها وتخصر الوقت الى ابعد حد ممكن (اندرا ديفا، ١٩٧٤، ص ٧٧).

ويؤكد الفولكلوريون من جانبهم على أن التراث الشعبى عموما ، بما في ذلك الأغانى الشعبية ، وسيلة مهمة لدراسة المجتمع • فهذا ريلا فولى يرى أن الأغانى الشعبية تمثل قصة يعبر فيها الشعب عن تجارب حيوية داخلية مهمة وعن تبريرات ومواقف اجتماعية معينة . (Foley, 1953, P.VII) ويرى روكس بن زائد العزيزى ، الذى أولى اهتماما كبيرا بالتراث الشعبي الأردني ، أن التراث الشعبي عموما هو وسيلة أساسية لدراسة المجتمع ولدراسة عقلية الشعب وحكمته وفلسفته الاجتماعية (العزيزى ، 19۸٦ ، ص ۸).

وتحاول هذه الدراسة أن تفحص هذه التعميمات وتخضعها للاختبار عن طريق تحليل عنصر مهم من عناصر التراث الشعبي، وهو الأغاني الشعبية ٠ وفي تقديري، أن هذه الدراسة ربما تكون أول محاولة يتناول فيها باحث أردني الأغاني الشعبية الأردنية بالدراسة والتحليل من منظور انثروبولوجي •

#### أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة الى الكشف عن أهمية الأغانى الشعبية كمصدر مهم من مصادر المعلومات عن المجتمع وكأداة من أدوات البحث والتحليل وذلك فى ضوء التعميمات التى تشير الى أن الأغانى الشعبية تعكس خصائص الحياة الاجتماعية والثقافية فى المجتمعات الزراعية على وجه الخصوص، وتمكننا من الوقوف على ادق تفاصيلها، نظرا لتنوعها وغزارة مضامينها الاجتماعية التى تتصل اتصالا وثيقا بقطاعات متعددة من الكيانات الاجتماعية و

### منهج الدراسة:

استعان الباحث بالمنهج الانثروبولوجي التكاملي في تعامله مع النصوص الغنائية التي قام فريق من طلبه الجامعة الأردنية بجمعها من اقواه الناس مباشرة في البيئات الريفية والبدوية التي يتآلف منها المجتمع الأردني و وذلك لكي يمكن الوقوف على ارجه التكامل والترابط بين نظم المجتمع وعناصره الثقافية المختلفة التي قد تعكسها التعبيرات والمضامين التي تشتمل عليها الأغاني الشعبية وهذه هي النظرة التي يستند اليها هذا المنهج في رؤيته للظواهر والنظم الاجتماعية القائمة في المجتمع وقد استعان الباحث بطريقة تحليل المضمون، نظرا لانسجامها مع المنهج المتبع و

وقد اتضح لنا أن أن بعض الأغانى الشعبية التى جمعت قد تضمنتها مؤلفات الغولكلوريين الذين أشرنا إليهم، مع بعض الاختلافات الطفيفة في الأقاظ. كما اتضح أن هناك قدرا كبيرا من التشابه في الأغانى التي اشتملت عليها هذه العولفات (۱) • وربما يعود ذلك الى أن عصدر هذه الأغانى واحد، وهو الشعب •

١ - فعلى سبيل المثال لاالحصر. وردت أغنية «يابو رشيدة» عند العمد (١٩٦٨، ص ١٠٠). ووردت أغنية «هبت النار» عند العمد (١٩٦٨، ص ١٠٠). ووردت أغنية «هبت النار» عند العمد (١٩٦٨، وعند سرحان، (١٩٦٨، ص ١٩٠٨). ووردت أغنية «غز الرمح». عند العمد (١٩٦٨، ص ١٩٦٨). وردت أغانسي الاستسقاء أو التغيث عند العمد (١٩٦٨، ص ١٩٦٨). وعند سرحان (١٩٦٨، ص ١٩٦٨).

وفى كل الاحوال ، فقد اشرنا الى هذه الأغانى المتشابهة والمؤلفات التى وردت فيها وقمنا بتصنيفها فى ضوء النظم الاجتماعية التى يتألف منها المجتمع حتى يسهل تحليلها فى اطار المنهج الانثروبولوجى التكاملي وبذلك اصبح لدينا طائفة من الأغانى الشعبية تشتمل على مضامين وتعبيرات لها صلة بالنظم الاقتصادية والدينية والقرابية ، وأخرى تتعلق بنظام الزواج والمعتقدات الشعبية و

وقد حاولنا أن نوضّح أن هذه الأغانى لا تصف مظاهر الحياة الاجتماعية التقليدية فقط، كما لو أن المجتمع الأردنى مجتمع استاتيكى (استقرارى) وأنما تصف كذلك مظاهر الحياة الاجتماعية المتغيرة . ليتأكد لدينا أن التراث لا يعكس الماضى فقط وأنما يصف الحاضر ويعبر عنه ولتوضيح المضامين الاجتماعية التى تشتمل عليها الأغانى الشعبية فقد استعنت ببعض الحكم والامثال والمأثورات الشعبية ، كما استعنت ببعض المصادر التى تشتمل على معلومات لها صلة وثيقة بموضوع الدراسة •

## الأغانى الشعبية المتصلة بالنشاط الزراعى:

على الرغم من أن المقطوعات الغنائية التي نشير اليها هنا . تتصل اتصالا وثيقا بالنشاط الزراعي وتصف العمليات والأدوات الزراعية التقليدية ، لا انها تشتمل في الوقت ذاته على كثير من التعبيرات التي لها صلة بجوانب أخرى من الحياة الاجتماعية . وإليك هذه المقطوعة الغنائية التي تقول:

ماهلى السُّكَّة منع ألفسدُان ماهلى السَّرْوة من الصباّح نُصرتُ سَوِيَّةُ بين الجنان ونُدْرتْ سوية بين التفاح

يلاحظ من هذه الأغنية أن العمليات الزراعية تبدأ بحراثة الأرض بواسطة الداة تسمى المحراث اليدوى أو (عود الحراث) الذي يجره القدان خلفه والقدان عباره عن زوج من البقر يستخدم لهذه الغاية و ونظرا لأن السكة (٢) تشكل جزءا رئيسيا من المحراث، فقد استخدمها الفلاح في تعبيره لتشير إلى

٢- السكة: أداة حادة مخروطية الشكل مصنوعة من الحديد. وهي الإداة التي تغوص في الأرض لشقها لنصار بعد ذلك الي زراعة المحصول، وتكون مثبتة في اسغل المحراث

الكل وهو المحراث<sup>(٣)</sup> ويلاحظ كذلك أن الانتاج الزراعي لا يقتصر على المحاصيل الحقلية ، كالقمح والشعير ، وانما يشتمل كذلك على المحاصيل الشجرية كالتفاح ، وأن كانت المحاصيل الحقلية هي التي تستأثر باهتمام الفلاح ، ونشغل مساحات أكبر من الأراضي الزراعية (٤).

ولعل أهم ما تشير اليه هذه المقطوعة الغنائية من مضامين اجتماعية هو قيام الفلاحين بتأدية النشاط الزراعى باسلوب جماعى (ونحرث سوية) \* مما يجعلنا نستنتج بأن العمل الجماعى المشترك هو سمة اساسية من سمات الحياة الاجتماعية في المجتمعات الزراعية \* (ولا شك أن هذه السمة التي يتصف بها الفلاحون يمكن استثمارها في اية خطة تنموبة تسهدف تطوير العمل الجماعي المنظم في مجال الانتاج الزراعي ، كأن يصمار مثلا الى انشاء جمعيات تعاونية زراعية تقوم على اسس منظمة بحيث تسهم في تنمية الانتاج الزراعي وتطويره).

وهناك مقطوعات غنائية آخرى تصف عمليات الزراعة البعلية ومراحلها المختلفة وصفا دقيقا، الى جانب اشتمالها على مضامين تصف كثيرا من جوانب الحياة الاجتماعية • واليك هذه المقطوعة الغنائية التي تقول (العمد، ١٩٦٨) •

والوقم ثلاث صاعات (4) وجدهن قذل البنات (1) سون ش من التلأث الوعين في التلأث الوعين من المناه المناه من جمال ليخويكات الوثانيهن ع البيدريات (٧)

رُرَعْناً للْطُوْة شَكَارة رَاح الطِّالِ يُسطِلُ حَصدناهِن، عُمْرناهِنْ دَرسناهِن، ذَرَيْناهِنْ جَبْنا جُمالُ الحَوارْنِةُ أُولُهِنْ خَشْ المدينة

٣- بتلف المحراث البدري (او عود المحراث) من حوالي أربع عشرة اداة. نذكر منها
 الكابوسة، الناطح، الذكر، السكة، النبر، الكدانة، البلعة، المود .... النم.

٤- لقد اثبتت الدراسات أن المحاصيل العقلية مازالت تشفل مساحات من الأراضي الزراعية في الأردن اكثر من المساحات الرراعية المخصصة لزراعة الخضار والاشجار العثمرة • انظر في هذا المسدد الربايعة ( ١٩٨٨ ) .

الوقم الكمية، وصاعات جمع صاع، وهي وحدة كيل خاصة بالحبوب •

٦ - الطلال الشخص الذي يراقب المحصول قذل البنات. ضعائر الشعر.

٧ - أولهن خش المدينة كناية عن الجمال •

يتبين من هذا الوصف أن الاغنية الشعبية تقوم بوظيفة تعليمية وتدريبية وتوجيهية بحيث ترشد الفلاحين من الأجيال الحاضرة واللاحقة إلى الخطوات والمراحل المتبعة في مجال الأعمال زراعية، وبخاصة الزراعة البعلية التي تبدأ بحراثة الأرض وزراعتها ثم حصد المحصول وتغميره (أي جمعه) ودرسه وذراوته، وأخيرا نقله الى المنزل وخزنه وبيع قسم منه في سوق المدينة •

والمتمعن في هذه الأغنية الشعبية يلاحظ انها تمدنا بصورة حية لواقع عربي وحدوي كان قائما في يوم من الأيام وقد تمثل ذلك في تضافر جهود قبيلة الحويطات في جنوب الأردن مع جهود سكان حوران في جنوب سوريا لانجاز واحدة من عمليات الانتاج الزراعي، وهو نقل المحصول بواسطة الجمال الي المنزل أو الي السوق لبيعه (جبنا جمال الحوارنة مع جمال الحويطات). واذ تؤكد الاغنية الشعبية هذه الحقيقة التاريخية الأساسية، فانها في الوقت ذاته تخلدها في وجدان الشعب العربي وفي ذاكرته، لتكون حافزا قويا لاعادة الكيان العربي الموحد ونبذ التجزئة السياسية والمقاذ الويا لاعادة الكيان العربي الموحد ونبذ التجزئة السياسية و

ويستدل من هذه الأغنية الشعبية كذلك أن القرية الأردنية لم تكن في يوم من الأيام معزولة تماما عن المدينة الأردنية او مقطوعة الصلة بها ° ذلك لان الضرورة الاقتصادية كانت تفرض الاتصال المتبادل بين أهل الريف واهل المدن \* فالفلاحون بحاجة ماسة الى تسويق انتاجهم الزراعي في المدينة وشراء حاجياتهم منها ، وأهل المدن بحاجة الى السلع الزراعية التي ينتجها الفلاحون لغايات الاستهلاك \* ويلاحظ أن هذا الاتصال كان يتم على الأغلب بواسطة الدواب والحيوانات (اولهن حشن المدينة ، أي الجمال).

وتدلنا الاغانى الشعبية المتصلة بالنشاط الزراعى على ان المطر يحتل أهمية كبيرة لدى المجتمعات الزراعية التى تعتمد على الزراعة البعلية، نظرا لحاجتهم الشديدة الى مياه الامطار لرى مزروعاتهم واستنبات الأعشاب والحشائش التى تعيش عليها ماشيتهم وحيواناتهم و وعندما ينحبس المطر لفترة طويلة يعترى الفلاح خوف شديد ويصيبه قلق عظيم وقد يتجه الفلاحون في مثل هذه الحالة إلى القيام بتظاهرة جماعية يجوبون فيها شوارع القرية مرددين أغانى معينة يضرعون فيها إلى الله ويتوسلون إليه أن ينزل

المطر . وتعرف هذه العملية بطقوس الاستسقاء (^) •

واذا دققنا النظر فى الالفاظ والتعبيرات التى اشتملت عليها الاغانى الشعبية بهذا الخصوص، نلاحظ انها تستند الى بقايا او رواسب معتقد شعبى قديم، بقوامه أن العلاقة بين الانسان والاله تشبه العلاقة بين الانسان وانسان اخر. فكما أن الناس يتوسلون الى بعضهم بعضا ويستدرون عطف بعضهم بعضا لتحقيق منافع مادية معينة، فكذلك الامر بالنسبة لعلاقة الانسان بالاله. فالناس يعتقدون أن طقوس الاستسقاء التى يقومون بها من شأنها أن تستدر عطف الإله، فينزل عليهم المطر، كما يستدر الانسان عطف أخيه الانسان فيحقق له ما يريد \*

وربما تكون طقوس الاستسقاء لونا من الممارسات السحرية التى تقوم على مبدأ المحاكاة والتقليد الذى اشار اليه جيمس فريزر، وهو المبدأ الذى يقوم على فكرة اساسية مؤداها أن الشبيه ينتج الشبيه وأن العلة تشبه معلولها (فريزر، ۱۹۷۰، صص ۱۰۰ – ۱۰۱) ذلك لان المشتركين فى عملية الاستسقاء يطلبون من سكان كل منزل يصلون اليه أن يرشوا الماء فى المساء لينزل بعد ذلك الى الأرض، وربما يعتقدون أن هذا العمل من شأته ان يولد عملا مشابها له وهو نزول المطر •

٨ - نورد فيما يلي معض المقطوعات الغنائية التي يرددها الفلاحون في هذه المناسبة كنوع
 من طقوس الاستسقاء.

واحدًا فقراً الأكيالية واختا فقراً وين المروخ والسزرع تختك يسابس واحدًا فقراً وين انشيل واسقى زرغنا الغربسي واسقى زرعنا الغايسم ماللي ع الكريم دايسم تنسسزرع البيتمسسان تسسزرع البيتمسسان يا ربى بل الشائدة ياربى بن الشرشوخ ياربى لبيش خسابس ياربى بن المنسخيل يائك ألفيث باربسى بالله الفيث بادبسى المستى زدع ابدو فلان إهتمي إشتى بالفنجال إشتى إشتى بالفنجال

لقد وردت هذ المقطوعة الغنائية عند العمد ( ١٩٦٨ ، ص ١٤٢ )، وعند سرحان ( ١٩٦٨ ، ص ١٨٧ ). غير أن نفرا من علماء الاجتماع والانثربولوجيا يركدون على أن عملية الاستسقاء هي ظاهرة دينية بالدرجة الأولى، تقوم على اساس عبادة الاسلاف وأرواح الموتى. فقد نكرت مارجريت ميد (Mead. 1959, P.225)ان قبائل الزونى في امريكا الشمالية يمارسون طقوس الاستسقاء عن طريق الرقص، وذلك بهدف ادخال السرور والفرح الى روح الأله أو الجد الأعظم لكى يمن عليهم بانزال المطر. فهى اذن محاولة لاقامة علاقة طيبة مع الأله على غرار العلاقة التي يقيمها البشر بين بعضهم بعضا لتحقيق مكتسبات وغايات مادية نفعية و

وعلى اية حال، فانه من الصعب جدًا أن نقيم حدودا فاصلة بين ما هو دينى وبين ما هو طقسي سحري في الشعوب البدائية أو المجتمعات المتخلفة، فغالبا ما تختلط في هذه المجتمعات التصورات الدينية بالتصورات الدينية الاسطورية ولعل النصوص الأدبية الفنائية التي أوردناها تشتمل على شيء من الخلط. فقولهم وبالله الفيث ياربي، تشير الى تصور ديني واضح لايتنافي مع مفاهيم الدين الاسلامي الحنيف. أما عبارات واسقي درع ابو فلان، اشتى اشتى بالجورة ... الغن، فانها تحمل معنى الامر، الى جانب أنها تحمل تصور العلاقتهم بالإله على غرار علاقة البشر بعضهم ببعض، وهذا يتنافى مع مفاهيم الديانات السماوية عموما. وفي تقديري، ببعض، وهذا يتنافى مع مفاهيم الديانات السماوية عموما . وفي تقديري، نا الفلاحين لا يدركون هذا الخلط عندما يرددون هذه التعبيرات في اغانيهم، وأنها تد تضاءل وأنها تكن قلوبهم متجهة إلى الله سبحانه وتعالى. ومع أنه قد تضاءل ترديد هذه الاغاني في هذه الأيام، نظرا للمارسة طقوس الاستسقاء في المساجد، إلا أنه من الولجب أن يلفت أنتباه الناس الى ما تتضمنه هذه الأغاني الشعبية من عبارات لا تنسجم مع مباديء الدين.

وتحتل الأرض اهمية كبيرة لدى الفلاح • فهى عنصر أساسى من عناصر الانتاج الزراعى وهى عماد حياته المعيشية والاقتصادية • ولذلك فقد حرص أن تشتمل أغانيه الشعبية على تعبيرات تبرز اهميتها وتعلى من شأنها وقيمتها ، وعلى تعبيرات تحذر الأجيال اللآحقة من مغبة بيعها أو التفريط فيها(١)، ويساوى الفلاح بين قيمة الارض وقيمة الشرف أو العرض،

٧٣

وصانـــى أو امــــر	٩ - ابــوى لمــأ مــات
مـــن ارضك شبـــر	ايحساك يابحا تبيسع
ارضل والحجــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	لَسِوْ ورُنسِوا بالسبدُر
مسسن ارضك فتسسر	إيساك يابسا تبيسع

ويعتبرهما قيمتين متساويتين في الدرجة والاهمية . ويقول الفلاحون في مأثوراتهم الشعبية «من ليس لمه ارض ليس لمه عرض » . ولعل الانتفاضة الشعبية التي تشهدها فلسطين العربية في الضفة الغربية المحتلة هي تعبير عن التمسك بالأرض واستجابة فعلية لما يدور في الوجدان الشعبي \*

وقد وصف الفلاحون في أغانيهم الشعبية الأدوات الزراعية التي يستخدمونها وأماكن صنعها أو بيعها \* فقد نكروا المنجل كاداة لحصد المحصول، ونكروا المدينة التي تشتهر بصناعة هذه الأداة، وهي مدينة غزة في فلسطين \* ونكروا اللُوْحَ الذي يتم بواسطته درس المحصول وفصل سيقان القمح عن الحب \* ونكروا المذارة، وهي الاداة التي يُقْصَلُ بواسطتها التبن عن الحب. وبذلك تصبح الأغنية الشعبية سجلا يحفظ عناصر الثقافة المادية التي أنتجها الشعب (\*`).

وقد عبر الفلاحون عن طبيعة العلاقة التى تربطهم بسكان المدن ° ريبدو انها علاقة تنطوى على شيء من العداء والكراهية لسكان المدن ، وبخاصة للحرفيين منهم ، وذلك لاعتقاد الفلاحين بأن الحرفيين يتقاضون أجورا باهظة لقاء جلاء المنجل ، أى سنة وتمضيته ، حيث تبلغ الاجرة (علبة قمح) وهو ما يساوى ° 0 كيلو غراما. ولذلك فانهم يتمنون الموت للصابغ (أى الجزفق) بقولهم ه ريت ها العلبة عزاة ٤ وهناك من يرى أن أهل المدن مازالوا يهيمنون على اقتصاد القرية حتى اليوم ويستغلونه لصالحهم (الجوهرى وزايد، على ١٩٨٧ ، ص ٧).

المباد ، ص ٧). وتتضمن اغانيهم كذلك بعض التعبيرات التي تشير الى قوى الضبط وتتضمن اغانيهم كذلك بعض التعبيرات التي تشير الى قوى الضبط الاجتماعي غير الرسمي ، التي تتمثل في التحقير والازدراء السخرية والتهكم وكشف المعايب وتكبيرها ، مثل قولهم «سَبْعَكْ يَاللَّيْ مَابَكْ فَوْدُ : يَامْرَبِي اللَّهِمْ لِللَّودُ ، وقولهم «واَحِد قَاعِد بالْفَيَة ، واحد قَرْصَتْهُ حَيّهُ ، إلى عليه يابْنية » . ويتوخى الفلاحون من ترديد هذه العبارات استثارة وحفز الناس على العمل وعدم الاستكانة للكسل •

١٠ - من أغاني المصاد

منجلسسى وامنجسسلاه مُسا جُسلاه الا يعلبسة مِنجلسي لا يابسسورزة سبعك ياللي مُساتك فُسود

راح للصاليسية جَسِيلاًهُ ريت هما العلبية عمواة ياللَّي شريئاتُ من غمرة ياتُرَيْسي اللحمم للسدود وَتْصَورُ لِنَا الأَعَانَى الشَّعِيةَ التَّى يرددها الفلاحون في اثناء ذراوة المحصول مدى تحكم البيئة الطبيعية في الانتاج الزراعي، فهذه العملية لا تتم الأ أذا توافر الهواء المناسب الذي يحمل التبن بعيدا عن الْحَبُ، ويفرح الفلاح كثيرا عندما تكون الرياح خفيفة معتدلة لأنها تسهل عملية الذراوة بصورة ملائمة، ولهم في ذلك مأثورة شعبية تقول وإن طَابُ هواك ذرى على نقن صاحبك ؛ أي إذا توفر الهواء المناسب فعليك أن تذرى المحصول، حتى وان أصاب اللبنُ وجه صاحبك. ومن هنا جاء العثل الشعبي الذي يقول وإذا هَبَتُ رياحك فاغتنمها ، وقد اصبح هذا المثل يحض على اقتناص الفرص في كل جانب من جوانب الحياة •

ومع أن هذه الأغانى قد عكست بساطة النظام الزراعي، نظرا الاعتماده على اساليب وادوات زراعية بدائية وعلى مياه الامطار، ونظراً لتحكم البيئة الطبيعية فيه تحكما شديدا، الآ انها قدّمت في الوقت ذاته صورة حيّة عن بساطة الحياة الاجتماعية والثقافية في المجتمعات الزراعية. وقد تمثل ذلك في استخدام وسائل النقل البدائية (الدواب والحيوانات)، وممارسة معتقدات شعبية بدائية واساليب تعاونية بسيطة، والاستعانة بوسائل ضبطية غير رسمية للمحافظة على التنظيم الاجتماعي القائم، وهذا يدل دلالة واضحة على أن النظم الاجتماعية في هذه المجتمعات متكاملة ومتساندة ويقوم بينها نرح من التأثير المتعادل و

وعلى وجه العموم، فان المقطوعات الغنائية التى قدمناها تشكل مدخلا مهما لفهم طبيعة النشاط الزراعي وما يتخلل هذه النشاط من تفاعلات

ومن أغاني الدرس:

أُوبِكُ أُونُ التَّفُأَحَةُ قلبي من الهوى مجروح من هوى هالنشمية

قَلَابه عَدْهُ تلاکُ فَلاَنه ع الدار واحد قبل بالفية حمية إيمان عليه بابنية يَاحِمْــــرا يألوأحـــــة يــا حمــرا جُــرى ماللـــوح ويـــن الفـــى ويـــن أروح ومن اغاني الدرس ايضا

قلأبسية والسيثور بده قلابة تسلات واهمد روح ع السدار بالفيسة واحد قرصتسه حيسة وعلاقات اجتماعية ومعتقدات شعبية تعكس طبيعة الحياة الاجتماعية في المجتمعات الزراعية •

## الأغاني الشعبية والحياة السياسية:

لم تكن الاحداث السياسية التى شهدتها المنطقة العربية عامة وفلسطين خاصة منذ مطلع هذا القرن بعيدة عن وجدان الشعب وضميره وفكره، ولذلك فقد تناول الشعب هذه الاحداث وعبر عنها في اغانيه الشعبية بصورة تعكس آلامه وآحزانه مثلما تعكس طموحاته واحلامه وبعصورة علما فقد تميزت هذه الأغاني الشعبية بالدعوة الى الثورة على الظلم والطقيان والبطش والارهاب الذي مثلته تركيا عندما كانت تحكم هذه البلاد، كما تميزت بالدعوة الى مقاومة الصهيونية والاستعمار والتمرد على حالة الاسترخاء والركود وبعث الشخصية وتنميتها باعتبارها الوسيلة الوحيدة لتحرير فلسطين وتخليصها من براثن الصهيونية العالمية ه

واغلب الظن أن المقطوعة الغنائية التي ترددها الجماهير في الاردن والتي مطلعها:

هبّت النار والبارود غناً وابو طلال ياحامي وطناً هبّت النار ويْراس ألخرُوبة وابو طلال ياحامي لعروية

هي نوع من التعبير عن اندماج الشعب في الثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين بن على للتخلص من حكم الاتراك. كما انها نوع من التعبير عن التفاف الشعب حول قيادة هذه الثورة. وَمِثْلُها مطلع الأغنية التي تقول:

طوّعناها من عمان لِلْجوفْ ومْنْ الْكَرَكْ لَحْدُودُ الطفيلة (العمدة، ١٩٦٨، ص ٢٤٥)

وعلى الصعيد القطرى، فقد عبر الشعب فى اغانيه الشعبية عن عواطفه ومشاعره تجاه القضية الفلسطينية، وما اصاب الشعب الفلسطيني من ظلم وطفيان من قبل الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية. وتبين لنا الاغانى الشعبية ان الشعب لم ييأس، بل راح يستنهض الهمم ويثير النفوس ويحثها على المقاومة والاستبسال لتخليص فلسطين من العدو الصهيوني.

واليك هذه المقطوعات الغنائية التى تبرز هذه المعانى بكل جلاء ووضوح(١١) •

سيف الدين الحسج أمين سيف الدين الحج أمين حساج أميب لاتهتم وارجالك شرابة دم واخنا أولاذ اليوم اليوم واحنا نُدَّاحين القوم

----

يارْجَسالُ قَوْمسوا سَوِّيسةٌ تَنْخَلُمَنْ يَافَا مِن الصهيونية تَنْخَلُص يَافَا مِن الصهيونية ونرفع ها العلم ع فلسطينا

وتدلنا الأغانى الشعبية أن الشعب العربى قد ناشد القوى الاستعمارية وخاطب ضمائرها من اجل التدخل لنصرة الحق ورفع الحيف والظلم عن الشعب الفلسطيني الذي لعبت هذه القوى دورا اساسيا فيه ويقول مطلع اغنية شعبية.

دبرّهـــا يامستـــر ديل بتحل ١٢٠)

ولكن الشعب أدرك بالفطرة وبالتجربة الملموسة أن هذه القوى لاتفعل شيئا لصالحه، وأن المغتصب الصهيوني لا يمكن أن يرحل عن فلسطين ألا بقوة السلاح، وقد عبر عن هذا التصور بأغنية شعبية مليئة بمعانى الاثارة التي تمارس تأثيرا قويا على النفوس (١٣).

ولم يتردد الشعب العربي سواء في الاردن أو في فلسطين في أن يعبر من خلال أغانيه الشعبية عن أحزانه ومآسيه وعن النكبات المتتالية التي احلّت به. فتارة يعبر عن حزنه لاستشهاد بعض قباداته وابطاله العظام، مثل عطا

ياعربسسى بابسسن المجسرودة بَيع امك واشرى بارودة والبسارودة خيسسر مسسن امك يَوم الحرّب تِفْرج هَمُك

١١ - الحاج أمين قائد الثورة الفلسطينية في عام ١٩٣٦ .

١٢ – المستر ديل هو قائد القوات البريطانسة في فلسطين . انظر نمر سرحان ، المرجع السابق ،
 ٣٦٠ )

١٣ - تقول أغنية شعيية

وجمجوم وحجازی<sup>(۱۱</sup>)، وتارة آخری يعبر عن حزنه لسقوط غزة فی يد العدو الصهيونی بمساندة من قوی الاستعمار (سرحان، ۱۹۹۸، ص، ۲۷۲) و لكن الشعب يتخذ من هذه الأحزان التي يعبر عنها في اغانيه اداة لاستنهاض الهمم واستثارة المشاعر القومية وايقاظ نوازع الكرامة وصور التحدی •

ونستدل من الأغاني الشعبية على أن الشعب يستلهم من الماضى المجيد للأمة العربية حافزا قويا للصمود والاستبسال ومقاومة العدوان والتصدى لقوى الظلم والطغيان • فهذه مقطوعة غنائية تقول:

سيفناً بِخلَى السدم شلالً سيفناً ولا يبْرَى مَويَية هَلاْ بِحْالِدْ مَلاْ بِصَلاح الدين هلاْ بِحِيشنا قاَهِرْ اعاديناً

نلاحظ في هذه الأغنية الشعبية أن الوجدان الشعبي يستذكر من الاحداث ما يوثق الصلة بكل ما يدعو الى الاعتزاز ويحمل على المقاومة ويشير الى التباهى و فالشعب يستذكر في هذه الأغنية جانبا مضيئا من تاريخ الامة العبية ونضالها البطولى التصررى وكأن الشعب يريد أن يُذكر الصعيونية وقوى الاستعمار بابطال العرب والمسلمين الذين حققوا النصر المؤزر على قرى الشرك والكفر وعلى اعداء العرب والمسلمين، وفي مقدمتهم صلاح الدين الايوبي وخالد بن الوليد و هذا يدل على أن الابطال العظام يعيشون دائما في وجدان الشعب وفي ضميره (7.5 م 1963, Grierson ) وأذ يتجاوز الوجدان الشعبي الاطار التاريخي ليلهب حماس الجماهير ، ويثير عواطفهم ومشاعرهم ضد المعتدين ، فانه يذهب إلى ابعد من الفترة التاريخية التي عاش

١٤ - تقول الاغنية:

صن سجن عكا طلعت جنسازة او جازى عليهم ياريني جازى ١٥ - تقول الأغنية

ياويلسسى ابتهسسو هيلسسى يامسا ميسن رفسع والفسسان والعدينسات يسمش وزمسان

عطا او جمجوم او قوّاد حجازی المندوب السامی او ربعة عموما

> بوخالدا غزة احتلوها ياما شباب اقتلوها والكل تدادى ع ابوها

فيها البطل صلاح الدين الايوبى والقائد العربى المسلم خالد بن الوليد ليصل الى عصر عنترة بن شداد . فليس من قبيل المصادفة أن يستهل الناس افراحهم بمناسبات الزواج بترديد الاغنية الشعبية التي تقول:

عريسنا عنتر عبس عريسنا

أن الجدان الشعبي، وهو يتلمس صور الكرامة ومواقف العز والمجد لامة العرب، فانه يحتفظ بذاكرة تاريخية حية تبعث صور البطولة العربية من جديد لتستمد منها الأمة العربية القوة في الدفاع عن وجودها وشرفها وكرامتها. وهكذا فأن الأغنية الشعبية، كما يقول نوري القيسي، تتوظف الأحداث توظيفا تاريخيا نافعا، وتستثير في استذكار احداثها ما يعين على ايقاظ الشعور الوطني ويهيىء للاحساس القومي فرصة التحرك المشروع والاندفاع الحازم للرد على الاعداء والمفتصبين بالوسائل الممكنة، (القيسي، ١٩٨٧، صحص ١١ - ١٣٠) ، بل أن الاغنية الشعبية توظف قيم الولاء القبلي ونماذج الفروسية والبطولة العربية لتصبها في قالب أوسع واشمل، وهو قالب العروبة، القربية المواجهة التحديات الراهنة. وبذلك تعمل الأغاني الشعبية على تواصل التراث وتجديده بما يكفل للعرب عزهم ومجدهم ،

هذه الاغنية:

يَاسْبِوُع بِينْ القَبَايِلْ (١٦). بِالسَّيِفْ نِقطَعْ شَارْبِـهُ مِنْ لاَحَتْ مِوَاضَيِناً (١٧). إخنسا أولاد الحمسالي يساول اللسى نحاربسه يساويل اللسى يتعاوينسا

وهذه أغنية شعبية اخرى تدور مضامينها ومعانيها في الاتجاه  $\lim_{t\to\infty} (^{\Lambda/})_{\bullet}$ 

وانتم بالنشأمي منيث والنِعُــم والنَّعِمثيــن غُرُّو الرمح بْغُوْد الزِّينُ واحْناً رَبِّعْ ابِنُ شَلاَنْ

١٦ – اسبوع: اسود ٠

١٧ - مواضينا: سيوفنا -

۱۸ - ورد البیت الثانی جند سرحان (۱۹۹۸، ص ۱۹۸۸).

واحنسا شيساب فلسطيسن والنعمتيسان

كما وردت كلمة هزيدة من كلمة غز وعند العمد (١٩٩٨، ص ١٤٩) وردت بقوا، بدلا من كلمة غز.

ويشكل عام ، فان المضامين والأبعاد السياسية التي اشتملت عليها الأغاني الشعبية تركزت بصورة رئيسية على القضية الفلسطينية والصراع العربي الاسرائيلي (١١) وفي ذلك أبلغ دليل على أن الأغاني الشعبية تصور الواقع وتصفه بدقة • فليس هناك قضية عربية سياسية تحظى باهتمام العرب أكبر من قضية فلسطين ، وليس هناك قضية تعيش في وجدان الجماهير العربية وتتفاعل معها وتثير عواطفها ومشاعرها مثل القضية الفلسطينية • وقد لاحظنا كيف أن الأغاني الشعبية قد نجحت في استلهام صور عديدة من البطولات العربية ومن التراث العربي المشرق ما يلهب حماس الجماهير ويثير ويقيم والمعية المدراع لصالح العرب وفلسطين •

الأغانى الشعبية والحياة الدينية وصلتها بالمعتقدات الشعبية:

تحظى الممارسات والنشاطات الدينية بنصيب واقر من اهتمامات الناس في المجتمع الأردني، وقد عبر الشعب في كثير من أغانيه الشعبية عن هذه الاهتمامات، ففي كثير من الاحيان تتصبر التعبيرات الدينية مطلع القصيدة الفنائية، وفي احيان اخرى تشير الى الاماكن المقدسة وتصف الشعائر والطقوس الدينية (۲۰) وهذا النمط من الأغاني لا يفارق الناس حتى في مناسبات الزواج ٠

١٩ - لقد ورد سرحان (١٩٦٨) صحص ١٥٦ وما بعدها، طائفة من الأغانى الشعبية التى
 تعالج القضية الفلسطينية ٠

٢٠ - تقول أغنية شعبية:

اول كلامي أصلي ع النبي الهادي ثاني كلامي أصلي ع النبي المختار يا زاير النبي ويش وصفة حجارة تقول اغنية شعبية لغرى:

قسمال اسمى ويسمن ازفسك ويسن ازفك يسا فسلان يامسدال ويسمسن ازفك ياعسمسريس يعذه اغنية اخرى تبدا بالجفرا، والجفرا هم

والله لزور الكعبة وازورك يامحمد

ويـــــــن أذفك ياعـــــريس بـوسط وهذه أغنية أخرى تبدأ بالجفرا، والجفرا هى رمز للفتاة ً جفرا وياها الربم وتصبيح يامحمد واربم ح

ياطلبينين والقصير يتلملل بوسط العرميان والقصير يتلمل بوسط العرميان والنبى الانليس المتات

محصد اللني علينه الشمنع وأثباد

محمد اللبي مشرفتا علبي الكفار

ياسعد من راح لقبر النبي او زاره

واربع جدایل شقر صلوا علی مجمد وازورك یامصطفی وصیر خَبِّسا

وهذا يدل دلالة واضحة على أن الشعب الأردني شعب متدين، وأن الدين يتخلل أوجه حياته الاجتماعية المختلفة ويلعب فيها دورا بارزا ومهما ٠

ويلاحظ من التعبيرات والمضامين الدينية التى تشتمل عليها الأغانى الشعبية انها تقوم بوظيفة تعليم النشء وتدريبه على ممارسة الطقوس والشعائر الدينية المختلفة وبخاصة صوم رمضان والحج • وغالبا ما تقوم الام بترديد هذه الأغانى على مسمم من اطفالها(٢٠) •

وتختلط التصورات والمعارسات الدينية في كثير من الأحيان بالممارسات السحرية والتصورات الميثولوجية وقد كشفت الأغاني الشعبية عن دسور واشكال من هذا الخلط والتداخل(٢٣) فقد صور الشعب الآله في بعض اغانيه على أنه كائن حي يتجسد في مكان ويتخذ حيزا ويرى المعتقد الشعبي أن مكان الله في السماء، وأنه يتخذ من الغيم مركزا له ومكان الاقامته، تقول اغنية شعبية:

جفرا وياها الربع تمشى بسهل برقه والموت عندى ياناس أحلى من الفرقة يارب يامعتلى يابو خيمة زرقا إترد الولف للولف ساعة زمنية

۲۱ – من هذه الاغاني: يــــا مقطـــر رمضان

كلبتنا عريف

خشيت بــــيت اللــــه

يسا ريتنسي شفتسه

وَدُنْ يسلسا خطسسيب

وذن يسا سيسمد وذن

لقـــيت رسول اللــــه

ومنها -

ومتهاد

خل الشمس تفصيب تنبح لك جاجة جربا وتصبصح جوعمان

قبسر النبسي زرتسه

يسسا قلسسيل دينك

تسحب مصبي انك

توكلهبسا وتنسسام ٢٣ - من صور هذا الخلط والتداخل هذه الاغنية

أنا لاعمل لك سحر وحمله بصدري أية من عم أو أية من الفحر

من خوف العالم بالصحبة تدرى أوْ بالسحر المانع ما يفهمونا

وريت الأغاني الدينية مند العمد ( ١٩٦٨ ، ص ١٤١ ). وعند سرحان ( ١٩٦٨ ، ص ٨ )، ولكن مع الاختلاف في بعض الألفاظ. ولا شك ان هذه التصورات الشعبية للآله هي شكل من اشكال المعتقدات الشعبية القديمة التي انحدرت الى الشعب وترسبت في وجدانه منذ العهود التاريخية الغابرة ولم يفلح التطور العلمي ولا المفاهيم الدينية الحقة من انتزاع هذه التصورات الميثولوجية الاسطورية من نفوس الناس واستئصالها من صدورهم، وبخاصة العامة منهم. كما ان التطور العلمي الذي نشهده اليوم لم يقض على الممارسات السحرية قضاء نهائيا و ذلك لان الممارسات السحرية لها صلة بمواجهة المشكلات والتحديات الصعبة التي قد لا تنفع الاساليب العلمية الحديثة في مواجهتها او التغلب عليها، وبخاصة مشكلات الحب وبالاضافة الى ذلك، فان بعض المجتمعات، وبخاصة المجتمعات الزراعية تمارس رقابة اجتماعية صارمة على سلوك الفرد، فلا تتيح له ان يتصرف بعض الاحيان الى الممارسات السحرية لاشباع رغباته وتحقيق طموحاته وأماله و

ومهما يكن من أمر ، فان الاغانى الشعبية قد الطّلعتنا على أن التدين سمة أساسية من سمات المجتمع الأردنى ، وأن الدين يقوم بوظائف اجتماعية وتربوية وتعليمية كثيرة . واطلعتنا كذلك على أن المعتقدات الشعبية مازالت موجودة في هذا المجتمع ، وأنها تختلط بالدين في بعض الأحيان وتعيش الى جانبه في حالة من التضايف والتعايش .

## الأغانى الشعبية ومركز المراة ومكانتها الاجتماعية:

ان الاغانى الشعبية التى تحكى قصة المراة الأردنية، وبخاصة علاقتها مع أهلها وزوجها والمجتمع المحلى الذى تميش فيه كثيرة جدا. وكما يبدو من الأغانى الشعبية، فانها قصة مليئة بالآلام والأحزان وشتى صنوف الضغط وربما يكون نصيب المراة فى تأليف هذه الأغانى ونشرها وادائها

	ر هذا الخلط ايضا	صو	من
أوحو تك بَاللَّه	٠١	φĪ	۱Ī۵
وثانية ثنتين	•	άĬ	أه
وثالثة خرزة من العي	٠١	άĬ	δĪ
والرابعة تأرذ العيل		Ĩa	Ĭ

اكثر من نصيب الرجل، ويخاصة في المجتمع الزراعي الذي يستأثر فيه الرجال بنصيب واقر من النفوذ والسلطان ويدل على ذلك موضوع الأغنية الشعبية واسلوب صياغتها واذ نجد أن هذه الأغاني تشتمل على تعبيرات اجتماعية تستنكر فيها المرأة التفرقة في المعاملة بينها وبين الرجل، وتعرب عن سخطها وتنمرها من هذه المعاملة وتستغل المرأة المناسبات الاجتماعية المختلفة، مهما كان نوعها، لتعبر من خلال الاغاني عن احاسيسها الخفية التي يجيش بها فؤادها والتي لا تقوى على اظهارها في الظروف الاعتيادية حتى بين ذويها واقرب الناس اليها و

ويبدو أن الناس يقللون من شأن المرأة ويخفضون من مكانتها الاجتماعية حتى وهي جنين في بطن امها وقبل أن تمارس أي دور اجتماعي ومما يدل على ذلك أن الناس يعبرون في أغانيهم الشعبية عن سعادتهم وسرورهم بالمولود الذكر أكثر ما يفعلون ذلك بالنسبة للمولود الانثى (٢٦٠) بل أن الأغاني الشعبية تحمل بعض التعبيرات التي تشير الى امتعاضهم وحزنهم عندما يكون المولود انثى (٤٦٤) و

ولعلّ تفضيل الذكور على الاناث سمة اساسية من سمات المجتمعات الزراعية والقبلية، ذلك لان هذه المجتمعات بحاجة للذكور كقوى بشرية عاملة

٣٣ - يقول مطلع أغنية شعبية:

والعز لك والفرح للمبيان

وردت هذه الأغنية عند العمد، ( ١٩٦٨ ، ص ٦) وقد استبدلت كلمة الديوان بكلمة الميدان . وتقول مقطوعة اغذى "

يابيى فلان وسغ الديوان

وتبكرى بالصبيان وتعمرى داره وتبكرى بالصبى وتكثرى الخلفة ياريتك مباركة على فلان لحاله ياريتك مباركة على السلف والسلفة

ويقول مطلع اغنية لخرى · يا هيل الفرح الله بدارك لكم

كل صبي ع الحول يدرج لكم

٢٤ - تقول اغنية شعبية.

وانمسر قلبسی اوقسام وافر شوالسی بدی انسام وافرشوا لی م الرصیف يومن قالوا لنى غالم واطعوننى لحكنم خان وأطعوننى لحكنم مينه فى الانتاج الزراعي التقليدي الذي يعتمد بصورة اساسية على القوى البيولوجية البشرية والحيوانية، اضافة الى حاجتهم اليهم كقوى بشرية محاربة، أن غالبا ما تحسم المعارك التي تنشأ بين القبائل لصالح القبيلة الاكثر عددا. ثم إن هذه المجتمعات ترى في المواليد الذكور تخليدا لذكرى الرجل بعد مماته (٢٠) و وهنالك مأثورة شعبية تدعم هذا الاتجاه تقول «بن خلف ما مات ويقصدون بذلك انجاب الذكور و لعل القيمة الاجتماعية المهمة الوحيدة التي تتمتم بها المراة في عرف هذه المجتمعات، كما يقول العمد، هي انجاب الذكور (العمد، ١٩٦٨، ص ٥٧) ومن ناحية اخرى فان الناس في هذه المجتمعات يرون في المولود الأنثى عبنا تقيلا عليهم، نظرا لما تتطلبه المراة او الفتاة من رقابة مستمرة على سلوكها وتصرفاتها، خوفا من ان يمسر شرفها او عرضها. والمحافظة على شرف الفتاة ليس مسؤولية الاهل وحدهم، بل هي مسؤولية العشيرة أو القبيلة ككل، وربما مسؤولية القرية متعلها و

فى هذا الجو الاجتماعى المفعم بالقيم الاجتماعية السلبية ضد المرأة، تنمو الفتاة وتتربى وتعيش حياتها الاجتماعية، ولذلك فلا عجب ان نجدها تعبر فى اغانيها عن احساسها بالظلم والقهر، ولعلّ ابلغ صور الظلم وضوحا هو قيامها بأعمال الرجل فى الحقل الى جانب قيامها بالاعمال المنزلية(٢٦)على الرغم من أن القاعدة الشعبية فى تقسيم العمل وتوزيع

يُومِنُ سُوبِت ع النَصَاتُ لِسِيْضُ خَلَصَاتُ البَدَحَاتُ ٣٦ - من الاغاني الشعبية التي تشير التي الاعمال المنزلية التي تضطلع بها المراة، مثل العجن والخبر ونقل الماء، نذكر مايلي:

قامت من النوم تعجن بالمجين والخواتم باليسار وباليميـن نزلت ع العين وحملت جرتها سالت للجرة أو بانت غرتها ياشوفة شفتها تخبز على الصباح مرقوم ع مديرها خرفان وانعاج

ومن الاغانى التي تدل على اشتفال المرأة بالاعمال الزراعية الى جانب الرجل هذه المقطوعات الغنائية

ياشوفة شفتها تلقط ورا الفيدان من كثرت مالقطت صار العنذ نبلان

٢٥ – يقول مطلع أغنية شعبية:

الادوار تنصى على أن العمل فى الحقل هو من نصيب الرجل بينما العمل فى المنزل هو من نصيب المرأة وقد عبرت الحكمة الشعبية عن ذلك بالقول الزجل جَنًا والمرأة بنا ، •

ويلاحظ من الأغاني الشعبية أن مهارة المرأة بالأعمال الزراعية عنصر مكمل لمهارتها بالأعمال المنزلية، وأن تكامل هاتين المهارتين شيء ضروري حتى تستكمل صورتها النمونجية كزوجة مفضلة من قبل أهل الزوج(٢٧).

ومع أن المرأة تشارك الرجل في كثير من الإعمال الزراعية إلى جانب قيامها بالأعمال المنزلية، إلا أنها دونه في المكانه الاجتماعية، ولا تتمتع بالحقوق التي يتمتع هو بها، وبخاصة حقها في ابداء الرأي ممن تزوج، فالأب أو ولى الأمر هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في هذا الشأن. ويعبر الرجل عن امتلاكه لهذا الحق بقوله عندما يوافق على زواج ابنته من شخص اجتك هدية ما مِنْ وَرَاها جَرِيَّةُ ( العزيزي، ١٩٨١ ، ص ٣٤٦ ) وكأن المرأة سلعة ثهدى أو شيئًا بباع ويشترى

وقد تضمنت الأغانى الشعبية كثيرا من التعبيرات التي تشير إلى تسلط والد الفتاه وتحكمه في أمر زواجها (٢٨) • وليس أمام الفتاة من سبيل لمواجهة

تلقط. اى تقوم بوضع البنور كالحمص والفول في المسار الذي يخطه عود الحرث (القدان)
 واللقط غير البنر ، لان عملية البنر تكون للقمع والشعير \*

ومن الأغاني الشعبية التي تدل على اشتغال المراة بالاعمال الزراعية

يِثَه يَايِتُه ماحلي لِقَشَابِةً كَل يُوْم اصنَّتِ الشوف احبابي (والتشعيب هي عملية تطهير الزرع او المحصول من النباتات الضارة)

٣٧ - يقول مطلع اغنية شعبية:

لا يعجبك زينها او بياض خِلْقِتْها بَكُرهْ تيجِى الْحصبيدة وتشوف فعلتها وتقول مقطوعة اخرى:

والله لاكتب جريدة ع ابريق الزيت ياشاطرة بالخلا يامعدلة بالبيت والله لاكتب جريدة ع بلاط رخام ياشاطرة بالخلا يامعدلة بالدار

٣٨ - تقول الإغنية:

ياطولك طول عود الحولا لامال أو شعرك عنب الجدال لامال ابدوك منا قسيل ولا مسأل أو كيف الرأى عندك والجواب

۸٥

هذه المواقف التسلطية سوى الصبر وكظم الغيظ (٢٦), أو التنفيس عنه اللام، ومعاتبتها على مواقفها وعدم تدخلها لدى والدها لممارسة حقها في الزواج وابداء الرأى فيه (٢٠). وفي بعض الاحيان تطلب الفتاة من أمها أن تنقل أحاسيسها والامها إلى أبيها، وأن تقف الى جانبها أذا ماشاورها في أمر الزواج (٢٦) ومع أن الرجل يستشير ابنته أو ابنه في أمر الزواج عن طريق زوجته، إلا أن الاستشارة غالبا ما تكون شكلية، ولا يؤخذ بها في كثير من الأحيان و فهناك مأثورة شعبية تحكم تصرف الرجل في هذا المجال وهي وشأور فإن واشلِفُوا شور فرض وتدل هذه المأثورة دلالة واضحة على عدم اكتراث الرجل برأى الزوجة مهما كان نوعه و بل أن الرجل الذي يستشير زوجته في أمر من الامور يتعرض لنقد شديد من قبل المجتمع و فهناك مأثورة شعبية تقول وحاط راشة برأس مَرثة و هنالك مأثورة شعبية الحرى تقول والمُل المُرى تقول والمُل الذي يستشير الله الله الله الله النساور المُرزة عود الله الشي الشاور المُرزة شعبية الحرى تقول والمُل المُن المورد عنه الله مأثورة شعبية الحرى تقول والمُل المُن المورد عدم الله الله المؤورة شعبية الحرى تقول والمُل المُن المورد عنه المؤورة المها الله مأثورة الله مأثورة اللها المؤورة المُن عربة على اللها اللها المؤورة المها المؤورة المها المؤورة المها المؤورة المها المؤورة المها المؤورة المها اللها المؤورة المها المؤورة المها المؤورة المها المؤورة المؤورة المها المؤورة المها المؤورة المها المؤورة المها المؤورة المها المؤورة المها المؤورة المؤور

وبتحه الفتاة في كثير من الاحيان الى الطير وتبثه همومها واحزانها،

= وأغنية الحرى تقول إللي من جيالي ولدها يسرح بی یابی ریتک ماتربیح (وردت هذه الاغنية عند العمد، ص ٢٥٤) • ٢٩ - تقول الاغنية : واصبر على غلبى ياهو بدله واصبر على غلبي واهلى جافوني ٣٠ - تقول اغنية شعبية: لاول عريس ماجا ليش ماعطتيني والبنت تقول لامها يمه ظلمتبني او ثالث عريس ماجا مصور بعينيا او ثانی عریس ماجا بالنار کویتینی ٣١ - تقول اغنية شعبية: غير يايمة ماهد يرحمنى يمة يايما بويا ظالمنى مانسا مسن جيلسه لانسسه يفهمسسس يما بايما أو لكلتنسس الفيسسرة صرت النسا كبيسسرة غلائسي بعيسسرة يسا يايسا وقفسوا بسساب السندار الخطيساب كتسسار عــــم ايعنبنسسس وقلبسسى بالنسسار

تستعين به في نقل الاخبار من الحبيب واليه (<sup>۲۲)</sup> • ويبدو أن الفتاة قد لاحظت أن الطير يتمتع بقدر من الحرية أكثر مما تتمتع هي به . فهو يطير من مكان إلى اخر ويذهب ويجيء ويتصل بطيور لخرى من بني جنسه ، أما هي فمحرومة من هذه الحرية التي تعتبر ميزة أو سِمَة أنسانية بالدرجة الأولى .

ويبدو أن الفتاة لا تصبر كثيرا على الظلم وكظم الغيظ وحبس الاحزان، فقد تثور وتتمرد على اهلها، وقد تتجه الى المتصرف (الحاكم الادارى) تشكو اليه آلامها واحزانها وتتوسل اليه بالركوع امامه وتقبيل يديه كى يخلصها من ظلم والدها وتتزوج الشخص الذى تريده وهنالك اغنية مشهورة تضمنت كل هذه المعاني (٢٣) ويلاحظ من الأغنية الشعبية أن الفتاة قد وجدت في المتصرف قوة جديدة تستعين بها على ظلم ابيها عوضا عن سلطة شيخ القبيلة ولعل هذا التصرف من جانب الفتاة اشارة واضحة الى ظهور تنظيم سياسي وادارى جديد يختلف عن التنظيم السياسي القبلي الذي يتمتع فيه شيخ القبيلة بسلطات واسعة وربما تكون هذه الاغنية قد ظهرت في بداية تأسيس امارة شرقي الأردن في عام ١٩٢١، حيث قسمت البلاد في هذه الفترة الى متصرفيات واقضية ونواحي، ويرأس كل منطقة البلاد في هذه الفترة الى متصرفيات واقضية ونواحي، ويرأس كل منطقة حاكم ادارى يُطْلَق عليه متصرف شؤونها الاجتماعية المختلفة. ولذلك فقد السلطات الواسعة التي كان يتمتع بها الحكام الاداريون في تلك الفترة إلى السلطات الواسعة التي كان يتمتع بها الحكام الاداريون في تلك الفترة إلى السلطات الواسعة التي كان يتمتع بها الحكام الاداريون في تلك الفترة إلى درجة انها امتدت الى الشؤون الاسرية والعائمية و

٣٢ - من الأغاني التي تناجى فيها المراة الطير:

ياطيسر باللسمي طايسر سلم لسي علسي ولفسي يا طير الشوحة ياطير الشوحة الله ايسهل لك بهذيك الروحة ياطير السود ياطير السود خذلي سلمي ممك يامعود

٣٣ - تقول الاغنية

لروح للمتصرف واركع وحب ايده وأريد الشب الغاوي برويته بيده

علـــى رووس الجبـــال وبديــــره هـــــوزان كيفبدى أروح وايدى مجروحة لمحاب الشرف يستاملونا ياللى علينا من السما حود لاصحاب الشرف يستاملونا

واقول يامتصرف شايب مابريده عبياد ديك الحجل نومه ضحاويه وقد تستعين الفتاة بأعمامها واقارها ليخلصوها من ظلم أبيها وتحكمه في أمر زواجها. وإذا تعقد الأمر، فانها قد تفكر في التخلي عن ديانتها الاسلامية اذا كانت هذه الديانه تمنح الاب سلطة لتخاذ القرار في أمر زواجها ممن تحب وتريد وقد تحملت الاغاني الشعبية كل هذه المعاني (٢٤) و

ويبدو أن الفتاة ترى فى الزواج فرصة طيبة ملائمة للتخلص من سيطرة اهلها وقد عبرت عن ذلك فى بعض اغانيها • فهنالك اغنية شعبية تقول: ياليلة الجناً متى تِكْمُلَالَى واشْلَحْ تُوب أمى وابوى واخوتى والسَّلَ تُوب أمى يافَرحْتى

ومع ذلك، فأن الأغاني الشعبية تمدّنا بنمط معقد من المواقف والعلاقات الاجتماعية التي تربط الفتاة بأهلها، الى درجة أن هذه المواقف تبدو متناقضة و ففي الوقت الذي تصور لنا الأغاني الشعبية رغبة الفتاة في التخلص من سيطرة اهلها عن طريق الزواج، فأننا نجد أغاني اخرى تتضمن عتابا من قبل الفتاة لوالدها لانه استعجل في زواجها و تقول أغنية شعبية :

قُولُوا لَبُوى الله أَيْخَلَّى أُولاَدُهْ لِسَتَعْجَلْ عَلَى مْنِ بْلاَدُهْ قُولُوا لَبُوى الله إيْخلَّى إينه جوَّرْني صَغيره والطَّلْعَنِي مَنْ بَلَدَهُ

ونلاحظ مثل هذه المواقف المتناقضة في تعبير الفتاة في بعض اغانيها عن رغبتها في الزواج من ابن عمها وتفضيلها اياه على غيره وافتدائه بنفسها ومعاتبته اذا تزوج غيرها (<sup>(۳)</sup>)، وفي تعبيرها في اغاني اخرى عن رفضها

جفرا وياها الربع وتصبح ياعمامى وان كان الجيزة غصب في شرح لسلام ٣٥ - تقول اغنية شعبية:

على بلغونا أو مصلا بلغاته المسوا لإجباري لمسوا لإجباري لمسوا لاجباري المسادح (الجباري: التجنيد الاجباري أو خدمة العلم) وتقول الاغية:

یابن العم یاشعری علی ظهری ابسان عصلی یاثلوب علیله

والنقل ما باخذه لو يسحنوا اعظامي لدور عن دين لسلام واصير مسيحية

محلا ابن عمى او محلا محاكاته وابن عمى لاتلموا الكل يؤخذ بن عمه

إن جاك الموت لرده على عمرى ان جاك الموت لرده على

٣٤ - تقول الاغنية :

الزواج منه والتعرد عليه وتفضيلها اشخاصا آخرين عليه (٢٦) و ولكن المتمعن في هذه المواقف قد يكشف أن هذا التناقض أنما هو تناقض ظاهرى - ذلك لأن معاتبة الفتاة لأبيها على التبكير في زواجها قد يكون نوعا من التأكد على ظلمه بها وتحكمه في مصيرها ، فلربما اصر والدها على زواجها من شخص كبير السن أو من شخص غربيه لا ترغب فيه ، وفي مثل هذه الحالة فانها تفضل عدم الزواج والبقاء في بيت والدها •

أما رغبة الفتاة في زواج من ابن العم فهي استجابة طبيعية للعرف الاجتماعي السائد في الحجتمعات الزراعية والقبلية ويقضى هذا العرف بأولوية ابن العم في الزواج من ابنة عمه وبموجب هذا الحق، فانه يستطيع ان يتحدى المجموع ويتزوج ابنة عمه وهنالك ماثورة شعبية تسند هذا المق وتعززه، وتقول دابن العم يُنزئ عن الفرس (٢٧) وهنالك ماثورة شعبية اخرى تقول دابن العم يُنزئ عن الفرس ولاية في الزواج من ابنة عمه د

ويلاحظ من العبارات التي تشتمل عليها بعض الأغاني الشعبية أن الرأي الشعبي العام يوبخ ابن العم ويحقره ويقلل من قيمته ومن مكانته الاجتماعية النا الامر وتخلي عن حقه في الزواج من ابنة عمه (٢٨) و لكن الفتاة قد لا تستجيب لمقتضيات هذا العرف في ظل اوضاع وظروف اجتماعية

٣٦ - وتقول اغنية:

يابسن العسم لاتوخسد غربيسة روايدنسا ولا قمسح الصليبسة او بنات العم خير من الفرايب قوارير الملنا ولا لكباش الفرايب (القوراير: جمع كبش وهى الخروف العمفير، الاكباش: جمع كبش وهو ذكر الفنم)

وتقول اغنية اخرى تعاتب فيهاالفتاة ابن عمها الذي تزوج من غيرها

یاب عملی ویش بینسی وبسینگ حتی الفریبة حلیت بعینگ ریت اللی فرق ما بینسی او بینگ اعیاله من الصغر پتیتمونا

٣٧ \_ انظر هاني العمد، (المرجع السابق، ص ٦١)

٣٨ -تقول اغنية شعبية

باابسن العسم ياكومــة قنسسايس بنات العم خذوهن عرايس باابــن العسم ياكومــة تـــرايب بنات العم خذوهن غرايب باابــن العــم باريــتك بالضبوعــة بنات العم اخذوهن اسبوعة

الضيوعة الضياع وهي جمع ضبع ، اسبوعه . اسود )

جديدة. فقد ترفض الزواج منه وتتمرد عليه اذا تقدم لها شخص يحتل مركزا اجتماعيا مرموقا في الدولة او يعمل في مهنة جديدة (٢٩) • وعندئذ لا يفسر رفضها الزواج من ابن العم على انه موقف متناقض ، بقدر ما يفسر على انه استجابة لمواقف واوضاع اجتماعية جديدة •

وفى الحقيقة فان الزواج من اهم النظم الاجتماعية واخطرها شأنا فى حياة الانسان، وبخاصة فى المجتمعات الزراعية التى يقوم تنظيمها الاجتماعى على اساس علاقات القرابة والروابط الدموية ويلاحظ من الاجتماعى على اساس علاقات القرابة والروابط الدموية ويلاحظ من العبارات التى تشتمل عليها الأغانى الشعبية أن الفتاة، سواء تزوجت من ابن عمها أو من غيره، وسواء تزوجت بارادتها أو باختيارها الحر أو بضغط من والدها، فأنها تحرص على تماسك الأسرة وتضامنها، وذلك لان الأسرة هى محور الحياة الاجتماعية فى هذه المجتمعات وفاعروس مثلا ترفض أن تخرج من بيت والدها أو تزف الى عربسها الا بحضور والدها وأخوتها أن تخرج من بيت والدها أو تزف الى عربسها الا بحضور والدها وأخوتها وأقربها، فأن علاقتها بأهل ورجها، فأن علاقتها بأسرتها سوف تبقى أشد وأقوى من علاقتها بأهل زوجها ومها طال أمد زواجها، فأنها تعتبر نفسها غربية عن زوجها وأهدا بدل على أن الروابط الدموية هى الأساس الذى تقوم عليه علاقات القرابة فى هذه النماذج من المجتمعات وربما تكون المتواضعات

ياابــن عمــى ياإبــن عمومــى اطلب ولجوز مانى مهمومى لاخــذ بــدالك ابــن المكرمــة او حتى اللى خابرع التلفونا وتقول اغنية لغرى تحمل معنى الثورة والتُمرد على العرف الذي يقضى بأولوية ابن العم بالزواج من ابنة عمه

> بطلنسا نوخست مسن قراييفسا بطلنا نوخذ غير اليعجبنا أسعر اللونا أو سود العيونا

> > ٤٠ - تقول اغنية شعبية

حلفت فلانه ما يطلع ع القدرس الا بعمامي ويباريني حرس حلفت فلانه ما يطلع لحالسي إلا بعمامي ريباريني خالي

- ٤١

ياهل الغريبة طاواع غربتكم إن قصرت خيولكم شدو همتكم

٣٩ - تقول اغنية شعبية:

الاجتماعية التى تنص على اولوية ابن العم فى الزواج من ابنة عمه هو نوع من التأكيد على أهمية الروابط الدموية فى تدعيم التماسك والتضامن الاجتماعي بين افراد المجموعة القرابية الواحدة، الى جانب اعتبارات اقتصادية اخرى قوامها حصر الملكية فى نطاق العائلة او العشيرة وعدم تسربها او تسرب جزء منها الى الغير •

ونستدل من الأغانى الشعبية على أن هذه المجتمعات تعير اهمية كبيرة الحسب والنسب، وتمنحها قيمة لجتماعية كبيرة، وبخاصة عندما يكون الزواج بين القبائل والعشائر المتناظرة وهو ما يُعَبِّر عنه في لغة الانثروبولوجيين بالزواج الخارجي exogamous marriage ويهدف هذا النوع من الزواج في الغالب الى تمتين الصلات والعلاقات بين قبيلتين أو جماعتين لا تربطها ببعضهما بعضا روابط دموية و ولعل الكرم والمروءة والشجاعة أهم المواصفات التي يرتكز اليها النسب الرفيع أو المصاهرة وقد عبرت الأغاني الشعبية عن هذه القيم والاتجاهات الماغ تعبير ووصفتها أدق وصف (٢٠).

ولعلّ رغبة المجتمع في تدعيم العلاقات الاجتماعية بين اعضاء المجموعة القرابية، وتأكيده على أهمية الحسب والنسب في حالة الزواج، عبارة عن ترتيب

٤٢ - يقول مطلع اغنية شعبية:

ولعنا عشينا من الصبح للحصر ولعنسا خنينسا طيبسات الاصل وتقول اغنية تفتخر فيها الفتاة بالحسب والنسب وبجود اهلها وكرمهم:

ياسيت الشعسر ياعسز الاجسواد يابيت ابوى او بيت جدى او خالى دق المهساش نسادى ع الرجسال واشعسل النيسران ببيست الاجسواد وتقول اغنية لغرى تحمل معانى الاعتمام بقيمة الكرم والحط من قيمة البخل.

بنت الكريسم خذها بكل مسالك بيسع السرزق واحظلم بلقاها بيسى منها سخى الكف مخدول النسسذل لطيفسسة حماهسسا (يقسد بالرزق هنا الماشية أو الإبل، وسخى الكف: كناية عن الكرم)،

وتقول اغنية اخرى تحمل معانى الذم للبخل .

بنت البضيل لا توخذها بكل مالك لوانها شبه شمص فى سعاها بيجى منها صقيع النفن عضول ياخلـق اللـه مـا اردى ظناهــا (والمقصود ان بنت البخيل لا تلد الا بخيلا)

بين أسرتين أو بين قبيلتين اكثر من أن يكون ترتيبا بين فردين. وتتناعم هذه الترتيبات مع الظروف والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية القائمة • فاقامة علاقة وثيقة بين عشيرتين او بين قبيلتين عن طريق الزواج قد ينتج عنها اتحاد عشائري أو قبلي كبير، يكون اقوى على مواجهة الاعتداءات أو التحديات سواء أكانت هذه التحديات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية. وبوجه عام فقد كشفت الأغاني الشعبية بما تضمنته من مضامين وتعبيرات احتماعية، عن حقيقة الوضع الاجتماعي للمرأة ومكانتها الاجتماعية المتدنية. وقد تمثل ذلك اكثر ما تمثل في تحكم والدها في أمر زواجها وعدم منحها الحرية في اختيار الزوج الذي تريده • كما تمثل في النظرة اليها على أنها أقل شأنا من الرجل، على الرغم من اشتراكها معه في الأعمال الزراعية. إلى جانب اضطلاعها بأعمالها المنزلية. ولعلّ نظام القرابة القائم على الروابط الدموية والذي يتمتع بموجيه الأب بسلطة مطلقة على أعضاء الأسرة -نكورا وإناثا - هو المسؤول إلى حد كبير عن وضعها الاجتماعي المتدني. كما أن نظام القرابة القائم على الروابط الدموية قد يكون وراء العرف الاجتماعي الذي يقضى بأولوية ابن العم في الزواج من ابنة عمه • ولا شك ان الفتاة قد عانت من هذا النظام الشيء الكثير . كما ان ترتيبات الزواج عن طريق الأسر، دون أن يكون للجنسين شأن يذكر في اقرار هذا الزواج أو رفضه، وتركيز الأسر والعشائر على قيم الحسب والنسب عند اقرار الزواج او رفضه، قد سلب العروسين حريتهما وعُرَّض مصالحهما الفردية للخطر • ولعلِّ هذه الاجراءات والترتبيات وغيرها من المتواضعات الاجتماعية تكشف حقيقة لجتماعية اساسية مؤداها أن الجماعة هي المرجم الأول والاخير في كل نشاط لجتماعي، وإنها المسؤولة عن نشاطات الفرد وتصرفاته.

# الأغانى الشعبية وبعض مظاهر التغير الاجتماعى:

تبين أن الأغانى الشعبية لا تعكس الماضى فقط وانما تصف الحاضر وتصوره وتبرز ما فيه من عناصر ثقافية وحضارية جديدة • فقد اشتملت بعض الأغانى الشعبية على تعبيرات تشير ألى نماذج جديدة من العلوم والتكنولوجيا لم تكن موجودة من قبل، مثل البندقية والمدفع والمركبة (السيارة) والتليفون، ونحوها، وتدلنا الأغانى الشعبية على أن الشاعر الشعبى يربط بين انتشار الادوات والتكنولوجية الحديثة وبين التعليم (٢٠) وهذا يدل دلالة واضحة على أن انتشار هذه الأدوات في المجتمع الأردني قد تزامن مع النهضة التعليمية التي بدأت معالمها في الظهور منذ تأسيس امارة شرقي الاردن، والتي اخذت تزداد انتشارا منذ منتصف الخمسينات أو مطلع الستينات من هذا القرن •

وقد كشفت لنا الأغاني الشعبية عن أن هذه الأدوات ، وبخاصة وسائل الاتصال الجمعي الحديثة، قد وفرت للناس فرصا اكثر للتواصل فيما بينهم وسهلت لهم عملية الاتصال بالمجتمع الذي يقع خارج قراهم \* فقد اصبحنا نلاحظ من خلال الأغاني الشعبية أن الفتاة تستعين بهذه الوسائل للاتصال بحبيبها عوضا عن الاستعانة بالطير (133) كما أخذت تستعين بها للاتصال بالمدينة والتعرف الى ما يجرى فيها من وقائع واحداث (210) •

ويستدل من مضامين الأغانى الشعبية على أن التطور في وسائط النقل ووسائل الاتصال قدرافقه تطور مماثل في نمط العلاقات الاجتماعية التقليدية التي تربط الفتاة بأهلها وبمجتمعها المحلى • حيث اصبحنا نلاحظ في هذه الأغاني أن الفتاة تعبّر عن حرية نسبية لم نالفها من قبل • وقد تمثل ذلك

٤٧ - تقول اغنية شعبية: والشقير من المدارس تاغيبته ركب اللى عليها رقسم الكتبيسة (رقم الكتيبة كناية عن المدفع او السيارة) تقول اغنية اخرى: او باركوا له بالعروس يا اولاد خاله من حالبة ساق السيارة من حاله \$ \$ - وتقول اغنية شعبية . راعسى التسكسي الصغيسسرة خذنى معك أجبرة بس اسلی حبیبی لا بــــدى اكل ولا أشرب تقول أغنية الحرى: من دار اهلي لسطوحه واللمسمه لا سحب تلفمسون روحى معلقة بروحه لا تلمونسسى يسساهل اللسسه ٥٤ - تقول اغنية شعبية -هات لی معك جريدة إن كنك رايـــــ لا اربــــــ

في مخاطبة سائق السيارة ، الذي قد يكون شخصا غريبا عنها، والطلب اليه أن يوصلها الى حبيبها لمخاطبته ومجالسته وتسليته دون اكتراث كبير بالقيم الاجتماعية التقليدية و وتجلت كذلك في تحدى الناس والاتصال بحبيبها عن طريق الهاتف و وعبرت الأغاني الشعبية كذلك عن نمط جديد من العلاقات الأسرية التي تربط الزوجة بزوجها و فلم تعد الزوجه تحفل بنمط العلاقة التقليدية التي تحكم علاقتها بأم الزوج (حماتها) والتي تقوم على الاحترام والطاعة من جانب الزوجة بل أصبحت تتمرد عليها وتحض زوجها على التمرد على أمه وعدم طاعتها و وقد عبرت الزوجة عن هذا الاتجاه الجديد باغنية شعبية تقول:

خَــطْ الْمُكْ ع الْمُخــدُة واضْرْبَهَا بِالْمُهَدَة. علا 
 خُــطْ المَّل عَ الطَّبْلِيَـــة وارشَقْها خَمِسْمِيَّة. علا

وقد عبرت الأغانى الشعبية عن التغير في انماط اللباس · فهنالك اغنية شعبية تقول:

يَابِ فَ طَقِيمَ لَمُونَ فَ فَ دُيشَ حَقُه يَاعْيُونِ فَ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ المعناصر الثقافية الجديدة • في حالة من التضايف والتعايش الى أن يكتب النصر والفلبة للعناصر الثقافية الجديدة • فقد لاحظنا من خلال التعبيرات التي الشملت عليها الأغاني الشعبية أن السيف كاداة قتال تقليدية مازالت تعيش الى جانب البندقية والمدفع • كما لاحظنا أن العلاقات الأسرية الجديدة والتي اصبح بموجبها يتمتع اعضاء الأسرة بنوع من الحرية النسبية • وقد تمثل نلك برغبة الفتاة بالزواج من ابن عمها استجابة لنسق العلاقات القرابية التقليدية وتمردها عليه في الوقت ذاته استجابة لنسق العلاقات العرابية التقليدية وتمردها عليه في الوقت ذاته استجابة لمتطلبات الحياة الاجتماعية المتجددة • ولا شك أن التعليم قد لعب دورا مهما في كل هذه المظاهر التطورية •

وقد عالجت الأغانى الشعبية كذلك، مشكلة الهجرة وما يترتب عليها من مشكلات وتأثيرات نفسية واجتماعية، سواء بالنسبة للمهاجر نفسه أو بالنسبة لافراد اسرته الذين تركهم خلفه فى المجتمع الاصلى<sup>(٢) ،</sup> وليس هنالك شك فى أن الهجرة عامل أساسى من عوامل التغير الاجتماعى كما أنها صدى لهذا التغير وأنعكاس له •

وهكذا نجد أن الأغانى الشعبية قد استجابت لعناصر التجديد والابداع، وواكبت التغيرات الثقافية والحضارية ولذلك فقد طورت مضامينها واشكالها ومفرداتها لتعبر عن تطور الحياة الاجتماعية وابعادها المختلفة وهذا يدل دلالة واضحة على أن التراث لا يقف عند الماضى وانما هو تيار متدفق يتواصل فيه التراث القديم والجديد في حركة اجتماعية مستمرة و

وكما أن الأغانى الشعبية وصفت نظم المجتمع التقليدية وعبرت عن تكاملها وتساندها ، فقد وصفت كذلك مظاهر التغير في هذه النظم وعبرت عن تكاملها في صورتها الدينامية المتغيرة \* فقد لاحظنا \* من المضامين التي اشتملت عليها هذه الأغاني الشعبية أن السمات التقليدية والبدائية والبساطة لا تخص النظام الزراعي فقط، وانما تخص كذلك المناصر الثقافية والنظم الاجتماعية الأخرى \* ولاحظنا كذلك أن المضامين والتعبيرات المجددة التي اصبحت تشتمل عليها الأغاني الشعبية لا تمكس التجديد في ناحية معينة من نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية فقط بل تعكس التجديد في مختلف نواحي الحياة وهذا يدل على الأغاني الشعبية لا تصف المجتمع في حالته التقليدية او الاستقرارية) فقط وانما تصفه كذلك في حالته الدينامية المتطورة \*

<sup>-</sup> ٤٦

بازريف الطُول وقُفْ ثاقدولُ اللهُ خايفُ باالمحبُونِ ثروحُ ال بِسُمَلُكُ

لقد كان الهدف الأساسى من هذه الدراسة هو اختبار مدى كفاءة الأغانى الشعبية فى الكشف عن خصائص الحياة الاجتماعية والثقافية فى المجتمعات الزراعية، باعتبارها مصدرا مهما من مصادر المعلومات عن هذه النماذج من المجتمعات، وأداة من أدوات البحث والتحليل. ولبلوغ هذا الهدف فقد قمنا بجمع طائفة من الأغانى الشعبية التى يرددها البدو والريفيون فى المناسبات المختلفة، وحللناها فى ضوء المنهج الانثروبولوجى التكاملي مع الاستمانة ، بطريقة تحليل المضمون \*

وقد توصلت الدراسة الى أن التعبيرات التى تشتمل عليها الأغانى الشعبية تتصل اتصالا وثيقا بثقافة المجتمع وبالكيانات والنظم الاجتماعية التى يتألف منها سواء فى الماضى أو فى الحاضر . وهذا يؤكد التعميمات التى تنص على أن الأغانى الشعبية تصف المجتمع وتصوره بدقة وتعكس الثقافة السائدة فيه ٠

فمن حيث النشاط الزراعي، فقد وصفت الأغاني الشعبية الأدوات والوسائل والأساليب الزراعية التي مازال الفلاح الاردني يستخدم جزاء كبيرا منها حتى اليوم. كما وصفت بعض العمليات الاجتماعية التي تتخلل النشاط الزراعي مثل الععلية التعاونية التي تقوم على المساعدة المتبائلة. وكشفت الأغاني الشعبية كنك عن مدى تحكم البيئة الطبيعية في الانتاج الزراعي، وتأثره الشديد بالمناخ وتقلبات الطقس. وبينت هذه الأغاني بدائية وسائط النقل و الاتصال التي كان يستخدمها الفلاح للاتصال التي كان قريته. كما أبرزت بطريقة غير مباشرة بعض الحقائق التاريخية كوحدة تربيه. كما أبرزت بطريقة غير مباشرة بعض الحقائق التاريخية كوحدة الاردن وسوريا أو وحدة بلاد الشام عموماً. وإذا أمعنا النظر في الوصف الذي قدمته الأغاني الشعبية للنظام الزراعي وعناصر ومكوناته وما يشتمل عليه من عمليات وعلاقات اجتماعية، لوجدنا أنها تتصف عموما بالبساطة وقلة التعقيد، أي أن هنالك نوعا من التناغم بين بساطة النظام الزراعي وبساطة المواقف والعمليات الاجتماعية التي تتخلك و

ومن الناحية السياسية، فقد تبين من التعبيرات والمضامين التي اشتملت

عليها الاغانى الشعبية أن الاحداث السياسية لم تكن بعيدة عن وجدان الانسان العربى في الاردن، وبخاصة الأحداث التي شهدها المجتمع العربي منذ مطلع هذا القرن، وفي مقدمتها الثورة العربية الكبرى وقضية فلسطين. فقد عبرت هذه الأغاني عن رغبة الشعب الاردني في الثورة على الادارة التركية لهذه اللهائد، كما عبرت عن التفاف الشعب حول قيادة هذه الثورة والاخلاص لها. وفي الوقت ذاته فقد اشتملت هذه الأغاني على تعبيرات ومفردات معينة تعكس مظاهر الحزن والأسي الذي اصباب الشعب العربي الفلسطيني من جراء احتلال فلسطين من قبل العدو الصهيوني بمساندة من قرى الاستعمار. ولكنها اشتملت في الوقت ذاته على التعبيرات ثجتُ العرب جميعا على الاستبسال والقتال وتستثير عواطفهم ومشاعرهم للتصدي للعدو الصهيوني المغتصب وعدم الاستكانة والخضوع ه

ومن الناحية الدينية ، فقد اظهرت لنا الأغانى الشعبية أن المجتمع الأردنى مجتمع متدين وأن الدين يقوم بوظيفة أساسية فى الحياة الاجتماعية . ويستدل على نلك من تصدر العبارات الدينية لكثير من المقطوعات الغنائية التي يرددها الناس فى المناسبات المختلفة مثل «ياربي يامِمْثلِي ، صَلوًا ع النبي الهادى . كما يستدل على ذلك أيضا من التعبيرات التي تستهدف تعليم الناس – وبخاصة الصغار منهم – كيفية تأدية الطقوس والشعائر الدينية وتريفهم بالأماكن الدينية المقدسة •

ومن ناحية المعتقدات الشعبية فقد ابرزت الأغانى الشعبية تمسك الجماعات الريفية والبدوية ببعض الممارسات السحرية التى تختلط فى بعض الاحيان بالتصورات والمعتقدات الدينية . وقد أوضحت هذه الأغانى أن الممارسات السحرية تتناول جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية ، ولا تختص بجانب واحد فقط •

اما من حيث النسق القرابى، فقد أمدتنا الأغانى الشعبية بصورة نمطية للعلاقات القرابية التى تقوم على الروابط الدموية. وقد تمثل ذلك فى أولوية ابن العم فى الزواج من ابنة عمه، وفى التفاف العشيرة حول زعيمها أو شيخها والدفاع عنه، انطلاقا من الروابط الدموية التى تربطهم به، وقد يكون فى اصرار العروس على عدم الخروج من بيت اهلها الأ بحضور والدها

واعمامها وارقاربها ، على الرغم من الظلم الذي تلاقيه منهم ، هو مؤشر آخر على شدة الروابط الدموية التي تربط بين اعضاء الجماعة القرابية الواحدة •

وقد اتضح أن الأغانى الشعبية لا تتناول عناصر وسمات اجتماعية وثقافية تقليدية فقط، بل تتناول كذلك كثيرا من النماذج الحضارية والثقافية الجديدة، فقد وصفت عناصر تكنولوجية جديدة، كالبندقية والمدفع والسيارة والتلفون ونحوها، كما وصفت نماذج جديدة من اللباس والعلاقات الاسرية. مما يدل على أن الأغانى الشعبية لا تصف المجتمع فى صورته الاستاتيكية التقليدية فقط بل تصفه كذلك فى صورته الدينامية المتغيرة •

وقد توصلت هذه الدراسة الى ان التعبيرات والمضامين الاجتماعية التي اشتملت عليها الأغاني الشعبية يقوم بينها نوع من التكامل والترابط، بمعنى أن التعبيرات التي وصفت النظام الزراعي بالبساطة وقلة التعقيد تنسجم مع بساطة التعبيرات التي تشير الى تمسك هذه الجماعة بالمعتقدات الشعبية. وهذا بدل على أن هناك علاقة ترابطية بين النظام الزراعي التقليدي، الذي تستخدم فيه أدوات ووسائل بدائية ، وبين المعتقدات الشعبية . ويمكن أن يفسر هذا الترابط بأن الجماعات البشرية التي تعمل في الزراعة التقليدية تتجه الي الاستعانة بالممارسات السحرية عنيما تفتقر لاساليب فنية وإيوات تكنولوجية متطورة تسبطر بموجبها على المشكلات الزراعية التي تواجهها ، وربما توجد مثل هذه العلاقة ايضا بين الدين والنظم الزراعية التقليدية، بمعنى أن الجماعات الزراعية يزداد تمسكها بالدبن الذي بختلط في بعض الاحيان بالتصورات الميثولوجية (الاسطورية) كلما كانت أدواتها وأساليبها الزراعية مدائية ، وكلما افتقرت إلى الأدوات التكنولوجية المتطورة. ذلك لأنها في هذه الحالة تجد في الآله أو القوى فوق الطبيعية الملاذ الذي تتجه البه للتغلب على مشكلاتها الزراعية والاجتماعية. وقد لاحظنا نلك في اغاني الاستسقاء ٠

وتوصلت هذه الدراسة ايضا الى وجود نوع من الانسجام بين مضامين الأغانى الشعبية التى تصف نظام الزراعة التقليدى وبين المضامين التى تصف نظام القرابة ومكانة كل من الرجل والمراة فى ظل هذين النظامين. ويمكن أن يفسر هذا الانسجام فى مضامين الاغانى الشعبية على أنه نتاج الانسجام

والتكامل بين هذين النظامين، بمعنى أن نظام الزراعة التقليدى يؤثر فى النظام القرابى ويتأثر به فى الوقت ذاته. وقد جاءت مضامين الأغانى الشعبية لتعبر عن هذا التأثير المتبادل فيما بينهما ويمكن أن نفسر التكامل والترابط بين هذين النظامين، فى أن كل مجموعة قرابية قى هذه المجتمعات تستقل بقطعة معينة من الأرض وتقوم بفلاحتها وزراعتها عن طريق تعاون أفراد الاسرة أو أفراد العشيرة أو القبيلة فى ضوء قواعد محددة فى توزيع الأدوار ولان الرجال يضطلعون بالقسط الأكبر من الأعمال الزراعية فقد احتلوا المكانة الاجتماعية الأعلى، بينما احتلت المراة مكانة اجتماعية أدنى نظرا لمساهمتها بنصيب أقل فى عمليات الانتاج الزراعى بالاضافة إلى ذلك، فأن النكور هم الذين يدافعون عن العشيرة أو عن القبيلة، وهم الذين يُخلدون نكر الرجل بعد مماته ولذلك تعاظمت أهميتهم فى المجتمعات الزراعية واعتلى شأنهم بينما إنخفض مركز المرأة وتدنت مكانتها الاجتماعية ، وتركزت قيمتها بشكل أساسى فى أنجاب الذكور دون الاناث.

ولان ملكية الأرض بيد الأب أو رئيس الأسرة، فقد أصبحت له السلطة المطلقة على كل اعضاء الأسرة نكورا واناثا، وهذا ما جعل الأب يتحكم في أمر زواج ابنته او ابنه ٠

وقد عبرت الفتاة من خلال اغانيها الشعبية عن الظلم الذي لحق بها من جراء هذه السلطة التي يتمتع بها الأب. وربما يكون في أولوية ابن العم في الزواج من ابنة عمه، كنوع من العرف السائد في هذه المجتمعات، محاولة لحصر الملكية في نطاق المجموعة القرابية الواحدة وتأكيد للروابط الدموية التي تسند هذا النظام وتدعمه. وقد تجلت مظاهر الاهتمام بالروابط الدموية في تعبيرات كثيرة اشتملت عليها الأغاني الشعبية، من بينها التفاف افراد العشيرة أو القبيلة حول زعيمهم أو شيخهم الذي تربطهم به صلات قرابية تقوم في الغالب على الروابط الدموية، ومن بينها أيضا عدم خروج العروس من بيت والدها الا بحضوره وبحضور أعمامها وأقاربها الدي والدها الا بحضوره وبحضور أعمامها وأقاربها

وربما يكون الاستنتاج صحيحا في أن الأحداث والاوضاع السياسية السيئة التي عانى منها المجتمع العربي عامة والشعب الفلسطيني خاصة هي نتاج وظيفي لهذه الانماط من النظم الاجتماعية \* وقد توصلت الدراسة الى أن الأغانى الشعبية لا تعكس خصائص الحياة الاجتماعية والثقافية كما كانت عليه فى الماضى، بل تعكس خصائص الحياة الاجتماعية الجديدة. ويدل على ذلك اشتمالها على مفردات جديدة مثل بندقية، وسيارة، وطائرة ... الغ، وعلى تعبيرات تصف نماذج جديدة من العلاقات الأسرية وأنماط اللباس وغيرها. وهكذا نجد أن الأغانى الشعبية تصلح لان تكون مدخلا لدراسة المجتمع واداة لتحليل عناصر الثقافة السائدة فيه، سواء فى حالته الاستاتيكية (الاستقرارية) او فى حالته الدينامية المتطورة •

#### المراجع

# 1- المراجع الاجنبية:

- 1 Foley Rella, Song of the Arab, (n. p.; n. p. p.) 1953 .
- 2 Gieson, J.C. Herbert, the Poems of John Donne, Oxford University Press, Oxford, 1963,
- 3 Mead, Margaret, An Anthropologist at Work, University Press of Chicago, Chicago, 1959.

#### المراجع العربية:

- (١) الجوهري، محمد، التراث الشعبي، حولية كلية الأداب، جامعة القاهرة، المجلد الثلاثون، القاهرة ١٩٦٨.
- (۲) الجوهرى، محمد، وزايد، احمد، تنمية العالم الثالث، الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية، دار المعارف بمصر، القاهرة، ۱۹۸۷.
- (٣) الخليلى، على، التراث الفلسطينى والطبقات، دار الأداب، بيروت، ١٩٧٧.
- (3) الربايعة، احمد، الهجرة والتغير الثقافي في ضوء النظرية البنائية الوطيفية، رسالة بكتوراة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ۱۹۷۷، غير منشورة.
- (٥) الربايعة، لحمد، مقومات التنمية ومعوقاتها، منشورات الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٨٨.
- (٦) العمد ، هانى ، اغانينا الشعبية فى الضفة الشرقية من الأردن ، دائرة الثقافة والفنون ، عمان ، ١٩٦٨ .
- (٧) المقيسى، نورى، محاولات فى دراسة اجتماع الأدب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧.
- (A) بن زائد العزیزی، روکس، معلمة التراث، ج۱، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ۱۹۸۱.

- (٩) حجاب، نمر، الأغنية الشعبية في شمال فلسطين، رابطة الكتاب الأردندين، عمان، ١٩٧٨.
- (۱۰) دورسون، ريتشارد، نظريات الفلكلور المعاصر، ترجمة محمد الجوهرى وحسن الشامى، دار الكتب الجامعية، القاهرة، ۱۹۷۲.
- (۱۱) ديفا، اندرا، الماثورات الشعبية والشفوية واهميتها في دراسة المجتمع الزراعي، ديوجين، العدد السادس والعشرون، القاهرة، ١٩٧٤.
- (۱۲) سرحان، نمر، أغانينا الشعبية في الضفة الغربية من الاردن، دائرة الثقافة والفنون، عمان، ١٩٦٨.
- (۱۳) شويحات، يوسف، العرب وتراثهم. بدون ذكر للناشر ولا مكان النشر ولا التاريخ.
- (١٤) فريزر، جيمس، الغصن الذهبى، ترجمة نبيلة ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٠.
- ( ۱۰) هولتكراتسه ، ايكه ، قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور ، ترجمة محمد الجوهرى وحسن الشامى ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ۱۹۷۲ .

# البساديسة البسدلسية (\*)

#### Dialectical Materialism

# إبراهيم العيسوي(\* \*)

المادية الجدلية (أو المادية الديالكتيكية) هي المكون الفلسفي للماركسية. فهي نلك النوع من المادية الفلسفية الذي توصل اليه ماركس وانجلز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وذلك بمزج النظرة المادية إلى العالم بفكرة الجدلية (أو الديالكتيك أو المنطق الجدلي). لاحظ أن ماركس لم يستخدم في كل ما كتب تعبير والمادية الجدلية و والذي استحدث هذا التعبير هو بليخانوف، وكما يبين من إسمها، فقد ظهرت المادية الجدلية على سبيل المعارضة لما كان سائداً وقت نشأتها من مثالية وميتافيزيقية. فالمادية تناقض المثالية، والجدلية تناقض الميتافيزيقية وبرغم ما قد يكون هناك من التباس في ممارضة الجدلية بالميتافيزيقية (حيث تشير الأخيرة في

المجلة الاجتماعية القومية المجلة السانس والعشرون يناير ١٩٨٩

العبد الاول

<sup>★</sup> نبد! بهذا العدد من العجلة تقديم شروح نقدية - من اعداد متخصصين على مستوى عال - لعدد من المفاهيم الاساسية في التحليل الاجتماعي . وهو عمل نقصد منه الى توفير معالجة متوازنة - غير متحازة - للمفاهيم المفتارة ، نشعر أن المكتبة العربية -- وبالتحديد الدارس والباحث على مستوى اكاديمي متخصص - في حاجة ماسة اليها \*

والشروح من اعداد لجنة فرعية في بعث الخريطة الاجتماعية لعصر ، الذي تجريه في المركز هيئة بأشراف 1 • د • عزت حجازي •

تكتوراه في الاقتصاد السياسي، مستشار بمعهد التخطيط القومي \*

معناها الشائع حالياً الى دما بعد الطبيعة ، أو القوى غير المنظورة من وراء العالم المادى) ، فان الميتافيزيقية كانت تستخدم ، من جانب هيجل وغيره من الفلاسفة والكتاب الألمان وكذلك من قبل من عاصرهم ماركس وانجلز ، بمعنى مناقض فعلاً لمعنى الجدلية ، حسيما سياتي بيانه .

والحدادة - كما في الأصل البوناني - في طريقة في المناقشة المنطقية أو اسلوب في المنطق (المنطق الشكلي أو الصوري) • وهي تعني فن تقصى الحقرة من خلال المناقشة التي تجري بين اطراف متعارضة، وكشف التناقضات التي تتضمنها حجج كل طرف، وامتحان صدق الأراء بالجدل المنطقى الذي تقارع فيه الحجة بالحجة المضادة. غير أن الجدلية من حيث هي مفهوم فلسفي قد تبلورت أول ما تبلورت على يد هيجل، ومثلت منطقاً حديداً ، قُصد به أن يواحه منطق أرسطو القديم ويعارضه . فالمنطق الجدلي يقوم على الحركة ، لاعلى الثبات • وعلى العكس من النظرة الميتافيزيقية المجردة إلى الأشياء والتعامل معها كل على حدة، وكأنها تملك خصائص ثابته تتبيل ، والنظر البها في سكونها لا في حركتها ، وتجاهل العلاقات التي تقوم فيما بينهما وبين غيرها من الأشياء، فقد تطورت الجدلية على يد هيجل إلى نظرة إلى الأشياء في حركتها وتغيرها وتطورها، وفي علاقاتها وتفاعلاتها مع غيرها . وانطلقت الجدلية على اساس أن كل شيء يمر بعملية مستمرة للتحول والصيرورة أو العدم، وأن كل شيء متغير ويتم تجاوزه إلى غيره. وتتمثل القوة المحركة للتغير أو التطور في احتواء الأشياء على جوانب متعارضة أو متناقضة . وهذا التناقض هو الذي يؤدي في النهاية إلى تحول الأشياء وتطورها أو إلى تحللها وفنائها. وهكذا تتلخص فكرة الجدلية في أنها عملية تطور تتم من خلال ظهور المتناقضات وما يجرى بينها من متراء •

وقد اخذ ماركس وانجلز فكرة الجدلية عن هيجل. ولكنهما طورا جدلية هيجل وحولاها من جدلية تفسر التطور التلقائي للأفكار بالسير من فكرة إلى نقيضها، ثم إلى نتيجة مركبة تجمع أو تؤلف بين النقيضين وتعلوهما، إلى جدلية لتفسير حركة العالم المادى أو الطبيعة والمجتمع الانساني، بل والفكرة أيضا (ولكن بعد النظر إلى الفكر كنتاج لحركة العالم المادى الجدلية، وبعد الإقرار بأن الاشياء سابقة على الافكار وتوجد مستقلة

عنها). وهكذا ظهرت جدلية الطبيعة، كما ظهرت جدلية المجتمع الانساني، متمثلة في المادية التاريخية التي تصدت لتفسير تطور النظم الاجتماعية، وبينما رأى هيجل أن التطور تعبير عن الفكرة العالمية أو روح العالم [وهي فكرة قريبة من فكرة الارادة الالهية] التي تحقق أو تجسد نفسها في الطبيعة وفي المجتمع الانساني، رأى ماركس وانجلز أن التطور كامن في طبيعة العالم المادي • فالاوضاع المادية لا تتبع الفكر وحركته الجدلية، وإنما الفكر وحركته الجدلية هما اللذان يتبعان الحركة الجدلية، المادي •

وقد كان لانجلز الدور الأساسي في بلورة مفهوم المادية الجبلية وتقديمه الى الناس، وذلك من خلال كتب ثلاث هي: ضد دوهرنج (١٨٧٨)، وجدلعة الطبيعة (١٨٨٨، أي بعد وفاة ماركس بخمس سنوات)، ولودفيج فيورياخ ونهاية الفلسفة الإلمانية الكلاسيكية (وهي مخطوطة غير مكتملة كتبت في الفترة من ١٨٧٣). ولاحظ أن هذه الأعمال قد كتبت أو نشرت بعد ثُلاثين عاماً أو أكثر من صدور البيان الشيوعي (١٨٤٨). وعموماً تجدر ملاحظة أن ماركس وانجلز لم يقدما في أي من أعملهما عرضاً متكاملاً أو بداناً شاملاً عن المادية الجدادة • وإنما قدما حججا مضادة لوجهات نظر فلسفية الخرى • وفي سياق معارضة الفلسفات المثالية والمتنافيزيقية عرضا بعض المبادىء الخاصة بالمادية البيدلية وبعض الاستنتاجات المترتبة عليها • ولا شك أن الارتباط الوثيق بين ظهور المادية الجدلية وتطورها من جهة، وظروف النضال السياسي وملابسات الحركة السياسية للطبقة العاملة الدولية من جهة أخرى، قد ترك بصماته على أسلوب عرض مياديء المادية الجدلية ، بل وعلى ما حظيت به يعض هذه المياديء المادية من اهتمام وما أثارته من خلافات بالمقارنة ببعضها الآخر • وعموما يمكن تلخيص المبادىء المادية الجدلية في أربعة مدادىء على النحو التالي:

١ - ميدا الوجود الموضوعي للعالم المادي، بمعنى أن أي شيء لا يتوقف وجوده على كونه مدركاً أو محسوسا على أي وجه من الوجود. ذلك أن العمليات والأشياء والظواهر المادية موجودة وجوداً موضوعياً، أي مستقلاً عن أية أفكار قد يكونها الناس عنها، وكذلك عن وعي الناس بها. وهذا الوجود لايمكن أن يشتق بمجرد النظر في الاعتبارات أو العوامل النفسية

أو المنطقية وحدها . ولدراسة شيء ما ، يجب أن ننظر مباشرة الى الشيء في ذاته ، وليس إلى أفكار الناس عنه . وليس ذلك لأن الأفكار غير مهمة ، أو غير مؤثرة في تشكيل مجرى الأحداث ، وانما لأن الأفكار في نهاية الأمر تعبير عن الأشياء ، وليست الأشياء هي التعبير عن الأفكار . فالأشياء سابقة على الأفكار التي يكونها الناس عنها ، برغم أنه بحجرد تكون الأفكار يمكن أن يصبح لها تأثير في تغيير شكل الأشياء ومجرى الأحداث .

٧ - ميدا الجبرية والقابلية للمعرفة، بمعنى أن كل الأشياء تخضع لقوانين، وليست متروكة لعامل الصدفة وحده (الذي لا يمكن إنكار وجوده بالطبع). وهذا هو الفرض المنهجي الأساسي الذي في غيابه لا يمكن قيام بالطبع). وهذا هو الفرض المنهجي الأساسي الذي في غيابه لا يمكن قيام أي علم من العلوم. فضلا عن ذلك فأن القوانين التي تحكم حركة الأشياء والترابطات العامة فيما بينها وبين غيرها لا غني عنها للنشاط العملي للناس. وهذه المعرفة ممكنة التحصيل، وإن كانت أي معرفة يتم تحصيلها جزئية ومحدودة ونسبية، ومن ثم قابلة للتطوير. ولا ترى المادية الجدلية حدوداً لتطبيق العلمي في تحصيل المعرفة، برغم أن أشياء كثيرة قد نظل مجهولة، إلا أن أياً منها ليس بالضرورة غير قابل للمعرفة. وهذا على خلاف ما تذهب إليه بعض الفلسفات الأخرى من أن هناك موضوعات معينة لا يمكن أن تعالج علمياً، وأن هناك أموراً بطبيعتها غير قابلة للمعرفة.

ومدرة القانون (العلمي) جوهرية للفاية في المادية الجدلية . ويتلخص مفهوم المادية الجدلية للقانون في أنه علاقة أو رابطة مستقرة ومتكررة الحدوث، ذات طبيعة أصلية لا عارضة، بين أشياء مختلفة أو بين جوانب مختلفة لنفس الشيء . والقانون لا يعبر عن أية ترابطات متكررة الحدوث، ولكن عن كل ما هو أساسي أو ضروري ولا غنى عنه من الترابطات التي تقوم بين الأشياء أو الظواهر المختلفة و وبمعرفة القانون الذي يحكم ظاهرة ما، والظروف الضروري توافرها لسريانه، يمتلك الانسان القدرة على معرفة حركة التطور واتجاهه، أو بالأحرى يصبح من الممكن التنبؤ بالمستقبل ومثلما تقول المادية بالوجود الموضوعي للعالم المادي، فانها تقول ايضاً بموضوعية القرانين وسريان مفعولها في استقلال عن إرادة الإنسان، بموضوعية القرانين وسريان مفعولها في استقلال عن إرادة الإنسان،

فالانسان لا يصنع هذه القرائين، ولا يملك از، يغيرها بمحض إرائته • وإنما هو فقط يستطيع أن يتعرف عليها وأن يدرك النتائج التي تترتب على عملها، وأن يستعملها في مجال أو آخر من مجالات الممارسة الانسانية •

٣ - مبدا وحدة النظرية والممارسة. تؤكد المادية الجدلية على التفاعل بين الوجود والوعى أو الفكر. فالتفاعل بين الانسان وبيئته المادية هو الذي يولد المعرفة. ولكتساب المعرفة ليس مجرد انعكاس أو انطباع سلبى في الذهن لوجود مكتمل سلفاً، وانما هو طريقة للتفاعل مع هذا الوجود. لا مجرد تأمله. والنظرية – أية نظرية – تنشأ لسد حاجة أو لمواجهة مشكلة محددة من مشكلات الانسان أو الطبيعة أو التاريخ. وطبقاً للمادية الجدلية فأن النظرية لها معنى فقط بمقدار ما تؤدى إلى آثار محددة ذات صلة بحل مشكلة من المشكلات. والنظرية التي لا تشير في نهاية المطاف إلى شيء ما يمكن عمله، ولا تترك أثراً على الموقف الذي استدعى ظهورها هي في مجرد فارخ لا طائل من ورائه.

فالمعرفة لا تتأتى من فراغ، وانما تصدر عن الخبرات والتجارب الانسانية، أو ما تطلق عليه المادية الجدلية: الممارسة. فمن خلال النشاط العملى للبشر، وتطور علاقات الناس بعضهم ببعض، وتطور علاقتهم بالعالم النارجي، وعبر التأثيرات المتبادلة بين الناس والبيئة المحيطة بهم يكتسبون المعارف، ويقومون باختبار صحتها، ويعدلون تبعاً لنتيجة الاختبار من صياغاتها و وبرغم أن الافراد هم الذين يكتسبون المعرفة، ألا أن المعرفة لايتيسر الحصول عليها في واقع الأمر إلا في مجتمع، أي عبر صلات التعاون والتناهر بين الأفراد. ولذا فان الخلاف حول صدق أو عدم صدق النظريات المنابئة عن الممارسة هو مجرد خلاف «أكاديمي؛ صرف و فمثل هذه النظريات لا جدوى منها، ولا سبيل إلى اختبار سلامتها أو دحضها، أو بالأحرى لا مكان لها بين النظريات العلمية حسب تعريف المادية الجدلية والمعرفة العلمية تكتسب وتختبر وتتطور جدلياً في مجرى الممارسة فالمعرفة العلمية، لا أكثر ولا أقل و

 عبدا الجدائية. وهو متخوذ عن هيجل كما سبقت الاشارة، وإن كان مجال عمله قد تغير من عالم الفكر إلى عالم المادة. وطبقاً لماركس
 ١٠٧ فان جدليته هي نقيض جدلية هيجل و فقد كان الهدف النهائي من العملية الجدلية عند هيجل هو الله أو الروح الخالصة المتحررة من كل قيد من قيود المادة وهذا الهدف وما يترتب عليه من نتائج هو ما رفضه ماركس وانجلز و لقد اضفى هيجل على الفكر وجوداً مستقلاً، واعتبر أن عملية التفكير الانساني هي خالفة العالم المادي، وأن هذا الأخير ليس إلا الشكل الظاهري أو الخارجي للفكرة العالمية و أما عند ماركس وانجلز، فكل ما هو فكري ليس إلا الصورة المنظبعة في الذهن الإنساني للعالم المادي،

والجدلية على حد تعبير انجلز في دضد دوهرنج ، هي علم القوانين العامة لحركة وتطور الطبيعة والمجتمع الانساني والفكر • فالعالم المادي في حركة دائمة وتطور مستمر، ومن ثم فمعرفة العالم المادي تستلزم دراسة الحركة الدائمة وذلك التطور المستمر. وذهب ماركس وانجلز، في تأكيدهما على أهمية استخلاص قوانين التطور، إلى مدى بعيد، لدرجة أن صار يطلق على المادية الجدلية ذاتها : قانون التطور • ولكن المادية الجدلية تؤكد في الوقت ذاته على مفهوم آخر في غاية الاهمية من منظور المنهج العلمي، وهو مفهوم الترابط، لدرجة أن اعتبر البعض أن المادية الجدادة هي قانون الترابط • فالعالم المادي لا يتطور فحسب، وانما هو كل مترابط ومتكامل • وتطور بعض الاشياء أو الظواهر لا يتم في عزلة عن تطور غيرها من الأشياء والظواهر، وانما يحدث هذا التطور في ترابط وصلات تأثير متبادل بين مختلف الإشياء والظواهر • وهكذا فمفهوم التطور متضمن في مفهوم الترابطات المتبائلة بين الاشياء بعضها وبعض، وبين الشيء ونفسه في المراحل المختلفة التي يمر بها عبر الزمن • ولذا يرى البعض الاكتفاء في تعريف الجدلية ، أو المنهج الجدلي ، بالقول بأنه علم دراسة الترابطات المتبايلة.

والحق أن هذا المعنى يتمشى مع معارضة الجدلية بالمتيافيزيقية حسب وصف انجلز للأخيرة فى دفعد دوهونج، فقد نظر إلى الميتافيزيقية باعتبارها الطريقة التى تقوم على اعتبار الموضوعات والعمليات التى تتم فى العالم المادى معزولة عن بعضها ، منتزعة من كل الصلات المتبادلة على نطاق واسع بين الأشياء وهى لذلك لا ترى الأشياء فى حركتها بل فى سكونها ، لا من حيث هى متغيرة فى الأساس ، وانما باعتبارها ثوابت جامدة ، وهى

لذلك حين تنظر الى الأشياء المفردة تفقد رؤية ترابطاتها وحين تدرس وجودها تنسى حركتها من مولدها إلى نهايتها وحين تنظر إليها في سكونها فانها تجعل حركتها خارج نطاق الموضوع وفي المقابل، فان الجدلية – حسب شرح انجلز – ترى الأشياء ،في صلاتها المتبادلة ؛ (وهذا هو مبدأ الارتباط بالمعنى الضيق)، وفي «تتابعها وحركتها، في مولدها موتها ؛ (وهذا هو مبدأ التطور الذي يكن ادراجه ضمن مبدأ الارتباط بالمعنى الواسع، لاننا – على حد قول كورنفورث – حين نفشل في أن نأخذ في الحسبان التتابع والحركة والميلاد والممات، فاننا نكون قد فقدنا رؤية عنصر أساسي في «المسلات المتبادلة على أوسع نطاق بين الأشياء) التي تكور عليها انجلز) «

وحتى هذه النقطة لا يوجد خلاف كبير حول معنى المادية الجدلية ورسالتها . ولكن الخلاف ينشأ (سواء بين الماركسيين ومعارضيهم أو بين الماركسيين انفسهم حول عدد من الأمور ، اهمها :

- ١ قوانين المادية الجدلية ونطاق تطبيقها ، أو بالأحرى قوانين الجدلية ، حيث لا يثير الشق المادى كثيراً من الخلاف ، حتى من جانب بعض نقاد الماركسية (مثل كارل بوبر الذى يرى أن العنصر المادى فى الماركسية يمكن إعادة صياغته بسهولة نسبية بحيث لا يوجه إليه اعتراض جدى) .
- ٢ علاقة التناقض الجدلى بالتناقض المنطقى، وما اذا كانت المادية الجدلية تسمح بوجود التناقض المنطقى، وبالتالى هل تعد المادية الجدلية بديلاً لمنطق ارسطو، أم أنها تسترعبه في إطارها الأوسع •
- ٣ علاقة المادية الجدلية، وبالذات الجدلية، بالمنهج العلمى •
   وفيما يلى نتعرض لكل قضية من هذه القضايا الخلافية بشىء من
   الانحاز •

#### قوانين المادية الجدلية:

طبقا للنصوص الماركسية التقليدية (مثل بعض كتب الفلسفة السوفياتية) فان هناك ثلاثة قوانين للمادية الجدلية، هي:

- (١) قانون الوحدة والصراع بين الاضداد أو المتناقضات
  - (ب) قانون تحول التغيرات الكمية الى تغيرات كيفية ٠
    - (ج) قانون نفى النفى ٠

ويمكن أن يضاف إلى هذه القوانين قانون الترابط وقانون النطور، مع قانونى الوحدة والصراع بين المتناقضات ونفى النفى فى قانون واحد يطلق عليه قانون التناقض، على نحو ما فعل ستالين. فكل الأشياء مترابطة، وكل الأشياء متطورة و هذا التطور يتم من خلال تراكم التغيرات الكمية التى تتحول بعد مستوى معين وبشكل فجائى إلى تغير كيفى فى الشيء أو الظاهرة موضع البحث ويتمثل هذا التطور فى حركة ينتقل بها الشيء من المستويات الأدنى إلى مستويات أعلى، ومن الحالات البسيطة إلى حالات اكثر تركيباً وتعقيداً ويتم ذلك لبس على خط مستقيم صاعد، وانما يتخذ شكلا أقرب ما يكون إلى الحلقات الحلزونية أو اللولبية و

غير أن بعض الكتاب الماركسيين يكادون يقصرون حديثهم عن المادية الجدلية على قانونى التطور والارتباط المتبادل، بل أن بعضهم يدمج الاثنين في قانون واحد للترابطات المتبادلة٬ ويغفل بقية القوانين التي وردت ومازالت ترد - في الشروح التقليدية •

ولا يثير قانون الترابط مشكلات عويصة. ولعل أهم مشكلتين فيما يتعلق بهذا القانون هما ما إذا كان المقصود منه أن الدراسة السليمة لأية ظاهرة بقضى بحث جميع العلاقات التى تقوم بينها وبين غيرها من الظواهر ، وما إذا كانت المعالجة الجزئية لأية ظاهرة باطلة وغير مجدية على الدوام ، ومن الواضع أن هاتين المشكلتين ليستا منفصلتين عن بعضهما . فهما يتعلقان الواضع أن هاتين المأمون في البحث العلمي . وريما يكون خير رد على مثل هذا النقد لقانون الترابط هو ممارسة ماركس نفسه العملية : في ه وأس المال ، مثلاً . فهر لم يتصد لدراسة كل العلاقات في آن واحد ، وانما استعمل التجريد لاستبعاد ما هو ثانوى أو غير مهم من العلاقات بين الظواهر المختلفة ، وركز في تحليله على ما هو الساسي وجوهري الغرض من دراسته . وفي سياق بحثه في تطور النظام الراسمالي وآليات عمله ، أجرى دراسات جزئية ، أي لجزئيات مختلفة من النظام ، ولكن دون أن يغيب عن

نظرة الاطار العام الذي تقع في هذه الجزئية أو تلك، ودون أن يقف في دراسته عند فحص الأشياء كل على حده. ولذا فلا معنى لتحميل قانون الترابط أكثر مما يتحمل، واظهاره وكأنه يحتم دراسة كل العلاقات بين كل الأحوال، وينفى نفياً مطلقاً أمكانية الدراسة الجزئية.

وفيما يتعلق بقانون التطور، فقد أبديت بشأنه اعتراضات عديدة، أهمها:

- (۱) أن الشروح التقليدية لهذا القانون تعطى التغير أو التطور معنى مطلقاً، وتصبر على أن كل شيء منظوراً إليه منفرداً دائم التطور ، بينما التطور نسبي، ولا معنى لتطور شيء ما إلا بنسبته إلى شيء آخر ساكن أد آكث أد أقل تطوراً \*
- (ب) أن الإصرار من جانب المادية الجدلية على أن المعرفة الصحيحة لأى شيء لانتأتى إلا بدراسته في حركته وتطوره، لا في سكونه، هو إصرار غير مبرر، لأنه يحكم بالعقم على دراسة الجوانب الثابتة لأى ظاهرة أو الظواهر الثابتة والتي لانتغير مع تقدم المجتمع ودراسة الأشياء في سكونها كثيراً ما تكون خطوة تمهد لدراسة الأشياء في حركتها ومن ثم فلا يبرر لاستبعادها أو تسخيفها.

(ج.) الاعتراض على اعتبار التطور مرابغاً للتقدم، بينما أن هذا ليس صحيحاً على الدوام.

والحق أن التركيز على التطور لدرجة صفات يكاد تقترب به من معنى التطور المطلق، والإصرار على النظرة الديناميكية أو الحركية للظواهر لدرجة تكاد تجعل من السخف دراسة أى شيء في سكونه، والمساواة بين التطور والتقدم، كل هذه أمور يجب أن تفهم ويتحدد حجمها الطبيعي بالنظر إلى الطبيعة النضالية للمادية الجدلية وقت ظهورها، والحروب التي شنتها على الفسلفات المثالية والمتيافيزيقية التي كانت تتطرف هي الأخرى في صياغتها إلى حد السخف. وبطبيعة الحال، بعدما هدأت المعارك وصفا الجو من غبارها، واكتسبت المادية الجدلية مواقع هامة في ساحة الفكر، أصبحت صياغات قانون التطور أكثر إعتدالا وأكثر تحرراً من بعض المقولات الثانوية التي

قرضتها ملابسات الصراع الفكرى المتداخل بقوة مع الصراعات السياسية والاجتماعية. ولا أظن أن ثمة جدلاً يمكن أن يثور الآن من جانب الجدليين حول نسبية التغير أو التطور. كما أنه ليس من الوارد تفسير الاصرار على دراسة الأشياء أو الظواهر في حركتها وتطورها بأنه يستبعد تماماً دراسة بعض الأشياء في سكونها، أو بعض الجوانب الثابتة أو بطيئة التطور في أي ظاهرة من الظواهر. أما اعبتار أن التطور مرادف للتقدم أو يقود إليه دائما، فهذه اشكالية نؤجل النظر فيها لحين التعرض لقانون نفى النفى •

وقد تعرض قانون الوحدة والصراع بين الأضداد إلى انتقادات عديدة. فهذا القانون يؤكد على الطبيعة المتناقضة للعالم وعلى أن التناقض عمومى ومطلق، وأنه موجود في عملية تطور كل الاشياء، وأنه في عملية تطور أي شيء ثمة حركة للأضداد من البداية إلى النهاية. وعلى حد قول ماوتسى تونج: لا يوجد شيء خالٍ من التناقض، وبدون التناقض ماكان لشيء أن يوجد، وأن السبب الرئيسي في تطور أي شيء ليس خارجياً، وأنما هو داخلي يعود إلى التناقضات التي تحدث في داخل هذا الشيء وهذا لا يعنى – طبقا لماو – استبعاد الأسباب الخارجية للتطور، ولكن يعني أن دورها محدود، فهي تمثل شروطاً أو ظروفا للتغير عنده، ولا يتم مفعولها إلا من خلال الأسباب الداخلية ولله في درجة حرارة معينة يمكن للبيضة أن تتحول إلى كتكوت، ولكن لا تفلح أية حرارة في أن تحول الحجر الى كتكوت، لاختلاف الأسباب الداخلية لا تفلح أية حرارة في أن تحول الحجر الى كتكوت، طبقا الماو و

ومن الانتقادات التى وجهت إلى هذا القانون غياب معنى محدد للتناقض أو التعارض بحيث يمكن تمييزه فوراً عندما نصادفه، أو عدم التمييز بوضوح بين التناقض ومجرد الاختلاف واعتبارهما متطابقين (يقول ماو فى ص ٢٧ من واربعة مقالات فى الفلسفة: كل اختلاف يحتوى على تناقض، بل إنه هو نفسه تناقض!) \* صحيح أن ثمة تعريفاً للأضداد - كما عند أقاناسيف فى والفلسفة العاركسية: - بأنها جوانب أو نزعات أو قوى داخلية فى الشىء أو الظاهرة، يستبعد كل منهما الآخر (التعارض)، ولكن يفترض كل منهما وجود الآخر (الوحدة) ولكن الأمثلة التى يضربها بعض للماركسيين على وجود الأضداد والنناقض قد لا تتفق دائماً مع هذا للماركسين على وجود الأضداد والنناقض قد لا تتفق دائماً مع هذا للعريف و فمن الأمثلة المقنعة وجود قطبين للمغناطيس والالكترونات سالبة

الشحنة في ذرة العنصر ، ووجود السالب والموجب في المقدار أو المعادلة الرياضية ، واجتماع الطبقة العاملة والطبقة الراسمالية في عملية الانتاج الراسمالي . ولكن بعض الأمثلة قد تفتقر إلى الإقناع ، مثا القول بأن عملية التفاصل يقابلها عملية التكامل في الرياضيات ، وأن تفاعلات الاتحاد بين الذرات يقابلها تفاعلات الانحلال في الكيمياء \* فهذه تبدو عمليات منفصلة (وإن كانت متعارضة) ، ولا تتواجد مجتمعة بالضرورة . أو خذ مثلاً آخر ، وهو القول بأن البنرة هي بدرة وليست بذرة في نفس الوقت . فمثل هذا القول لا يمكن أن يكون صحيحاً – طبقا لبعض النقاد وهو ماقد يقبله بعض اللركسيين أيضا – إلا بمعنى أنك إذا نظرت الى البذرة من حيث صفاتها الحالية فهي بذرة . وانك اذا نظرت اليها من حيث ما يمكن أن تؤول اليه مستقبلا فهي شجرة وليست بذرة . بعبارة أخرى ، فأن القول باجتماع الأضداد (البذرة وغير البذرة في هذه الحالة) قد لا يعنى أكثر من أن للشيء الوحد صفات مختلفة أو جوانب متباينة (وليست بالمضرورة متعارضة) ، أو أنه يمكن النظر إلى نفس الشيء من أكثر من زاوية .

ومثل هذه الملاحظات أو التحفظات لاتكفى للقول بغياب التناقض، ولكنها تثير قضية حقيقية بشأن المعنى المحدد للتناقض في الحالات المختلفة التي نصادفها في الطبيعة والمجتمع والفكر • وغياب هذا المعنى المحدد القطعي الدلالة مسئول بلا شك عن بعض المواقف التي يصعب تبريرها من جانب بعض الماركسيين. مثال ذلك ما ذهب إليه البعض من أن السياسية الاقتصادية التي شهدتها روسيا في الفترة ١٩٢٧ – ١٩٣٤، والتي اعتبرها الكثير من أنصار لينين تمثل تراجعاً كاملاً، تمثل الترض الجدلي أو النفي لسياسية اشيوعية الحرب؛ التي سبقتها في الفترة ١٩٦٧ – ١٩٢٧ أو النفي المياسة التي طبقها ستالين بعد ذلك تعتبر التركيب البدلي (نفي النفي) لسياسة التي طبقها المدرب؛ و السياسة الاقتصادية الجديدة به في مثل هذا المثال يتعنر الوقوف على معنى واضح للتناقض أو النفي. كما أنه بحجج من هذا النوع يمكن تصوير انتكاسات التطبيق الإشتراكي على أنها انتصارات •

كذلك اعترض البعض على القول بأن سبب التطور والقوة الدافعة له هو صراع المتناقضات، بدعوى أن ذلك لا يضيف جديداً إلى فكرة التطور من جهة، وأن مثل هذا القول لا يمكن دحضه، أى تصور ما يكذبه، ومن ثم فهو قول غير علمى وغير مفيد في التنبئ عندهم من جهة أخرى • كما انتقد قانون الوحدة والصراع بين الأضداد بسبب وصفه لكل تطور بأنه يتم نتيجة صراع في كل الأحوال (في الطبيعة والمجتمع والفكر). والحق أن هذا النقد يقصد به تحديداً مدى انطباق الجدلية على الطبيعة وما يحدث فيها من عمليات تطور • ذلك أن تطبيق الجدلية على تطور المجتمع (المادية التاريخية) قد وجد قبولاً واسعاً، وكانت له أصداء واضحة في التحليلات الاجتماعية حتى عند غير الماركسيين •

صحيح أنه يمكن العثور على أمثلة عديدة على اتحاد الأضداد في الطبيعة. ولكن هل تكفي الأمثلة في هذا الصدد؟ لقد انتقد أنصار المادية الجبلية لأنهم اكتفوا بتقديم أمثلة، ولم يقدموا برهاناً منطقياً على قانون التطور من خلال اتحاد الأضداد وصراعها و وقد تساءل كثير من النقاد عن ماهية المعنى الذي تقصده الجدلية عندما تتحدث عن البنية كنقيض للبنرة، وعن الساق كنقيض للبنية، وعن معنى تحول البنرة الى نبتة والنبتة الى ساق على انها محصلة صراع بين قوى متعارضة و وقد يسلم البعض – مع انجلز بأن الحياة تتمثل بصفة اساسية في كون الكائن الحي في كل لحظة هو نفسه وليس نفسه، وأن عمليات الحياة والموت تجرى في أن ولحد داخل كل كائن حي ولكنهم قد يجدون غير قليل من الصعوبة في الوقوف على عملية الصراع في تحول الطفل إلى رجل و

وهكذا يميل البعض إلى عدم قبول قانون التناقض – والتطور من خلال صراع الأضداد – كقانون عام، ويرون أن التطور قد يتم في بعض حالات من خلال هذا الصراع، وقد يتم في حالات آخرى بطريقة مختلفة لا تقترض وجود المتناقضات وتصارعها بالضرورة وهناك من رفض أخضاع الطبيعة كلية للمادية الجدلية، مثل سارتر. فقد ذهب سارتر إلى أننا لو سلمنا مع انجلز بوجود قانون عام كل العموم بحكم الطبيعة والتاريخ والفكر، لكان لزاماً علينا أن نقبل بوجود نوع من والغائبة الهيجيلية التى يتم عن طريقها التطابق التام بين المعرفة الشاملة من جهة والوجود العام من جهة آخرى وقد رفض سارتر ذلك بحجة أنه يعنى وأن التاريخ يتحقق خارجاً عنا دون حاجة إلينا و وبالتالى فلن يكون علينا في هذه الحالة سوى أن نقتصر على حامله. ولو كانت هناك في راى سارتر

اعتبار الانسان مجرد «كائن طبيعى» يخضع لذلك القانون الموضوعى، وبالتالى لما كان الانسان رب أفعاله، ولما كان فى وسعه انتزاع ذاته من مجرى التسلسل الطبيعى للاشياء ، من أجل خلع المعنى الذى يريده على تلك مجرى التسلسل الطبيعى للاشياء ، من أجل خلع المعنى الذى يريده على تلك الأشياء ؛ ومع رفض سارتر لجدلية الطبيعة، فأنه قد قبل بجدلية التاريخ، واعتبر المادية (الجدلية) التاريخية منهجاً تركيبياً / بنائياً بسمح بررية صحيحة للتاريخ البشرى. وأخيراً يتساءل المعترضون على القول بأن كل عمليات الطبيعة محكومة بالجدلية وتتطور من خلال وحدة الأضداد وصراعها تساوًلاً لا يخلو من وجاهة، وهو : إذا صح أن كل عمليات الطبيعة محكومة بالجدلية، فكيف تأتى أن تكون كل الاكتشافات العلمية الكبرى قد تمت دون أية إشارة فيما يبدو إلى الجدلية •

#### التناقض الجدلى والتناقض المنطقى:

وربما يرجع بعض ما أثير حول قانون الوحدة والصراع بين الأضداد الى أن الجدلبين قد دابوا على تسفيه المنطق الشكلي أو الصوري (ويقال له أيضاً المنطق الرياضي أو الرمزي) واحتقاره واعتباره نصيراً للرجعية. ومن هنا يفسر البعض انحذاب ماركس إلى الحدلية بطبيعته الثورية ، لأنها قدمت كل شيء على أنه في حالة صيرورة وتحول إلى شيء آخر، بينما يُنسب إلى المنطق الشكلي أنه يقدم كل شيء كمعطى ثابت غير قابل للتغير ، ومن ثم فهو يوفر وسيلة مريحة للرجعية. ويُزعم أن أنجلز لم يفرق أصلاً بين التناقض المنطقى والتناقض الجدلي، مما دفع بالبعض الى القول بأن المادية الجدلية (أو الجدلية المادية) تسمح بالتناقض المنطقي ولا تستبعده، ولكن من الثابت ان انجاز قال ان المنطق الشكلي مناسب اللأغراض اليومية ، ولكنه لا يصلح (كتصوير دقيق للعالم). وبناء على ذلك، وعلى تشبيه تروتسكي للعلاقة بين المنطق الشكلي والجدلية بأنها كالعلاقة بين الرياضيات العليا الرياضيات الدنيا أو بين اللقطة الفوتوغرافية والفيلم السينمائي، فقد ذهب البعض إلى أن الجدليين لم يرفضوا المنطق الشكلي جملة وتفصيلاً ، وانما اعتبروا أن مجاله محدود في تحصيل المعرفة (يستخدم في التحليل الساكن ولا يصلح للتحليل الحركي مثلاً) •

ومن الثابت بيقين ان التطورات الأحدث في المادية الجدلية صارت تفرق

بوضوح بين التناقض الجدلي والتناقض المنطقي، وانها تعترف بوجوب الاتتزام الدقيق بمبدأ الاتساق، أي غياب التناقض المنطقي • كذلك من الأهمية بمكان أدراك أن غير الماركسيين يسلمون بأن المنطق الشكلي قد لا يلائم بعض أنواع التفكير، ويعترفون بأن هناك معنى • فعلا ، في أن يكون موضوع الحديث غير ثابت ، بل متغيراً بالمعنى الذي أشار إليه هيراقليط منذ زمن بعيد عندما قال : • أننا لا نقفز في نفس النهر مرتين ، •

وفى هذا الصدد يقول كورنفورث أن الجدلية لا تغرينا بتجاهل الاتساق المنطقى، بل انها على العكس تتقبل اشد صور المنطق الشكل صرامة في اتساق القضايا. والقول بأن الكائن الحي مثلا هو نفسه وليس نفسه ببدو متناقضا من منظور المنطق الشكلي، تماماً كالقول بأن 1=1 في نفس الوقت، ولكن المقصود هنا لبس تناقضاً منطقياً وإنما تناقض جدلي تفسيره أن الكائن الحي في كل لحظة يتمثل مادة جديدة ويخرج مادة أخرى، وأنه في كل لحظة تموت خلايا وتولد خلايا جديدة. فالكائن الحي يظل هو نفسه فيما يتعلق بمظهره الخارجي، ولكنه يتوقف عن أن يكون هو نفسه فيما يتعلق بالمادة التي تكونه. بهذا المعنى فقط، وليس بمعنى أن يكون الشيء هو نفسه من كل ناحية ، وهو ليس نفسه من كل ناحية ، يفهم قانون الوحدة والصراع بين الأضداد، ويستبعد منه احتمال التناقض المنطقي. ومهذا المعنى أيضاً لا يمكن النظر إلى الجدلية - كما نظر إليها في بداية الأمر -على أنها تقدم منطقاً بديلاً لمنطق أرسطو . فما تقرره الجدلية مختلف تماماً عما يعنيه أرسطو باستحالة التناقض، والمادية الجدلية لا تدعو لتجاهل مختلف قوانين الاتساق المنطقي أو خرقها ، وانما هي تسعى إلى أيجاد تفسير منسق للكيفية التي تترابط بها الاشياء والظراهر في الواقع، مع احترام كل قواعد المنطق الشكلي. وهي بذلك تعارض المتيافيزيقية ولكنها لا تعارض المنطق الشكلي

أما فيما يتعلق بقانون تحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية أو نوعية ، وقانون نفى النفى ، فثمة انتقادات لهما لاتخلو من وجاهة . منها أن المادية الجدلية لم تقدم أى إثبات منطقى لهذين القانونين ، وأنها اكتفت بضرب الأمثلة لتوضيح مضمونها ، وذلك برغم ما يُنسب لهذين القانونين من اهمية وعمومية . غير أن بعض الامثلة التى تعطى فى هذا الصدد يكتنفها

شيء غير قليل من الغموض وتحتمل بالتالي أكثر من تأويل •

فالمثال المشهور للتحول النوعى هو أنه بارتفاع الحرارة يسخن الماء حتى تصل درجة الحرارة إلى مائة درجة مئوية وعندها يتحول الماء الى بخار، وأنه بهبوط درجة الحرارة يبرد الماء حتى تصل درجة الحرارة إلى الصفر وعندها يتحول الماء الى ثلج، هذا المثال يثير إشكالات عديدة. منها التركيب الكيماوى للمادة لم يختلف، برغم تحول حالتها من السيولة إلى التبخر ومن السيولة إلى التجمد. وإذا كان نلك كذلك، فلم يعتبر هذا التغير ، في الشكل، تغيراً نوعياً ؟ ومنها ربط التحولات النوعية للماء بدرجتى الحرارة مائة وصفر، بينما أنه من المتصور حدوث تحولات «نوعية» أخرى عند درجات حرارة مختلفة. فقد تكفى درجة حرارة ٥٠ مثوية للقول بحدوث تحول نوعى في الماء عند سلق البيض، أو درجة حرارة ٥٠ مثوية للقول بحدوث تحول نوعى في الماء عند سلق البيض، أو درجة حرارة ٥٠ مثوية للقول بحدوث تحول نوعى في الماء عند ما يريد المرء الاستحمام و المتحمام و المتحول نوعى في الماء عندما يريد المرء الاستحمام و المتحمام و المتحماء و المتحماء

وهكذا فليس من الواضح ما هو المعيار الذي تتخذه المادية الجدلية للتمييز بين الكم والكيف وتحديد مضمون كل منهما . ويزيد الأمر تعقيداً أن ما هو تغير كيفي لبعض الأغراض قد لا يكون كذلك لغيرها من الأغراض وان ما هو كيفي يعتمد الى حد بعيد على الظروف والملابسات والغرض وقد يتوقف تعريفه على التقدير الشخصى . ولذا فقد ذهب بعض النقاد الى ان المعنى الوحيد الذي يمكن أن يفهم به التغير الكيفي في القانون المنكور هو أنه يشير إلى وتغير كمى مصحوب بتغيير في أثر الشيء علينا ، أو في استعمالنا له ، أو حكمنا عليه ، وأن التغير لا يكون كيفيا إلا وحيثما يكون المهية أو مغزى أو أثر في نظرنا ؛ و

كما اعترض أيضاً على القول بفجائية التغير (الطفرة أو التغير الثورى) بعد حد معين من تراكم التغيرات الكمية. فان صح هذا في بعض الاحوال وعلى بعض الظواهر، فقد لا يصدق على غيرها. وفي هذا السياق يثور التساؤل حول إصرار الماركسية التقليدية على التخول الثورى من الراسمالية إلى الاشتراكية واستبعادها للطريق البرلماني أو الاصلاحات التدريجية، مع أن قانون تحول الكم إلى كيف يظهر وكأنه يعطى مسوغا ويقدم امكانية للتحول التدريجي من نظام اجتماعي إلى نظام اجتماعي آخر. ومما يُحد من إطلاق

القول بفجائية التغير أن الماركسية نفسها قد افترضت أن التحول من الاستراكية إلى الشيوعية سيتم بطريقة تدريجية دونما طفرة أو ثورة، بحجة أن التنقاضات في النظام الاشتراكي ليست تناقضات عدائية، ومما يضع حدوداً على عمومية التغير الفجائي ايضاً هو أن عدداً غير قليل من الماركسيين (الاوربيين على الأقل) صاروا يقبلون فكرة التحول البرلماني، اي التدريجي غير الثوري، من الرأسمالية الى الاشتراكية (على الاقل فيما يتعلق بالدول الراسمالية المتقدمة) • بل أن هناك من الماركسيين السوفييت من يسلمون بهذه الامكانية •

وأخيراً، فإن قانون نفى النفى يثير مشكلات عديدة حول معنى والنفى؛ في الجدلية ، وجول مقولة أن التطور من خلال نفي النفي يتضمن دائما تقدماً أو ارتقاء (أو حركة تقدمية صاعدة إلى أعلى) • ولذا فقد اعترض عليه بعض نقاد الجدلية بقولهم أنه لا يزيد في قليل أو كثير من معرفتنا بالتطور وأسبابه ، كما أن أي تطور يمكن أن يتفق مع هذا القانون ، وليس فقط التطور التقدمي. فقد استعار ماركس وانجلز مثلث الموضع ونقيض الموضوع والتركيب من هيجل واعتبرا هذه العناصر بمثابة أشكال أو مراحل متعاقبة للتطور . فالموضوع ينهار تحت وطأة تناقضاته الداخلية ، مفسحاً الطريق لنقيضه (نفى الموضوع الذي يبقى على العناصر السليمة في الموضوع)، الذي يسعى للخلاص من هذه التناقضات، ولكنه ينهار هو الآخر تحت وطأة تناقضاته الداخلية ، ثم يلى ذلك التركيب الذي ينشأ ليجمع العناصر السليمة في نقيض الموضوع (وبالطبع في الموضوع ايضاً). وهكذا فإن التركيب يمثل نفياً لنقيض الموضوع (أي نفياً للنفي) وبالقياس على ذلك، بقال أن الراسمالية تمثل نفياً للاقطاع، وانها تمثل تقدماً عليه وتحتفظ بعناصره الناجحة وتطورها ، وأن الا المتراكبة هي نفي للراسمالية (أي نفي للنفي) ، حيث تستوعب منجزات الراسمالية وتتقدم بها خطوات إلى الأمام وحيث ان الانتقال من الموضوع إلى النفي ثم ألى نفي النفي، ينطوي على تقدم مطرد، فقد وصفت الجدلية حقاً بأنها تنطوي على نزعة تفاؤلية •

فهل أى جديد يمثل نفياً للقديم، وما هو المعيار الذى يستخدم فى الوصول إلى هذه النتيجة ؟ وهل أى جديد افضل بالضرورة من القديم السابق له مباشرة، ويمثل تقدما عليه ؟ إن معظم الشروح الماركسية تميل إلى الاجابة

عن هذين السؤالين بالإنجاب، وإن كان ليس من ألو اضح دائماً ما هو المعيار الذي يمكن على أساسه اعتبار شيء ما نفياً لشيء آخر • فالقشرة الأرضية قد تكونت (تطورت) مروراً بعصور جيولوجية عديدة ، كل عصر منها انبثق من العصر السابق عليه ومثل نفياً له. وأنواع النبات او الحيوان تطورت بنفس الطريقة: كل نوع انبثق من النوع السابق عليه ومثل نفياً له. كذلك يتمثل تاريخ المجتمع من سلسلة من أعمال النفي حيث بنفي كل طور الطور السابق عليه . وكذلك الحال في تطور الفكر حيث تنفي المعرفة الأحدث المعرفة السابقة عليها . وفي كل الأحوال يقال أن الجديد يحتوى على أفضل ما في القديم الذي انبثق منه، ويستوعبه ويرتقع به الى مستوى اعلى ومن هنا فالتطور على هذا النحو له سمة تقدمية • وربما يرجم الاصرار على اقتران التغبر أو التطور بالتقدم بالنزعة الثورية لدى مؤسسي الماركسية وتطلعهم إلى الافضل ورغبتهم في تعبيَّة الجماهير بتقديم بدبل أفضل للحاضر . فليس هناك بليل منطقي على هذا الاقتران بين التطور والتقدم • وإذا كان من السائغ اعتبار الاشتراكية تمثل تقدماً على ما قبلها في الاتحاد السوفيتي، فليس من السائغ اعتبار أن النازية أو الفاشية قد أنطوت على تقدم بالقياس إلى ما سبقهما في أوربا ، ولنفس السبب ، ليس من السائم اعتبار أن فترة الانفتاح في مصر تمثل تقدماً على الفترة السابقة عليها •

مربما لهذه الأسباب يرى بعض الماركسيية أن هذين القانونيين (قانون تحول التغيرات الكمية الى تغيرات كيفية وقانون نفى النفى) ليسا ضرورين للمادية الجدلية ، وأن ما هو ضرورى (ويمكن أن يستحق وصف القانون العام) هو قانون الترابطات المتبادلة (متضمنا قانون التطور) \* غير أنه إذا كان قانون وحدة الأضداد والصراع فيما بينها قد واجه مشكلات عديدة فى مجال تطبيقه على الطبيعة وعمليات تطورها ، فليس ذلك مبرراً لاسقاطه من قائمة القوانين الضرورية للجدلية . فالقانون قد أثبت فاعلية كبيرة فى مجال التطبيق على تطور المجتمعات ، ويوفر منهجاً جذاباً فى التعامل مع كثير من الظواهر . كل ما فى الأمر أنه يتعين علينا التحفظ فى عموميته ، والسعى لصقل مفهوم التناقض والتجديد للسعيار الذى على أساسه يعتبر شيئاً ما نقيضاً لشى ء

#### المادية الجدلية والمنهج العلمى:

إن كل قانون من قوانين المادية الجدلية يحتوى على فكرة بسيطة وصحيحة تتفق مع المنهج العلمي، وإن شاب بعض صياغاتها شيء من الغموض والتزيد في التعميم قد لا يضيف شيئا إلى مفهوم التطور وصورة وكيفية حدوثه و والقدر المتيقن منه من المادية الجدلية يكاد ينحصر في قانون الارتباطات المتبادلة الواقعية وقانون التطور، وبدرجة أقل قانون الوحدة والصراع بين الاضداد. والمادية الجدلية على هذا النحو تدور حول المنهج الذامه في دراسة الواقع وفي وضع وتطوير نظريات ترشد الممارسة وتختبر في غمارها. ولذا فقد وصفها لينين بأنها ليست شيئاً أكثر أو الم من المنهج العلمي و

ولكن قد يعترض على ذلك بأن مفهوم الجبئية هذا بنطوى على أفكار بديهية واضحة كل الوضوح • ومثل هذا الاعتراض يمكن الرد عليه من اكثر من جهة . فأية مبادىء فلسفية أو منهجية يجب أن تتمتم بدرجة عالية من الوضوح، وأن تكون بمعنى من المعانى مجرد بديهيات.من هنا قول انجلز في (جدلية الطبيعة) أن الجللية حين تفسر تفسيراً سليما تصبح دبسيطة واضحة كشعس الظهيرة) هذا من جهة. ومن جهة ثانية فان الطريقة الجدلية لم تنشأ من فراغ، وانما نشأت في مولجهة طريقة شائعة ومهيمنة على الفكر هي الطريقة الميتافيزيقية. وبرغم ما قد يكون الأفكار الجدلية من طابع بديهي الأن، فلم يكن الأمر كذلك وقت نشأتها وصراعها مع المتيافيزيقية . وتطلب الأمر خوض معارك فكرية ضارية حتى تمكنت الجبلبة من كسب بعض الأنصار وانتزاع بعض الأرض. ومن جهة ثالثة فان الطريقة المتيافيزيقية في التفكير ليست شيئاً تاريخياً أو مخلفاً من مخلفات الماضي البعيد . فهي مازالت موجودة وما زالت تمارس ولها أتباع ومريدون في شتى مجالات المعرفة. ولذا فان تعلم مبادىء الجدلية وغرسها في الأذهان وتطبيقها تطبيقاً صحيحاً في مختلف مجالات التفكير، بل وفي الممارسات اليومية، مازال أمراً جديراً بالاهتمام الجاد •

المادية الجدلية في المكتبة العربية:

لم تنل المادية الجدلية من الاهتمام في الكتابات الفلسفية العربية ما يتناسب مع الأهمية المعترف لها بها عالمياً سواء في مجالها المباشر، وهو الفلسفة، أو في المجالات الأخرى التي امتدتأثيرها إليها خاصة علوم الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، وتبدو عناية كتاب الفلسفة العرب ضئيلة للغاية بالمادية الجدلية، بالمقارنة بالعناية التي أولاها إياها الغربيون حتى من اختار منهم موقف العداء لهذه الفلسفة.

وغالبية الكتابات المتاحة بالعربية عن المادية الجدلية (باستبعاد الترجمات المباشرة التي يتوفر عدد لا بأس به منها خاصة من خلال الحركة الثقافة اللبنانية) لاتخرج عن نوعين، النوع الأول يتمثل في عروض مدرسية مبتسرة في بعض كتب الفلسفة والاجتماع تعتمد في كل الأحوال على مصادر غربية تقف موقف العداء من المادية الجدلية، وليست دائما هي المصادر الأقوى في هذا المجال. وتميل هذه الكتابات الى تقديم المادية الجدلية بطريقة تبعث على الاعتقاد بأنها فلسفة سخيفة عفا عنها الزمن وتجاوزتها الأحداث، وأنها مجرد تبرير لمذهب سياسي يتعين رفضه هو الأخر وأما النوع الثاني فهو يتمثل في كتابات لعناصر فكرية أو سياسية تؤيد المركسية أو تتعاملف معها. وهذه الكتابات عبارة عن خليط (غير متوازن غالبا) من الكتابة الأكاديمية والكتابة الشعبية التي تعتمد على مصادر سوفيتية في الغالب. وفي كل الأحوال مازالت الجدلية بحاجة الى من يأخذها مأخذ الجد وينصفها في المكتبة العربية، خاصة أن تراثنا العربي الاسلامي لا بخلو من نزعات مادية جدلية .

#### المصادر

- (۱) اسماعیل صبری عبد الله و التنمیة المستقلة: محاولة لتحدید مفهوم مجهل، فی ندوة التنمیة المستقلة فی الوطن العربی – عمان – ابریل ۱۹۸۹، مرکز دراسات الوحدة العربیة – بیروت، ۱۹۸۸
  - (٢) زكريا ابراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، جـ١، مكتبة مصر،
     القاهرة، ١٩٨٦٠
- (٣) موريس كورنفورث، دفاعاً عن الماركسية، رداً على مختلف منتقديها (ترجمة الاصل الانجليزى: الفلسفة المفتوحة والمجتمع المفتوح - رداً على دحض كارل بوبر للماركسية، ط٢، لندن، ١٩٧٧) دار الفارابى، بيروت، ١٩٨٥.
- (٤) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (اعداد احمد زكى بدوى)، ١٩٧٧
- (٥) معجم عامر، قضايا في الفلسفة والماركسية، دار الثقافة والنشر،
   القاهرة، ١٩٧٨.٠
- (٦) جلال أمين، الماركسية عرض وتحليل وتند ابادىء الماركسية الأساسية فى الفلسفة والتاريخ والاقتصاد، مكتبة ،هبة، القاهرة، ١٩٧٠٠٠
  - (7) Mao Tse Tong, Four Essays on Philosophy, Foreign Languages Press, Peking, 1966.
  - (8) R.N. Carew Hest, the Theory and Practice of Communism, Penguin Books, 1963 (1966 reprint).
  - (9) Encyclopedia Britannica, 15 th ed., 1959.
  - (10) Encyclopaedia of the Social Sciences, 13th Printing, 1959.
  - (11) V. Afanasye, Marxist Philosophy, Foreign Languages Publishing House, Moscow (no date, Probably 1965).
  - (12) G.D.H. Cole, The Meaning of Marxism, University og Michigan Press, 1964

## دور الاستبار الخاص فى تمقيق أهداف خطط التبية القاعرة ، ۲۵ – ۷۲ يعفيس ۱۹۸۸

أحلام السعدى(\*) حسندن كشك(\* \*)

عقد الاقتصاديون المصريون مؤتمرهم العلمى الثالث عشر في الفترة من ٢٦ الى ٢٦ نوفمبر ٢٩٨٨، في الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع بالقاهرة وكان موضوعه: «دور الاستثمار الخاص في تحقيق التنمية».

وهذا المؤتمر حلقة ضمن سلسلة للمؤتمرات التي ينظمها الاقتصاديون المصريون في إطار دراساتهم لقضايا المجتمع المصري الاقتصادية، وما تثيره من مشكلات. عقد المؤتمر الأول في عام ١٩٧٦، وخصص لمعالجة قضايا «التنمية والعلاقات الاقتصادية الدولية». وبين عامي ١٩٧٦ و و ٨٩٨٠ عقد الاقتصاديون المصريون أحد عشر مؤتمراً: تناول كل منها أحد الموضوعات المهمة في المجالين الاقتصادي والسياسي. ولعل من أهم هذه المؤتمرات، المؤتمر الثالث (١٩٧٨) الذي ركز على «الاقتصاد المصري في

<sup>( \* )</sup> ماجستير في العلوم السياسية، باحث بقسم بموث الاتصال الجماعيري، بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.

<sup>( \* \* )</sup> باهث مساعد بقسم بحوث المجتمعات الريفية والصمراوية ، بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية و الجنائية .

ربع قرن؛، والمؤتمر الخامس (۱۹۸۰) الذي كان موضوعه دروية مستقبلية للاقتصاد المصري في ظل التطورات العالمية والمجلية».

ويكتسب مؤتمر هذا العام اهمية خاصة ، بالنظر الى موضوعه (القصاخ الخاص) أو بلغة أوراق المؤتمر ذاتها «الاستثمار الخاص ودوره في تحقيق اهداف التنمية» وتزداد أهميته في ضوء الجدل الدائر في مصر حول امكانية التعويل على دور القطاع الخاص في تحقيق خطط التنمية ، و «حدود» هذا الدور.

ويمكن توزيع الأوراق التى قدمت فى المؤتمر بين اتجاهين. يدعو اولهما الى التخصيص أو الخصصات القطاع المنام الله المخصصة أى البيع الكلى أو الجزئى لمؤسسات القطاع العام، العام المام الله المام المناطويره.

اولا: الاتجاه الأول: (الدعوة إلى التخصيص):

يبدأ د. عبدالمغنى سعيد ورقته المعنونة والتكامل بين القطاعين العام والخاص، بتحديد عدد من الشروط الواجب توافرها لكى يحقق كل من القطاعين العام والخاص اهدافه. فبالنسبة للقطاع العام، لابد من توافر ثلاثة مقومات اساسية حتى يمكن تحريره من والاقطاع الديواني ، هذه المقومات هى: أن تكون ملكية القطاع العام ملكية عامة مشتركة، وأن يعود بالمنفعة المشتركة على جميع المواطنين، وأن يدار ادارة مشتركة، بمعنى مشاركة العاملين والمواطنين في ادارته، أما بالنسبة للقطاع الخاص، فنجاحه يرتبط بتحرره من النزعة والاستغلالية ، ولن يتأتى ذلك الا من خلال ترشيد العملية الانتاجية ، بالأخذ بنظام التخطيط والادارة العلمية .

ويتطرق الباحث بعد ذلك الى دراسة تجربة التأميم والقطاع العام. فينكر أن مصر قد عرفت القطاع العام قبل صدور قرارات يوليو «الاشتراكية»، وإنه رغم اتساع نطاق التأميم ونمو القطاع العام فى الستينات، الا أن منشآت القطاع العام قد ولجهت صعوبات كثيرة بعد التأميم، ولم تحقق ماكان يرجى لها من نجاح. وكان ذلك لضعف مستوى الادارة وضعف مشاركة العاملين. ومما أضعف القطاع العام أيضا التحول من نظام المؤسسات الاقتصادية المتكاملة (مثل مجموعة بنك مصر) الى نظام المؤسسات النوعية الملحقة ببعض الوزارات القائمة على تسلسل السلطة، الأمر الذي أضعف دور الإعضاء

المنتجين في مجالس الادارات، واضعف صلاحيات هذه المجالس، وادى الى ظهور فرص الحصول على امتيازات استثنائية. كما أن القطاع العام اعتمد على وكلاء وتجار الجملة في تصريف منتجاته، مما أدى إلى تحقيق هؤلاء لمصالحهم الخاصة. ولمواجهة ما سبق، يرفض الباحث فكرة اللجوء الى الاستثمار المشترك، لما يغلب عليه من طابع استغلالي واستهلاكي يرتبط بالالتزام بالمصلحة الخاصة على حساب الانتاج الوطني. ومن ثم فإنه يذهب الى أن الوسيلة الاساسية لدعم وتطوير القطاع العام يمكن أن تتم من خلال الاستثمار الداخلي ووسائل التعويل الذاتي، وفي إطار تحقيق التكامل بين القطاع العام والقطاع الخاص، وتبنى خطة تنمية تحقيق هذا التكامل عن طريق «الاتحادات الاقتصادية».

ويسعى د. محمود رضا العدل في ورقته «توجهات السياسة الاقتصادية والاستثمار الخاص، الى تقديم محاولة لتحسين الرؤية العامة للقطاع الخاص وفاعليته. وتقديم طرح نظرى عام لتقسيم النشاط الاقتصادي بين القطاعين العام والخاص، ومحاولة التعرف على حجم الاستثمار الخاص وهيكله، ومناقشة بعض حجج اعادة التقسيم، واغيراً تحاول الورقة تقديم بعض المنطلقات لتكوين منهج لادارة القطاع الخاص.

وفيما يتعلق بقضية الطرح النظرى لتقسيم النشاط الاقتصادى بين القحاعين العام والخاص، يشير الباحث الى وجود نموذجين أساسيين: نموذج «رأسمالى» ونموذج واشتراكي».

ويرى الباحث أن التجربة الناصرية شكلت نوعا من « النموذج الاشتراكى » . وأنه قد تم العودة في السبعينات الى «النموذج الرأسمالي» ممثلا في سياسة الانفتاح الاقتصادي.

ويؤكد الباحث على حدود الاطار النظرى الذي يتبناه، فيعلن أن القطاع العام في ظل غياب التمثيل والتصويت الحر في النظام السياسي يوفر امكانية استخدام هذا القطاع لتقوية الديكتاتورية، واثراء فئات معينة من بيروقراطية الدولة اكثر مما يسهم في اشباع حاجات عامة بالفعل. كما أن وجود وقطاع خاص، في ظل سيادة التمثيل والتصويت الحر قد يوفر امكانية أن يعبر النظام السياسي عن نسب القوى الاجتماعية بالفعل، الأمر الذي يسهم في اشباع

حاجات عامة. ويشير الباحث إلى أن مسألة تخصيص Privatization النشاط الاقتصادى في مصر، كانت جوهر معزكة اجتماعية فكرية منذ الستينات وحتى الآن، وثمة الآن اصوات كثيرة تنادى بضرورة توفير اكبر قدر من التخصيص، ونقل انشطة معينة من الدولة إلى القطاع الخاص. ويقدم الباحث الأمثلة على تطبيق هذه السياسة في البلدان الرأسمالية المتقدمة، ويدعو الى قبول التخصيص القائم الآن بين القطاعين العام والخاص في مصر، باعتباره احد التوازنات الاجتماعية التي ارتضاها المجتمع، إذ أنه سوف بعدلات ونطاقات النمو الذاتي لهذين القطاعين. هذا في نفس الوقت الذي يلاحظ فيه الباحث أن ثمة عملية وتخصيص و جزئي نتم بالفعل (مثل انشطة البنوك والتأمين وانشطة الاستيراد والكهرباء والنقل الداخلي في المدن). ويقترح تخصيص قدر كاف من الاستثمارات الخاصة في خطة التنمية التجارية القائمة، وتحسين وتسهيل وتبسيط اتاحة التمويل الخارجي، وتطوير سوق المال وتنشيطه، وغيرها من الامترحات.

وينتقد د . السيد الطبيى ، فى ورقته « اهمية تطوير صوق الأوراق المالية لزيادة مشاركة القطاع الخاص فى خطة التنمية الاقتصادية فى مصر » بنتقد الارضاع الحالية لسوق التمويل. وذلك بعد أن يستعرض تاريخ سوق المال فى مصر قبل قوانين التأميم الشهيرة وبعدها فى الفترة من ٥٧ – ١٩٨٠، ثم فى الفترة من ٥١ – ١٩٨٧، ويشير الى ظهور وتطور شركات توظيف الأموال ، ويرى أن ما توافر لها من قدرة يرجع الى الأرباح المرتفعة المنفوعة الى المودعين ، بسبب شوف أصحاب هذه الشركات من اتجاه المودعين الى سحب ودائعهم إذا لم يجدوا حافزا قويا ، مما يضعهم فى مازق يصعب الخروج منه .

وحول الامكانيات المتاحة لدى القطاع الخاص وأساليب اجتذابها لسوق المال، يرى الباحث أنه يوجد لدى الجهاز المصرفي سيولة مرتفعة يمتلك القطاع الخاطى الجزء الأكبر منها. إذ تقدر الودائع الجارية والأجلة التي يمتلكها القطاع الخاص والقطاع العائلي (مشتملة على ودائع صندوق البريد) بنحو مبلغ ٨ر١٤ مليار جنيه في نهاية عام ١٩٨٥/٨٤

ويرصد الباحث زيادة دور القطاع الخاص في استثمارات الخطة، ففي خطة 7.010 1930/7

ويسعى د. مصطفى محمد عز العرب فى ورقته «الاستثمارات الأجنبية: دراسة مقارنة التحديد مركز مصر التنافسى؛ إلى التعرف على موقع مصر فيما يتعلق بجنب الاستثمارات الأجنبية، وسعيها لحل مشكلات نقص النقد الأجنبي اللازم للحصول على متطلباتها من السوق العالمي. ويرى الباحث أن حل هذه المشكلات لا يتأتى بالاقتراض من دول العالم الخارجي، وإنما يتمثل في الاستثمار الأجنبي المباشر، ويقسم الباحث المحددات المساعدة على الاستثمار الاجنبي في الدول النامية إلى نوعين: المحددات الاقتصادية والمحددات السياسية، النوع الاول هو الاساسي لتوجيه الاستثمارات

واستفادة دول بعينها دون غيرها. والمحددات الاقتصادية تشمل: درجة الانفتاح على العالم الخارجي، والقوة التنافسية للاقتصاد القومي، والقدرة على ادارته، وقوة الاقتصاد القومي واحتمالات تقدمه. أما المحدد الخامس والاخير فهو طريقة الدولة في معالجة الاستثمارات الاجنبية. أما المحددات السياسية فإنها بالرغم من أهميتها تأتى في المرتبة الثانية، وهي تعنى درجة الاستقرار السياسي، التي تعكس الاستقرار الاقتصادي. وبين عناصر المحددات السياسية ايضا التوجه السياسي للنولة وطريقة تعاملها مع الاستثمار الاجنبي، ومدى التدخل الحكومي في النشاط الاقتصادي. ويخلص الباحث، فيما يتعلق بمركز مصر التنافسي، الى أن ضعف نسبة الاستثمار الاجنبي ترجع الى ضعف الاقتصاد المصرى مقارنة باقتصاديات بعض الدول النامية الاخرى.

وينتقد د. سيد عيسى في ورقته التطوير سوق التمويل في مصره الاوضاع الموسمية الراهنة لسوق المال، حيث يقتصر نشاطها الفعلى على الاشراف على بورصتى الاوراق المالية، والاشراف الجزئي على تنفيذ أحكام القانون رقم ١٥١ لسنة ١٩٨٨، ومهمة الاشراف الجزئي على تنفيذ أحكام القانون رقم ١٤١ لسنة ١٩٨٨ الخاص بشركات تلقى الأموال. وتفتقر الى جهة مركزية تتوافر لها قدرة النظرة الشاملة الى سوق الاستثمار. فمازالت قوانين الاستثمارات موزعة بين العديد من الوزارات، والهيئات العامة، وقرارات الاستثمار تتنازعها سلطات عديدة. ولا توجد استراتيجية بعيدة المدى للاستثمار ولاخطط مرحلية المتنفيذ.

ويقدم مثلا على ذلك: فقد قدر نصيب القطاع الخاص في تنفيذ استثمارات الخطة الحالية ٧٤/٩١ - ٩٢/٩١ بنحو بليون جنيه، بنسبة ٤٤٪ من الجمالي استثمارات الخطة. ولكن هذا الهدف العام لا يستند الى خطط تنفيذية تفصيلية موزعة على جميع مجالات الاستثمار، تحدد وسائل الوصول اليه، وتطوع من أجل كافة القوانين الحاكمة، وتنسق بين مختلف وحدات اتخاذ القرارات. ومن ثم يقترح الباحث انشاء هيئة قومية لسوق المال، تتولى اعداد القانون الموحد للاستثمار (الذي طال انتظاره)، واعداد قاعدة متقدمة للمعلومات، وخرائط استثمارية نوعية لمجالات الاستثمار، وادلة عمل لانجاز المشروعات... الخ.

وفى الورقة التى تقدم بها د. اسامة الغزالى حرب موقع القطاع الخاص فى ايديولوجية النظام السياسى فى مصره يمكن ان نلمح توجها عاما نحو تفضيل التوجه الراسمالى فى مجال التنمية.

بداية يحدد الباحث هدفه من الدراسة في التعرف على الموقع الذي يشغله القطاع الخاص في أيديولوجية النظام السياسي المصرى في الفترة من ١٩٥٧ . وتربط الورقة بين هوية النخبة الحاكمة وبين موقفها من القطاع الخاص كجزء من انتمائها الايديولوجي بصفة عامة. فنخبة ثورة يوليو، والتي وصلت الى الحكم، وكانت تنتمي بالاساس الى الطبقة الوسطى، كان من البديهي بالنسبة لها – في نظر الباحث – «أن يكون أول ما تحرص عليه بعد استيلائها على السلطة أن تحرم الطبقات العليا التي طال احتكارها للحكم من أي منافذ للسلطة مرة أخرى ». أما الطبقات العنيا فإن موقف النخبة الحاكمة منها يتحدد في «تخوف هذه النخبة من أية مبادرات تنظيمية للطبقات العمالية والفلاحية». وفي ضوء ذلك يتحدد موقف الورقة من الحقبة الناصرية بصفة خاصة في الايحاء بأن ثمة ثاراً تاريخيا يقف وراء مواقف النخبة من القطاع الخاص، وأن التحولات الاجتماعية لاورة يوليو في تلك الحقبة لم تكن محصلة للتطورات وأن التحولات الاجتماعية والسياسية ولم تكن تعبيرا عن حاجة اصلية لمصر في هذه الحقة.

ويقسم الباحث الفترة الزمنية للدراسة إلى اربع مراحل اساسية: مرحلة المهادنة (١٩٦٧ - ١٩٦٧)، ومرحلة الهجوم (١٩٦٧ - ١٩٦٧)، ومرحلة التراجع (١٩٦٧ - ١٩٦٧)، ومرحلة الوفاق (١٩٧٤ حتى الآن). وفي دراسته للمراحل الأربعة يبدو أن ثمة خيطا يربط بينها جميعا، ويتمثل هذا الخيط في العناية بتسجيل ما يعتبره «اخطا» في حق القطاع الخاص» تؤكد عداء النخبة الحاكمة له وتناقضها معه. ويلاحظ هذا الخيط بشكل واضح في التغامل مع الفترة من ١٩٧٤ حتى ١٩٧٤. أما فيما بعد ١٩٧٤ فإن الباحث يسجل التطور في التعامل مع القطاع الحام.

وفى نهاية الورقة بدعو الكاتب الى ضرورة المبورة فكر ليبرالى حديث، يتصل بجنوره القديمة ويطرح مقولاته لتطوير مصر،، وهى دعوة تضع صاحبها فى اطار المنظرين لتنمية رأسمالية تعتمد على القطاع الخاص.

#### ثانيا: الإتجاه الثاني:

## الدعوة الى المحافظة على القطاع العام والعمل على تطويره.

يعالج د . ابراهيم العيسوى فى دراسته دنظرة تنموية لمسألة بيع مشروعات القطاع العام المصرى ، مصير القطاع العام فى مصر ، ويؤكد على أن قضية القطاع العام وبقائه أو تصفيته ليست موضوعا اقتصاديا محضا، فالى جانب الاعتبارات الاقتصادية، ودون التهوين من شأنها، ثمة اعتبارات سياسية واجتماعية ذات أهمية خاصة من منظور التنمية.

يبدأ الباحث بمراجعة الأسباب والمبررات التي دعت لضرورة وجود القطاع العام في بلدان العالم الثالث، موضحا أن قيام قطاع عام أو رأسمالية دولة في البلدان الرأسمالية المتقدمة لا يعني تغييرا جذريا في طبيعة النظام، فهذه الأخيرة تتوقف على طبيعة السلطة السياسية في الدولة: من يمارسها ولمصلحة من ؟، ومدار الأمر هو من يحكم من ؟ والباحث يميز بين ما يحدث في الدول الرأسمالية المتقدمة والدول الاشتراكية وبين ما يحدث في الدول الساعية للتنمية في العالم الثالث، وعلى كل دولة أن تختار طريق التنمية الذي يستجيب للمتطلبات الاساسية لشعبها، ويقدر على اخراج طاقاته على العطاء والانتكار.

ويرى الباحث أن الأسباب التى دعت الى قيام القطاع العام فى الدول الساعية إلى التنمية فى العالم الثالث مازالت قائمة. فهو مطلوب – أولا – من منطلق الضرورة السياسية (اعادة توزيع السلطة والثروة وكسر سيطرة رأس المال الخاص على الحكم وخلق ظروف أفضل للمشاركة الشعبية). وهو مطلوب – ثانيا – من منطلق الضرورة الاجتماعية (عدالة توزيع الثروة والدخل، فضلا عن أن القطاع العام يلتزم بسياسة الدولة فيما يتعلق بالأجور والتأمينات وظروف العمل والاسعار وهوامش الربح والضرائب، بينما يجنح القطاع الخاص عادة الى التهرب من تطبيقها). وهو مطلوب – ثالثا – من منطلق الضرورة الاقتصادية (قيادة التنمية وتوفير شرط هام لفعالية التخطيط ورفع معدل التراكم الراسمالي وتنفيذ مشروعات لا يقدر على تنفيذها القطاع

الخاص برغم ضرورتها للتنمية). وهو مطلوب حرابعا - من منطلق الضرورة الوطنية (المساعدة على التخلص من التبعية وإقامة أسس اقتصاد ديناميكي مستقل قادر على النمو المتواصل بقواه الذاتية). وهو، مطلوب - خامسا - من المنظور المستقبلي (أزمات الموارد وطبيعة البحث العلمي والتكنولوجي ودور مصر في العالم العربي والعالم الثالث). ويلاحظ الباحث أن أكثر الذين يدافعون بحرارة عن القطاع العام في مصر هم أكثر الناس داركا لتدني مستوى الأداء في هذا القطاع ولأوجه القصور العديدة في سير أعماله. لكنهم، وقد انتهوا الى الضرورة الموضوعية لقيامه واستمراره، يعتقدون أن الأجدى هو التصدي للمشكلات التي تهبط بقدرات هذا القطاع كثيرا دون مستوى قدراته الممكنة والسعى لحلها، ويرون - من وجهات نظر مختلفة - أن ذلك أمر ممكن ولا يتطلب بيع أجزاء منه سواء كانت هي الأجزاء الرابحة أو الأخراء الأخاسرة.

ويناقش الباحث بعد ذلك الدعوى لبيع القطاع العام المصرى، موضحا انها جزء من فلسفة عامة وليست مجرد دعوة اقتصادية خالصة، أو هى فلسفة الراسمالية الحرة التى ولى عهدها وانقضى، والتى يروج لها صندوق النقد الدولى والبنك الدولى وهيئات المعونة الاجنبية تحت شعارات تحرير الاقتصاد، وفتح الأبواب امام المبادرات الخاصة، وتشجيع القطاع الخاص المحلى والاستثمار الأجنبي المباشر، والتى لا تخرج في حقيقة الامر عن الحث على اتخاذ إجراءات لدمج اقتصاديات العالم الثالث بدرجة أكبر في الاقتصاد الراسمالي العالمي وتكريس تبعيتها له. ويرصد الباحث تجدد الدعوة الى فكرة البيع الكلى او الجزئي لمشروعات القطاع العام منذ منتصف الثمانينات مع تازم الوضع الاقتصادي، في الوقت الذي يضع فيه القطاع الخاص والعائلي يده على حجم هائل من الأموال.

و أخيراً، يستعرض الباحث مشكلات القطاع العام، التى تظهر أول ما تظهر في ضعف قدرته على الانتاج، وتعانى شركات القطاع العام من اختلال الهياكل المالية حيث ترتفع نسبة القروض الى رأس المال ... الخ، ويضاعف من مشكلات الاقتراض مساهمة بعض شركات القطاع العام في مشروعات مشتركة تحت مظلة قانون الانفتاح؛ برغم أن مراكزها المالية لم تكن تسمح مذلك.

ويرجع الباحث هذه المشكلات الى عدد من الأسباب، أهمها: الخلط بين مفهوم قطاع الأعمال ومفهوم قطاع الخدمات الاجتماعية العامة، والتمييز بين القطاعين العام والخاص لصالح الأخير، وعدم وجود التوازن بين العمال وحقوق الادارة لصالح الأخيرة، وفقدان القطاع العام لافضل عناصره الادارية وخيرة عمالته المنتجة، وضعف التضطيط والتنسيق والمتابعة والمتابعة والمتابة المنتجاء عامرة الرقابة الشعبية وفساد المناخ العام.

ويتمثل الحل المقترح لهذه المشكلات، من وجهة نظر الباحث، في ضرورة التغيير في السياسات الاقتصادية العامة والمناخ أو البيئة التي تعمل فيها وحدات القطاع العام. وذلك لازالة الضغط على القطاع العام من الخارج، ولتوفير مناخ منضبط للعمل، ولانهاء التحيزات القائمة للقطاع الخاص، ووضع سياسة موحدة للأسعار والأجور وعلاقات العمل، والفصل بين الاعتبارات الاقتصادية والاعتبارات الاجتماعية في ادارة القطاع العام. كما يشتمل العلاج المقترح على اعادة تنظيم القطاع العام، على أن يواكب ذلك يشتمل العلاج المقترح على اعادة تنظيم القطاع العام، على أن يواكب ذلك إطلاق حرية الحركة النقابية وتأكيد استقلالها وأنهاء التجريم الحالي الأخور بين العمال والادارة، وعلاج مشكلات التمويل في القطاع العام، وأخيراً، توثيق العلاقة بين القطاع العام وميئات البحث العلمي والتكنولوجي من اجل حل المشكلات الفنية أو الاقتصادية أو الادارية.

وفى الورقة التى قدمتها د. هدى محمد صبحى مصَطفى تحت عنوان القطاع العام والقطاع الخاص، من يدخر ومن يستثمر ، تهدف الباحثة إلى مناقشة اثر السياسة المالية التوسعية فى تقليص الاستثمار الخاص وازاحته، وذلك بتحليل دور القطاع العام والقطاع الخاص فى تعبثة المدخرات واحداث التراكم الراسمالي.

وتتناول الورقة في جزئها الأول كيفية نشأة ازاحة الاستثمار في النظرية الاقتصادية. وفي الجزء الثاني، تستعرض تطور الانفاق الاستثماري المقطاعين العام والخاص منذ بداية الخمسينات وحتى الآن، لالقاء الضوء على الدور الذي لعبه كل منهما في النشاط الاقتصادي، والتغير الذي طرا على دور كل منهما.

وتناقش الورقة فى الجزء الثالث كيفية تمويل الاستثمارات العامة والعلاقة بينها وبين الانخار، حيث يكمن دور القطاع العام فى احداث التراكم الرأسمالى – الى حد كبير – فى قدرته على تعبئة الموارد واستخدام المدخرات القومية.

وتؤكد الباحثة في الجزء الرابع على أن القول بأن القطاع الخاص لا يأخذ نصيبا عادلا من الاستثمارات هو قول لا تؤيده البيانات المتاحة. ففيما عدا القطاعات التي لايقبل القطاع الخاص على الاستثمار فيها تحت أي ظروف، ومهما كانت التسهيلات والحوافز المقدمة من الدولة (المرافق العامة – البنية الأساسية – السد العالى – قناة السويس – الكهرباء – الري والصرف) يعتبر افتراض أن الاستثمار العام قد أزاح الاستثمار الخاص افتراضا غير واقعى. ولعل نشأة وتطور شركات توظيف الأموال والسلوك المعيب الذي اتبعته في توظيف المدخرات – على ضخامتها – إنما يؤكد عدم قدرة القطاع الخاص على تحويل مدخراته إلى استثمارات منتجة ذات عائد مجز.

واخيراً، تأتى ورقة د. مراد مجدى وهبه فتطوير الاستثمار الخاص فى ثلاث فترات تاريخية، محاولة ثلاث فترات تاريخية، محاولة الاعادة قراءة التاريخ الاقتصادى، حيث يبدأ الباحث بنقد مقولة الدورة الثلاثية للاقتصاد المصرى: من خاص الى عام ثم عودة إلى الخاص. كما ينتقد فكرة تقسيم الاقتصاد الى قطاعين (عام وخاص) منفصلين تمام الانفصال.

وتتناول الورقة بالدراسة الاستثمار الخاص في ثلاث فترات تاريخية (من ١٩٦٦ - ١٩٦٧ وخلال فترة الانفتاح الاقتصادي).

ففى الفترة الأولى بدأت العلاقة بين الحكومة والقطاع الخاص مع تأسيس الحكومة المصرية الجنة التجارة والصناعة، ثم قيام بنك مصر، ونمو الرأسمالية المصرية إبان الحرب العالمية الثانية، وانشاء الحكومة أول انشاءاتها الصناعية في نهاية الاربعينات (اول المصانع الحربية)، واتباع الحكومة لسياسة اقتصادية ترمى الى تشجيع القطاع الخاص.

ويرصد الباحث عزوف القطاع الخاص، المصرى والأجنبى، عن المشاركة الفعالة، بالرغم من المناخ «الانفتاحى » حيث بدأت شركات القطاع الخاص فى توزيع حصص كبيرة من رأس المال فى شكل فوائد، وتوقف بنك مصر عن الاستثمارات الجديدة، بعد عام ١٩٥٧، مفضلا اعادة استثمار الأرباح فى شركاته القائمة فعلا . ويرجع ذلك الى استيلاء الحكومة على الثروة الزراعية وتأميم قناة السويس، وتعصير الممتلكات الانجليزية والفرنسية، وتأميم شركة السكر عام ١٩٥٥.

أما الفترة الثانية ، ١٩٥٨ - ١٩٧٧ ، فهى فترة هيمنة القطاع العام وتراجع نشاط القطاع الخاص، الذى كان مركزا ومنقسما الى امبراطوريات مما سهل من عملية التأميم فى عام ١٩٦٥ وما بعدها. ويؤكد الباحث هنا على فكرته الأساسية وهى أن القطاع الخاص وان كان قد اضمحل فى الستينات الا أنه تأكد خلال نفس الفترة، فهو قد تعايش مع القطاع العام عن طريق مقاولات من الباطن . وبدأت أهميته فى الازدياد (نسبة استثماراته فى الاستثمار الكلى). ومن الخطأ الحديث عن نكسة كاملة للقطاع الخاص بعد ١٩٦١، فما حدث هو تراجع فى نشاط القطاع الخاص، الذى تعايش فى ظل القطاع العام ونما فى ظله وتحت الحماية الجمركية فى الستينات .

وتشهد الفترة الثالثة، والانفتاح الاقتصادى؛ زيادة دور القطاع الخاص التقليدى، وان تراجعت الأرقام المطلق لاستثمارات هذا القطاع التقليدى في اهميته النسبية في الاقتصاد عامة بالمقارنة بالقطاع الخاص الانفتاحى الذى همين عليه رأس المال الأجنبي. إلا أن ثمة جناحا من القطاع الخاص نما نموا سريعا بفضل اتصاله بالقطاع الأجنبي، وهو قطاع التجارة الخارجية، وبالذات قطاع الواردات بدون تحويل عملة، الذى تتقاسمه مناصفة شركات القطاع العام والقطاع الخاص للتجارة الخارجية.

تعليق:

يمكن اثارة مجموعة من الملاحظات على المؤتمر بعامة، من أهمها:

١ - غياب العديد من الاقتصاديين البارزين الذين دابوا على المشاركة فى المؤتمرات السابقة، الأمر الذى أثر فى المستوى العام لاوراق المؤتمر. وقد ادى هذا، بالإضافة لقلة عدد الذين شاركوا، الى القصور الواضح فى تغطية بعض القضايا الهامة الوثيقة الصلة بموضوع المؤتمر، والاقتصار - في معظم الأوراق المقدمة - على عدد من القضايا الجزئية ذات الصلة بالقضايا الاقتصادية البحتة ، مثل تطوير سوق التعويل في مصر، وتوزيع الائتمان المصرفي بين الحكومة والقطاع الخاص، والتكامل بين القطاعين العام والخاص.

٢ ـ لم تطرح اشكائية الحدود التاريخية لدور الراسمائية التابعة، سواء استندت هذه التبعية الى قطاع الدولة أو رأسمائية القطاع الخاص، وذلك فى ظل الأوضاع المختلفة لتقسيم العمل الدولى ذى الطابع الاستعمارى.

٣ – لم توجد محاولة لتتبع القطاع الخاص في الزراعة، وخصوصا دور الرأسمالية الزراعية وطبيعة استثماراتها والقوانين الاجتماعية التي تحكم حركة هذه الاستثمارات، وعلاقة كل ذلك باهدار الموارد البشرية الأرضية والمأئية، وتعظيم المخاطر والازمات.

3 - تطرح فكرة الاقتصاد الاسلامي وتوظيفه في مجال القطاع الخاص اشكالية جديدة على ساحة العمل الاقتصادي والسياسي، سواء فيما يتعلق بالبنوك الاسلامية او شركات توظيف الأموال. ولذا كان من الضروري التعرض لهذه الاشكالية في ضوء ما تزخر به الساحة السياسية من احداث، وفي الوقت الذي تدور فيه «دراما» توظيف الاموال بكل تداعياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٥ - \*شهد المؤتمر جدلا نظريا حول المصطلحات والمفاهيم، مثل «التخصيص» بمعنى نقل ملكية وحدات القطاع العام الى القطاع الخاص، وكذلك مفهوم الازاحة. ولكن غاب الجدل حول مفاهيم اخرى على جانب كبير من الأهمية واردة في عنوان موضوع المؤتمر، ومعتمدة في معظم الأوراق العلمية المقدمة، مثل التخطيط وخطط التنمية، فلم تطرح في مواجهتها مفاهيم آخرى مثل فوضى الانتاج وبرامج الاستثمار.

واخيرا يمكن القول ان معظم الأوراق قد اتت متسقة مع ملامح والتصور الرسمى: ازاء موضوع المؤتمر وقضاياه، والذي يتمثل في تشجيع الاستثمار الخاص المحلى والعربي والاجنبي، والبيع الجزئي لوحدات قطاع الدولة للقطاع الخاص.

## من منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

## يصحدر قريبا

# تطور البنية الاجتسامية للبلطان النامية من وجهة نظر الاستشراق السوفيتي والمادية التاريخية

إعسداد دكتور طبه عبد العليم طبه و عضاف إستماعيل

وهر الكتاب الثانى فى سلسلة الدراسات التحليلية النقدية من أعمال بحث الخريطة الاجتماعية لمصر، الذى يجريه فى المركز فريق بحث باشراف 1. د. عزت حجازى.

## السياسة الخارجية المصرية غي عالم متغير

#### 19AA yeemga 0 mT

## حماد ابراهیم حامد(\*)

شهدت كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، على مدى اربعة أيام متواصلة، وقائع أحدى عشرة جلسة في أطار المؤتمر السنوى الثاني للبحوث السياسية، الذي نظمه مركز البحوث والدراسات السياسية بالكلية، ويمثل هذا المؤتمر أمدادا للمؤتمر الأول الذي عقده المركز في العام الماضي.

يتركز اهتمام المؤتمر حول موضوع رئيسى: السياسة الخارجية المصرية في عالم متغيره، وقد عولجت قضاياه في ٣٢ بحثًا، توزعت على ستة جوانب رئيسية، يمكن رصدها على النحو التالى:

أولا: محددات السياسة الخارجية المصرية، وقد خصص لهذا الجانب جلستان، احداهما عرضت للاطار المحلى والثانية عرضت للاطار الاقليمي والدولي.

ثانيا: الابعاد الاقتصادية للسياسة الخارجية المصرية، وقد نوقشت قضاياها في جلسة واحدة.

ثالثا: روَّية النخبة السياسية لقضايا السياسة الخارجية، وخصص لتناولها جلسة واحدة ايضا.

رابعا: عملية صنع السياسة الخارجية المصرية، ونوقشت في جلسة واحدة،

خامسا: تخطيط السياسة الخارجية المصرية وتنفيذها. وتم معالجتهما في جلسة واحدة.

سادسا: السياسات. وتم تناول هذا الجانب في ثلاث جلسات: تناولت الاولى سياسة مصر العربية، وعنيت الثانية بموقف مصر ازاء الصراع العربي

<sup>(\*)</sup> ماجستير في الاعلام، مدرس مساعد قسم الصحافة كليه الاعلام، جامعة القاهرة.

الاسرائيلي، وعالجت الثالثة قضايا السياسة الخارجية المصرية على المستويين الاقليمي والدولي.

ويهمنا، منذ البداية، ان ننبه الى الاطار العام الذى يحكم هذا العرض وحدوده:

١ -- اننا لن نقدم تلفيصا وافيا لما قدم من ابحاث ، يصل عددها الى ٣٢
 بحثا . فالأبحاث متوافرة ويمكن لكل باحث أو مهتم الرجوع إليها .

٢ - الهدف الاساسى لهذا العرض هو القاء الضوء على الجانب المقابل
 للابحاث ذاتها، الذى يتجسد فى مناقشات الباحثين والعاملين فى مجال
 السياسة الخارجية.

ثالثا: في ضوء ما سبق يتوزع هذا العرض على ثلاثة محاور: الأول يعنى بتقديم موجز لأهم أبحاث المؤتمر، والثاني يعرض لأهم المناقشات التي أثيرت في بعض الجلسات، والثالث يمثل ملاحظات كاتب هذا العرض على المؤتمر.

#### او لا

## موجز لأهم المقولات والنتائج

يتوزع هذا الموجز على الجوانب الرئيسـة الستة التى دار حولها المؤتمر ، ونعرض له على النحو التالى :

### محددات السياسة الخارجية المصرية،

وتتوزع الدراسات التي عرضت لهذا الجانب وفق مستويين:

أ - دراسات عرضت للاطار المحلى لمحددات السياسة الفارجية المصرية ، انجزها اربعة من الباحثين والغبراه ، وهم السفير عمران الشافعى (المقرمات الداخلية للسياسة الخارجية المصرية) ، ود . احمد حسن الرشيدى (مياه النيل في سياسة مصر الخارجية - دراسة في التاريخ المعاصر) ، ود . السيد عليوة (مكانة القيم الميكيافيلية في صنع قرارات السياسة الخارجية المصرية في الوطني العربي) ، ود . علا ابو زيد (الاسلام والسياسة الخارجية المصرية في فترة حكم حسني مبارك) .

في هذا الاطار برز حرص د. احمد حسن الرشيدي على التنبيه الي مجموعة من المقولات المهمة. فهو يرى مثلا أن الراصد لتطورات العلاقات السياسية بين دول حوض النيل يلاحظ «أن ثمة محاولات عديدة - ومنذ القدم - من جانب بعض هذه الدول لاستخدام المياه كسلاح سياسي ترفعه في وجه مصربين الحين والآخر. وان لعبة السياسة المائية واستخدامها كسلاح مضاد لم تبرز كاحدى ادوات الصراع الدولى في المنطقة الا مع الاستعمار الحديث، ومع ازدياد حركة التقدم الفنى التي زادت بدورها من أهمية عامل المياه في الحياة الاقتصادية. ويذكر د. الرشيدي أن النظام الثورى الذي تولى السلطة في مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ قد وعي بأهمية مياه النيل وضرورتها بالنسبة لمصر ولأمنها القومي، منذ سنوات الثورة الأولى. ولعل مانكره عبد الناصر - في معرض حديثه ، في فلسفة الثورة، عن اسباب الاهتمام المصرى بافريقيا واعتبارها الدائرة الثانية بعد الدائرة العربية لحركة السياسة الخارجية المصرية - بشأن النيل ووصفه إياه بأنه اشريان الحياة لوطننا، يعتبر بليلا على هذا. وينيه الرشيدي الى انه حتى اذا افترضنا ان ثمة محاولات جدية لاستخدام مياه النيل في الصراع السياسي مع مصر ، فإن ستل هذه المحاولات لا ينبغي المبالغة في تقدير خطورتها ، ولا ينبغى - من ثم - ان تؤثر بطريقة سلبية على استقلالية القرار السياسي المصرى في علاقاتنا الدولة مع دول حوض النيل. ويستند الباحث هنا الى عدة اعتبارات: أولها: أن القانون الدولي العام يقف الي جانب مصر، وثانيها: أن الدول الأخرى الواقعة في حوض النيل ليس لها مصلحة مؤكدة في مياه النيل بل أن احتجازها لهذه المباه يسبب لها ضررا جسيما. وثالثها: أن هذه الدول لديها من المشاكل السياسية مايجعلها تتردد ألف مرة في استخدام سلاح المياه في مواجهة مصر التي تستطيع بدورها أن تتعامل مع هذه المشاكل بما يفضى الى اثناء دول الحوض عن الاقدام على مثل هذه الخطوة.

ويخلص الكاتب الى ان اتباع سياسة مرنة ومتوازنة فيما يتعلق بالمسراعات الداخلية والاقليمية في دول حوض النيل يكاد يكون هو السمة المميزة لسياسة مصر الخارجية ازاء هذه الدول جميعا، ويستدل بأن تفاصيل مبدأ التعاون وحسن الجوار ، وانتهاج سياسة مرنة في مواجهة دول الحوض الأخرى ، لا يعنى ان مصر قد اسقطت من حساباتها اسلوب الحسم والمواجهة أذا وجد ما يهدد مصالحها في السردان أو في أثيربيا أو في غيرهما . بل على العكس ، فقد حرصت مصر - في أكثر من مناسبة - على التكيد على حقيقة أن اسلوب الحسم وارد تماما كبديل أخير لمواجهة عجز الاخرى .

عنى الدكتور السيد عليوة (رئيس قسم العلوم السياسية ووكيل كلية التجارة وادارة الأعمال بجامعة حلوان) بتحديد مكانة القيم الميكافيللية في صنع قرارات السياسة الخارجية في الوطن العربي، وفي هذا الاطار عرض لفهمه للقيم الميكيافيللية؛ عدة مبادى، أساسية مثل: الغاية تبرر الوسيلة، واحراز القوة بأى ثمن، وأولوية المصلحة الأنانية للدولة، واستخدام الخداع بكافة صوره، وصلاحية أساليب الابتزاز للعمل في المجال الدولي، والجدوى السياسية (الجدارة الاخلاقية بالمفهوم السياسي) لادوات العمل السرى،

وقد خلص الدكتور السيد عليوة الى نتيجة مركزية مؤداها الن القيم الميكيافيللية تحتل مكانة اقل في سلم التفضيل القيمي لدى النخبة الحاكمة في عهد الجمهورية الثالثة (الرئيس حسني مبارك)، اذا ماقورنت بالجمهوريتين الأولى والثانية (الرئيس عبد الناصر والسادات)، أو اذا قورنت بالسلوك السياسي لبعض النظم العربية المعاصرة، مثل «الدبلوماسية السورية أو السياسة السودانية أو المغامرات الليبية».

وتبرز دراسة الدكتورة علا عبد العزيز ابو زيد (المدرس بقسم العلوم السياسة ، بكلبة الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ) «الاسلام والسياسية الخارجية المصرية في فترة حكم حسني مبارك» ، أن فترة الرئيس حسني مبارك تميزت بتنامي دور الاخوان المسلمين في العملية السياسية ونبذهم ملك المعنف ، وبالتالي قدرتهم على التغلفل في النظام سواء على المستوى الاجتماعي او المستوى الرسمي بدخولهم مجلس الشعب في انتخابات ٨٤ و ١٩٨٧ على التوالى ، وتقديمهم لأنفسهم كعنصر استقرار في مقابل ما يواجه الرئيس حسني مبارك من تيارات اسلامية راديكالية تهز هذا الاستقرار ،

وان استراتيجية مبارك فى التعامل مع التيار الاسلامى قد ادت لتدعيمه كاحدى اهم – ان لم يكن أهم – جماعات الضغط الموجودة فى الساحة المصرية اليوم.

وقد . المحت الباحثة إلى أن الاسلام لا يمكن اعتباره محددا ادراكيا لمبارك. ودغم أن قوى الاسلام السياسية حصلت في عهد مبارك على انجازات شتى ، واكتسبت قدرا لا يستهان به من الشرعية من الناحية العملية ، الا أن مبارك لم يسمح لها بأن تمارس دورها كقوة ضغط في المجال الخارجي . ونبهت الدراسة الى تساؤل طرحته الباحثة في نهايتها : الى متى يقبل التيار الاسلامي هذا الاستبعاد عن التأثير في هذا الجانب الحيوى من السياسة المصرية مع تعاظم حجمه في الساحة الداخلية؟

ب. دراسات عرضت للاطار الاقليمي والدولي لمحددات السياسة الخارجية المصدية. ويبلغ عددها أربع دراسات، أولاها دراسة د. أنور عبد الملك (الدول الكبري الجديدة في مرحلة تغيير العالم)، وشاركه في الجلسة نفسها د. نيفين عبد المنعم مسعد (السياسة الخارجية الايرانية تجاه مصر ١٩٧٨ – ١٩٨٨)، ود. احمد عباس عبد البديع (ابعاد ومظاهر التغير في عامنا المعاصر وتأثير ذلك على السياسة الخارجية بصفة عامة)، وأ. وحيد عبد المجيد (السياسة الخارجية الاسرائيلية تجاه الوطن العربي: الاستمرار والتغيير).

نبه د. أنور عبد الملك (مدير الأبحاث بالمركز القومى للبحث العلمى بباريس) الى أن مفتاح التحرك المصرى الفعال في مرحلة تغيير العالم يكمن في منح علاقاتها مع دول مركز القوى العالمي الجديد اى مجموعة الدول الكبرى الجديدة الأسيوية – الصين، اليابان، الهند، وكذا الدول الصناعية النامية في شرق وجنوب شرق آسيا – مكانة الأولوية في اختياراتها السياسية وكذا في كافة مشروعات المشاركة في مجالات الاقتصاد والمتعلوبوجيا، وان تعميق التعاون وبناء جسور الترابط الاقتصادي والسياسي والفكرى الحضاري بهذه المجموعة الهائلة من الدول الكبرى الجديدة يقتضى أن ينضبط مسار مصر في الداخل، وهنا يشدد د. أنور عبدالملك على أن مفتاح التعاون والتآخي انعا هو تعبئة طاقات مصر

أولا، وتضبيط معدلات الحياة الاقتصادية والاجتماعية بحيث تزول معالم المجتمع الاستبلاكي السمساري وتعود مصر منتجة كبرى في اطار جبية وطنية متحدة تسعى الى بلورة مشروع وطني حضاري جاد وواقعى، يدرك معالم تغيير العالم؛

وفى دراستها السياسة الخارجية الايرانية تجاه مصر ١٩٧٩ - ١٩٨٨، تسجل د. نيفين عبد المنعم (المدرس بقسم العلوم السياسية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة) ثلاث ملاحظات اساسية: الأولى أن محور العلاقات المصرية الايرانية من المحاور الأساسية التى مسها تغيير جذرى؛ حيث انتقلت تلك العلاقات من التنسيق والتقارب الى التنافر والعداء. والثانية: أن المعيار العقائدى لم يكن وحده هو الحاكم لتوجهات السياسة الخارجية الايرانية. والثالثة: أن الاضطراب في تقدير محددات السياسات الخارجية الايرانية، يجعل من الصعب التنبؤ باحتمالات تطورها في فترة ما بعد الخوميني، خاصة في ظل الوعى بالمتغيرات الداخلية والاقليمية والدولية.

ويبدو اهتمام د. أحمد عباس عبد البديع (كلية التجارة وادارة الأعمال ، جامعة حلوان ) في دراسته «ابعاد ومظاهر التغير في عالمنا المعاصر وتأثير ذلك على السياسة الخارجية بصفة عامة ، بتحليل ظاهرة التغير في عالمنا المعاصر من خلال تحليل الاطار النظري لظاهرة التغير في النظام العالمي . وهو يكشف عن وجود اتجاهين رئيسيين بهذا الصدد ؛ يأخذ احدهما بمفهوم التغير باعتباره ظاهرة عمدية أو إرادية ، بينا يركز الآخر على التغيير باعتباره نشاطا تلقائيا أو عفوياً وينكر د . عبدالبديع أن ثمة عوامل تفسر هذا التغيير ، وهي العوامل التكنولوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية . ويخلص . الى أن التغير في النظام العالمي يؤثر على السياسة الخارجية ، سواء فيما يتعلق بمضمونها من حيث دخول الاعتبارات الاقتصادية المتعلقة المتعلقة عنها بالاحتياجات الجماهيرية في هذا المضمون ، أو فيما يتعلق بعملية صنعها من زاوية تعدد المؤسسات والقوى المشاركة في هذه العملية مما أدى الى مزيد من التعقيد فيها ، أو فيما يتعلق بتنفيذها ، حيث يلاحظ انخفاض في ميل القوى شديدة التسلح الى استخدام القوة العسكرية في هذا الصدد . وينطلق 1. وحيد عبد المجيد (الخبير بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام) في دراسته «السياسة الخارجية الاسرائيلية تجاه الوطن العربي – الاستمرار والتغيير » من فرضية اساسية مؤداها أن السياسة الخارجية الاسرائيلية حافظت على درجة عالية من الاستمرارية رغم التغيرات المتتالية في الموقف العربي العام تجاه اسرائيل، وقد خلص بالفعل الى ان هناك تغييرات عميقة متتالية طرات على اهم المكونات الخارجية البيئة الواقعية للسياسة الخارجية الاسرائيلية ، ولكن ذلك لم يرتب تغيرا ملموسا في ترجهات هذه السياسة التي حافظت على عناصر استمرارية معينة . وخلص ايضا الى أن التغيرات العميقة في الموقف العربي العام كان لها تأثيرها في تعميق الانتشام جين موقفي العمل والليكود .

# الإبعاد الاقتصادية للسياسة الخارجية المصرية.

في هذا الاطار، تبرز دراسات د. عثمان محمد عثمان (بعض الأبعاد الاقتصادية لسياسة مصر الخارجية)، ود. فاطمة الشربيني (الاتجاهات الربعية في الاقتصاد المصرى واثرها على توجهاته الخارجية في فترة الثمانينات) و 1. رضا هلال (مصرو النظام الدولى: تأثيرات النظام الدولى على الاقتصاد والمجتمع في مصر).

وتقدم الدراسات الثلاث اجتهادات تسعى جميعها الى تفسير السياسة بالاقتصاد بصفة عامة ، أو بيان المكانة الكبرى للاقتصاد في تحديد ملامح السياسة الخارجية بصفة خاصة . ففي دراسة د . عثمان محمد عثمان (استاذ الاقتصاد والمستشار بمعهد التخطيط القرمي) تركيز على العلاقة التبادلية بين علوم الاقتصاد والسياسة ، وتحديد للمعضلات التي تواجهها الدولة النامية عند ممارستها للسياسة للخارجية :

أ- معضلة المعونة - الاستقلال: حل التناقض بين مقتضيات توفير
 المساعدات الاجنبية وبين المحافظة على الاستقلال.

ب - معضلة الموارد - الأهداف: ضرورة تحقيق الانسجام بين الموارد
 المتاحة وبين الاهداف (يقصد بها عموما التنمية).

 جـ - معضلة الأمن - التنمية: الوفاء بمتطلبات الأمن القومي واجتياجات التنمية.

فى ضوء ذلك يقدم الباحث تصورا لمكانة العوامل الاقتصادية فى التحولات التى طرات على السياسة الخارجية المصرية منذ رحيل عبد الناصر . حيث يرى فى الانفتاح الاقتصادى محصلة طبيعية للتطلع الى فرصة واعدة من جانب القوى الاجتماعية التى تستفيد من الحرية الاقتصادية ، وتحتاج من ثم الى مساندة الراسمالية العالمية والولايات المتحدة بصفة اساسية . ويخلص الى ان نلك هو الذى حدد خطوطا جديدة لسياسة مصر الخارجية .

كما ينبه الى احتمالات تأثير الواقع الاقتصادي الراهن على اتجاهات السباسة الخارجية المصرية، أخذا في الاعتبار سياسات صندوق النقد الدولي، وسعيه الطلاق حرية قوى السوق وتقليص دور الدولة، وتشجيع القطاع الخاص في النشاط الاقتصادى، والغاء الدعم للسلع، والتوقف عن اتباع سياسة تعيين الخريجين، والغاء مجانية التعليم، واتخصيص؛ وحدات القطاع العام، وقصر الاستثمارات العامة على مشروعات البنية الأساسية والمرافق. وفي هذا السياق يؤكد الباحث أن التكلفة الاجتماعية والسياسية التي يرتبها تطبيق هذا الاجراءات قد تكون باهظة. وأن التهديد الاساسي يكمن في أضطراب اجتماعي واسع ربما يؤدي - في أحسن الأحوال - الى تأجيل غير محدد للاصلاحات الاقتصادية المطلوبة ، مما يضع نهاية للاتجاه الليبرالي الذي اتبعته السياسة الاقتصادية والخارجية في العقد الماضي. وبطبيعة الحال فأن الخطر - عندئذ - لا يتمثل فقط في امكان التخلي عن اسس سياسة الانفتاح، وانما فيما قد يترتب على ذلك ايضا من تغير في توجهات السياسية الخارجية . ويحدد الباحث اتجاهات هذا التغير بقوله وولاشك أن المصاعب التي تواجهها مصر ستولد ضغوطا قوية للاتجاه بعيدا عن اسرائيل والولايات المتحدة. ومن غير المنطقى استبعاد هذا الاحتمال بمجرد التصور بأنه ليس أمام مصر سبيل آخر في ظل نضوب الفوائض المالية من البترول العربي، أو متاعب الاقتصاد السوفيتي مثلا. ؛

أما د. فاطمة الشربيني (استاذ الاقتصاد المساعد ، كلية التجارة ، جامعة الزقازيق) فإنها تعير اهتماما كبيرا في دراستها لتأثير الاتجاهات الربعية في الاقتصاد المصرى على توجهاته الخارجية في فترة الثمانينات. وتعنى بالتحديد التاريخي لفكرة الربع وبروزها كأداة للتحليل الاقتصادي والاجتماعي بالثلازم مع ظهور الحقية النفطية في العالم العربي، وتدفق اموال هائلة على عدد محدود من الدول النفطية، دون جهود مماثلة على ظروف الانتاج، مما اعاد الى الأذهان مرة ثانية فكرة الدخول غير المكتسبة – ومن ثم الاقتصاديات الربعية. وفي هذه الدراسة ينصرف اصطلاح الربع - في مفهومه الواسع – لينطبق على كافة أشكال الدخول الراجعة الى هبات الطبيعة. فينظر الاقتصاديون للربع باعتباره نوعاً من الدخل الغير مرتبط بدورة الانتاج، ولذا فان النظرة الى أصحاب الربع تشوبها الربية كنتيجة طبيعية لانفصال الربع عن قيم الانتاج. (مثل حالة الموارد المعدنية – أو مقابل الاستفادة من الموقع البغرافي، كتحصيل رسوم المرور بالممرات الدولية كقناة السويس، أو كعائدات السياحة في اليونان واسبانيا ومصر – أو تأجير قواعد عسكرية – أو تسهيل مرور أنابيب البترول).

وتسجل د. فاطمة الشربيني – في خاتمة دراستها – عددا من النتائج المثيرة، لعل اهمها:

1- أن الاقتصاد المصرى تغلب على مكونات دخله - منذ منتصف السبعينيات حتى اليوم - العناصر الربعية التى تشكل نحو 20% من مكونات هذا الدخل. وإن الربعية صارت اتجاها وجزءا من المناخ الاقتصادى العام، ونمطا في الاداء الاقتصادى الفردى والقومى. فالافراد استسهلوا الحصول على فائدة الودائع، وابتعدوا عن مجالات العمل الحقيقى، كما ازداد الوزن السبي لحجم الانشطة غير الرسمية، أو السوداء، وقدرت الدخول المتولدة من هذا القطاع السرى بما يربو على بليونى جنيه لعام ١٩٨٠، وهو مها يوازى نحو 19٠٠، من الناتج القومى.

ب- ارتبط ازدياد السمة الريعية بازدياد درجة انفتاح الاقتصاد المصرى على العالم الخارجي. ومؤشرات التجارة الخارجية توضح ذلك بشكل سافر . فلقد ارتفعت نسبة التجارة الخارجية للدخل المحلى الاجمالي من ٣٥٪ - كمتوسط سنوى للفترة من ٤٧/٠٨٩ - الى ٤٩٪ في الفترة من ٨/٤٨٠ ، وتقلصت قدرة الصادرات على تغطية الواردات من ٧ر٣٣٪ عام ١٩٨٠ الى ٧٩٣٠ الى ٧٩٣٧ الى ٧٩٣٧ الى ٧٩٣٧ الى ١٩٨٧ الى ١٩٨٧ الى ١٩٨٧ الى ١٩٨٧ الى ٧٩٣٧ الى ١٩٨٧ الى ١٩٨٨ الى ١٩٨٧ الى ١٩٨٧ الى ١٩٨٧ الى ١٩٨٨ الى ١٩٨٨ الى ١٩٨٧ الى ١٩٨٨ ال

جـ – ارتبط التحول الذي حدث في السياسة الاقتصادية في فترة السبعينات باحداث تحولات في علاقات مصر الخارجية . فتم انهاء العمل باتفاقات الدفع والتجارة الثنائية والانتقال الى ممارسة التجارة الخارجية على اساس المعاملات الحرة ، وارتبط ذلك بازدياد الوزن النسبي للدول الراسمالية في حجم تجارة مصر الخارجية . حيث ارتفع نصيب هذه الكتلة في الواردات الإجمالية لمصر من ٥٩٣٧ للي ٧٩٨٨ (٧٣ – ١٩٨٤) . وكان ذلك على حساب تقلص وارداتنا مع الكتلة الشرقية – رغم أن ميزاننا التجاري مع هذه الكتلة لا يحقق إلا عجزا طفيفا لا يتعدى ٥٥ ٪ ، في حين اننا نعاني من العجز الكبير في الميزان التجاري مع الكتلة الراسمالية ، حيث بلغ ٢٩٨٨ .

وفى بحثه (مصر والنظام الدولى )، يعنى آ . رضا هلال (الصدفى بمجلة الاهرام الاقتصادى) بتأثيرات النظام الدولى على الاقتصاد والمجتمع فى مصر . فتحت عوان مصمر الحديثة بين الدولته .. والتدويل ، يشير الباحث الى أن . آاريخ مصر الحديثة ، من أيام محمد على ، يعكس اشكالية تطور مصر الاقتصادى بين النموذج الدولتى والنموذج التابع ، مع تغير النظام العالمي اقتصاديا وسياسيا . ومن هذا المنظور ، خلص الى أن مصر السبعينات قد اندمجت فى النظام الدولى ، وان مصر الثمانينات قد عانت من تناقضات السياسة التصحيحية المعلنة وظاهرة انسحاب الدولة .

#### رؤية النخبة السياسية لقضايا السياسة الخارجية

فى هذا الاطار، تبرز دراسات د. منى مكرم عبيد (السياسة الخارجية فى برنامج حزب الوفد)، ود. مصطفى علوى (الاحزاب السياسية المصرية والسياسية الخارجية فى الفترة من اكتوبر ١٩٨١ حتى اكتوبر ١٩٨١)، وا. محمد سعد أو عامود (سياسة مصر تجاه القوتين الأعظم فى برامج الأهزاب المصرية فى انتخابات ١٩٨٤ وانتخابات ١٩٨٧)، ود. عزة وهبى (النخبة) البرلمانية وقضايا السياسة الخارجية ١٩٨١ – ١٩٨٧).

يتناول د. مصطفى علوى (الأستاذ بقسم العلوم السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة)، دور الأحزاب في صنع السياسة الخارجية المصرية وتنفيذها ، وينتهى في دراسته الى محدودية دور الأحزاب المصرية في صنع السياسات الخارجية المصرية وتنفيذها . ويرجع ذلك إلى مجموعة من العوامل، منها ما يتعلق بالاطار الدستورى القانوني لعملية صنع السياسة الخارجية وتنفيذها ، ومنها ما يتعلق باحتكار الحزب الوطني الحاكم لتشكيلات المؤسسات الفاعلة داخل مجلس الشعب ، ومنها ما يتعلق بالقصور الذاتي للأحزاب المصرية ، وأخيرا طبيعة العلاقة بين أحزاب المعارضة ومحدودية أدوارها .

ويركد محمد سعد ابو عامود (رئيس الشبكة الاخبارية باذاعة الاسكندرية) في بحثه أن تأثير الجوانب الايديولوجية للأحزاب يبدو واضحا على رؤيتها لطبيعة علاقات مصر بالقوتين الأعظم، وأن كل الأحزاب اتفقت على كيفية تحقيق اهداف السياسة الخارجية، وأختلفت حول الاساليب الاجرائية للادارة المصرية. وأن هناك اختلافاً جنرياً في المنطلق الفكري للأحزاب المصرية، وأن كان هناك تقارب بين الحزب الوطني والوفد، فأن حزب التجمع يختلف عنهما جذريا. وأن ما جاء في البرامج يمثل ترجمة للمقولات الساداتية والناصرية، ولم يخرج عن هذا الإطار حزب الوفد الجديد الناقد الاساسي للناصرية، ويخلص الباحث الى نتيجة ذات دلالة، هي وأن الاحزاب المصرية والوقع ينطلقان من اجابة محددة وهي (نعم) بالنسبة لسلامة الترجهات الناصرية في السياسة الخارجية و

وتتناول د. عزة وهبى (الباحثة بالأمانة العامة لمجلس الشعب) في دراستها النخبة البرلمانية المصرية – اعضاء مجلس الشعب – ومواقفها من قضايا السياسة الضارجية المصرية في الفترة من ١٩٨١ – ١٩٨٧. وذلك بهدف التعرف على مضمون هذه المواقف ومدى الاختلاف بينها وبين الموقف الرسمى، وكذلك معرفة مدى التمايز والاختلاف داخل مواقف النخبة البرلمانية من قضايا السياسة الخارجية المصرية في فترة الدراسة، قد الانتماءات الحزبية ام لا، وذلك كله في اطار الهدف الأعم وهو معرفة امكانية الحديث عن اجماع وطنى في مجال السياسة الخارجية المصرية ودرجة ونطاق هذا الإجماع ان وجد؛

وتشير د. عزة وهبى فى خاتمة دراستها الى أن وتحليل موقف النخبة البرلمانية من قضايا السياسة الخارجية المصرية فى فترة الدراسة، قد أوضح لمكانية الحديث عن اجماع وطنى داخل مجلس الشعب فى عدد يعتد به من القضايا. هفى قضايا الصراع العربى - الاسرائيلى، وعلاقات مصر

العربية، يوجد هذا الاجماع بدرجة أو بأخرى. والقضية الوحيدة التى يمكن القول بخروجها عن هذا الاجماع الوطنى هى قضية العلاقات مع الولايات المتحدة، حيث وصلت الانتقادات المرتبطة بها الى حد الحديث عن التبعية المصرية للولايات المتحدة الأمريكية والمطالبة بضرورة لحداث مراجعة شاملة لهذه العلاقات، ومن النتائج البارزة فى هذه الدراسة، ما توصلت اليه الباحثة حول «الكيفية التى مارس بها مجلس الشعب دوره الرقابى وليس للمائة قد ملوحظ عدم اللجوء الى الاستجواب فى مجال السياسة الخارجية للى أنه قد طوحظ عدم اللجوء الى الاستجواب فى مجال السياسة الخارجية طيلة هذه الفترة. وهو مؤشر من المؤشرات التى يمكن أن يستدل بها على خفة حدة المعارضة فى مجال السياسة الخارجية. ومن ناحية أخرى، فقد كان النموذج المعتاد لنتائج ممارسة المجلس لدوره الرقابى فى مجال السياسة الخارجية، وأن كان لهذا الدور المعية فى الحصول على توضيح مطلوب أو لعله التعديل فى مواقف مسئولين الممية فى الحصول على توضيح مطلوب أو لعله التعديل فى مواقف مسئولين .

#### عملية صنع السياسة الخارجية المصربة

بائنسبة لهذا الجانب، تبرز دراسات د. محمد قدرى حسن (السياسة الخارجية في النظام الدستورى المصرى)، و د. جمال زهران(عملية صنع القرار السياسي في مصر. دراسة فترة حكم الرئيس مبارك)، ود. جهاد عودة (المؤسسة العسكرية والسياسة الخارجية: اطار بحثى لدراسة الحالة المصرية في فترة الرئيس مبارك)، و د. لماني قنديل (جماعات المصالح والسياسة الخارجية: دراسة لدور رجال الاعمال في مصر).

فى دراسة وعملية صدع القرار السياسى فى فترة الرئيس مبارك يحتكم د. جمال زهران ( الخبير بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية) الى مقولة مركزية يصدر بها الدراسة ، وهى أن والمدخل الرئيسى لفهم عملية صنع القرار السياسى فى دول العالم الثالث بصفة عامة ، ومصر بصفة خاصة ، هو شخص رئيس الدولة باعتباره صانع القرار الرئيسى — أن لم يكن الأوحد » . واستنادا الى هذا المدخل يعنى د . زهران بدراسة البيئة النفسية للرئيس مبارك فى اطار الحقبتين السابقتين عليه ، وهى حقبة الرئيس جمال عبد الناصر وحقبة الرئيس انور السادات .

وفي غبوء تحليل البيئة النفسية للرئيس مبارك ازاء عملية صنع القران وتحليل عدد من القرارات كنماذج تطبيقية لهذه الفترة ، وفي ضوء اداء البعض من اصحاب الرأي، أو أصحاب المناصب السياسية المختلفة، يستخلص الباحث عددا من السمات الرئيسية للرئيس مبارك ازاء عملية صنع القرار . السمة الأولى هي التأني الشديد الذي يصل الى البطء في صنع القرار السياسي، والثانية : اتساع درجة استشارة الخبراء في المسائل الفنية . والثالثة : توسيع درجة المشورة في عملية صنع القرار السياسي، والرابعة: الميل للعمل بأسلوب دروح الفريق، في عملية صنع القرار، وعدم الميل للانفراد في هذه العملية، وذلك على المستوى الشكلي. والخامسة: عدم الميل الى اسلوب المفاجأة أوما يسمى بأسلوب والصدمات الكهربائية ، في اتخاذ القرارات السياسية؛ . والسادسة : الميل إلى الأسلوب غير المباشر في عملية صنع القرار، وذلك باستخدام أحكام القضاء لاصدار قرارات تنفيذية لها، خاصة في الموضوعات التي تثير حساسيات واضحة. والسابعة: توسيع نسبي لحرية الحركة لاجهزة صنع القرار التنفيذية في مجال السياسة الخارجية كوزارة الخارجية، وبعض الوزارات الأخرى كالاقتصاد. والثامنة: الافتقاد النسبي للمشورة ازاء المسائل او القضايا السياسية . والتاسعة: عدم تجاوب النظام لأية ضفوط نابعه من البيئة الداخلية والخارجية، خاصة النابعة من قوى المعارضة أو أية تجمعات جماهيرية . والعاشرة: اختفاء الوحود الجماهيري في عملية صنم القرار السياسي.

وتعنى د. امانى قنديل (الخبير بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية) فى دراستها مجماعات المصالح والسياسة الخارجية؛ بالتركيز على صياغة رؤية لدور جمعية رجال الاعمال المصريين، وغرفة التجارة الامريكية بالقاهرة، بالاضافة الى اللجنة الاقتصادية لرجال الاعمال بالاسكندرية، نظرا لما يتوافر لهذه الجماعات من ثروة ونفوذ واستقلال حرمت منه العديد من جماعات المصالح الاخرى، وفي ضوء ما يثيره ذلك من تساؤلات:

 <sup>(</sup>۱) الى اى حد اهتمت هذه الجماعات وارتبطت بالسياسة الخارجية المصرية؟

<sup>(</sup>ب) الى أى حد اعتمدت عليها السياسة الخارجية لتنفيذ اهدافها؟

(جـ) ما هى طبيعة علاقتها بالقوى الخارجية التى تسعى الى التأثير فى ترجهات السياسة المصرية ؟

ويمكن تلمس ملامح الاجابة على هذه التساؤلات، فيما تسجله د . أمانى قنديل من ملاحظات، لعل اهمها :

 ١ ان احد الأهداف الاساسية لرجال الاعمال هو فتح فرص جديدة للاستثمار سواء في الداخل او في الخارج بهدف الربح.

 ٢ - ان قدرة هذه الجماعات على التأثير في توجهات السياسة الخارجية تنحصر بصفة اساسية في التجربة المصرية، في دعم وتعميق الاتجاهات الحالية.

٣ – من الاهمية بمكان مراجعة طبيعة الدور المزدوج الذي تلعبه جماعات رجال الاعمال في مجال السياسة الخارجية. فهذه الجماعات قد نسقت حركتها مع اهداف السياسة الخارجية، الا انه لا يمكن، في نفس الوقت، اغفال ان اهدافها هذه تتفق وتوجهات السياسة الخارجية الأمريكية،

٤ - في اطار العلاقة بين جماعات رجال الاعمال والطرف الأمريكي، توجد بعض النماذج التي تبرز بقة اتفاق المصالح بين هذه الجماعات من جهة ، وبينهم وبين الولايات المتحدة من جهة اخرى. فجماعات رجال الأعمال، رغم الاختلافات النسبية بينها ، يضم كل منها لجنة خاصة بالمعونة الامريكية تقوم بمتابعة وترتيب الاتصالات مع الطرف الأمريكي المسئول . وينطبق ذلك على جمعية رجال الأعمال، وغرفة التجارة الأمريكية ، واللجنة الاقتصادية لرجال الأعمال. وهذه الجماعات تقوم بعقد اجتماعات مشتركة لتنظيم استفادة القطام الخاص من المساعدات الامريكية .

#### تخطيط السياسة الخارجية وتنفيذها ر

فى هذا الاطار، عرض د. عبد المجيد فراج دراسته دواعى المصفوفة الدبلوماسية لزيادة فاعلية الاداء: شواهد مرئية فى مجال العلاقات الثقافية؛، و د. محمد سيد سليم، عرض أيضاً دراسته فتخطيط السياسه الخارجية المصرية؛، أما د. أحمد عبد أنه، فقد عرض دراسته اللجهاز الدبلوماسى المصرى بين العراقة والعتاقة؛.

وتبرر دراسة د. أحمد عبدالله (الباحث عن ذاته في وطن لايرحم، والباحث عن وطنه في بلد يفقد ذاكرته) في ضوء انشغاله بدراسة الجهاز الدبلوماسي المصرى بين العراقة والعتاقة. فالعراقة - في رؤية د. أحمد عبد الله تتجسد في «العمر الايجابي». للجهاز الدبلوماسي المصرى، الذي يحتوى تراكما للخبرة الكيفية، وفي تميز عناصره البشرية بقدر من المهارة المهنية والثقافة العامة، يجعل دبلوماسي وزارة الخارجية في موضوع بائن التفوق أذا ما قورنوا بسائر موظفي الدولة في مختلف الززارات. وقد كان لهذه العراقة اثرها في صياغة مكانة طيبة للجهاز الدبلوماسي المصرى في العالم العربي والافريقي والثالث؛ تمخضت في الواقع عن أحراز نتائج محددة على صياغة أطار صنع السياسة الخارجية المصرية لا مجرد العمل الدبلوماسي. ويرصد الباحث هذه النتائج استنادا الى ثلاث نواجي:

الاولى: اكتسب الجهاز الدبلوما القدرة على التعبير المرن عن المصالح الوطنية التى تطورت صياغتها مع تطور النظام الاجتماعى. ويقصد بنلك اساسا قيام نظام ثورة يوليو وانعكاساته التي استوعبها الجهاز الدبلوماسى، بعد ما تم توسيع الجهاز نفسه من ناحية الحجم (لتجسيد نشاط الدبلوماسية التحررية في الدول حديثة الاستقلال)، واضفاء قدر كبير من النفير الكيفي في تركيبه العضوى، سواء بدخول العسكريين اليه لدرجة حصولهم على اكثر من نصف عدد سفراء مصر في الخارج في فترة معينة، و بدخول اعداد متزايدة من ابناء الطبقة الوسطى الشبان الى ساحة العمل الدبلوماسى.

الثانية: ترتب على ذلك ان تخلق لدى زمرة الديوماسيين الذين نشأوا في هذا العصر ما يمكن ان نسميه اضمير العالم الثالث، وهو نوع من الشعور المعمى القوى الذى يتجاوز الميول الفكرية والاختيارات الايديولوجية الفردية على مستوى الرؤية المقلية. وهو ما انعكس في نشاط الدبلوماسيين المصريين في منظمات العالم الثالث وتصرفهم كدبلوماسيين لدولة «غير منحازة» اكثر من تحولهم، الى «نيويوركيين». [تعبير الدww Yorkers من التعبيرات المترددة في ردهات الخارجية المصرية على سبيل التندر]

الثالثة: ثمة دلائل تؤكد استيعاب الجهاز الدبلوماسي المصرى وفهمه المصالح الاستراتيجية الوطنية في ابعادها التاريخية العميقة وفيما وراء السياسات قصيرة النظر. فادراج المكاتب الدبلوماسية تعج بالتقارير الشجاعة وبعيدة النظر التي تقترح طريقة مختلفة لادارة سباسة مصر «العربية» و «الفلسطينية» و «الليبية» و «السورية» و «الاثيوبية» و «الايرانية» وحتى «الافغانستانية».

على الجانب الآخر للعتاقة ، يعنى أحمد عبد الله بتقديم رؤية نقدية لواقع الجهاز الدبلوماسي المصرى . وفي هذا السياق يعرض الباحث لمظاهر «العتاقة» التي يأخذ مفهومها «معنى سلبيا ». تتمثل هذه المظاهر في «العمر السلبي» عبر رسوخ الأساليب البيروقراطية العتيقة ، وظهور اعراض ترهل العضلات والشيخوخة ، ويتصل بذلك ماهنالك من نعمة ونقمة في الهيكل التدرجي الهيراركي للوظيفة الدبلوماسية ، وما يثيره من روح النفعية الذاتية وانتهاز الفرص التي تظهر بوضوح شديد عند اعلان «الحركة» الي ميدان الخدمة الدبلوماسية .

# سياسات مصر الخارجية تجاه العالم العربي، وازاء الصراع العربي الاسرائيلي والقوى الاقليمية والدولية

في هذا الجانب بمكن رصد دراسات: د. عبد المنعم سعيد (العودة الى الصف: مصر والوطن العربي ١٩٧٨ - ١٩٨٨)، و د. عبد الرحمن اسماعيل الصالحي (سياسات مصر العربية في الثمانينات: فترة الرئاسة الأولى)، و 1. حسن ابو طالب (السياسة الخارجية المصرية في البيئة العربية ١٩٧٠ - حسن ابو طالب (السياسة الخارجية المصرية في البيئة العربية ١٩٧٠ - عمان نوفمبر ١٩٨٧)، و ١. سامة الغزالي حرب (السياسة الخارجية تجاه السودان: ملاحظات اولية)، و د. وميض نظمي (العلاقات المصرية العراقية)، و ١. عبد العاطي محمد احمد (السياسة الخارجية المصرية العراقية)، الخليج)، و د. عطية حسين افندي (مصر والمؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط: دراسة في ضوء قواعد التسوية السياسية للمنازعات الدولية)، و د. ناسلوك والمحددات)، ودكتور محمد رضا فودة (السياسة المصرية تجاه المساوك والمحددات)، ودكتور محمد رضا فودة (السياسة المصرية تجاه

القرن الافريقي)، و د. سلوى لبيب (السياسة الخارجية المصرية تجاه اثيربيا في التسعينات)، و د. هالة سعودى (حدود العلاقة الخاصة بين مصر والولايات المتحدة الامريكية: دراسة في نمط تصويت الدولتين في الجمعية العامة للأم المتحدة ١٩٨٥ – ١٩٨٧)، و د. حسن نافعة (سياسة مصر الخارجية تجاه الولايات المتحدة: معضلة البحث عن نقطة توازن).

وتبرز دراسة 1. حسن ابو طالب (الخبير بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام) حيث يعنى بتفهم ابعاد الدور المصرى العربى طوال الفترة ما بين ١٩٧٠ – ١٩٨٧ مع ابراز اوجه الخلاف القائمة واوجه التشابه بين المرحلتين الرئيسيتين: مرحلة آلرئيس السادات ١٩٧٠ – ١٩٨٨، بين المرحلتين الرئيسيتين: مرحلة آلرئيس السادات وفى رؤية 1. حسن ابو طالب فان كلا من الرئيسين السادات ومبارك توليا السلطة ولم تكن تفاعلات مصر العربية فى افضل صورها، وان التطورات والتغيرات التي صحاحبت السياسة الخارجية المصرية فى المجال العربى اثناء عهد الرئيس صاحبت السياسة الخارجية المصرية فى كلا المجالين الداخلي السادات قد صاحبها تغيرات اساسية وجوهرية فى كلا المجالين الداخلي والخارجي، وان الفترة الرئاسية الاولى للرئيس مبارك تصطدم بثلاث المكاليات، المكالية العلاقة بين الالتزام المصرى تجاه التعاقدات القانونية مع اسرائيل من ناحية والالتزام المصرى ناحية العرب من ناحية اخرى، واشكالية المصرية للجامعه العربية، ثم اشكالية: اية جامعة تعود مصر اليها؟.

ويتوقف 1. حسنين توقيق (قسم العلوم السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة) في دراسته «دور مصر في النظام الاقليمي العربي بعد قمة عمان المام التحول التاريخي الذي حدث في دور مصر ، حيث انتقلت من مركز القيادة خلال الخمسينات والستينات الى وضع العزلة من منتصف السبعينات ويطرح تصوره لاربعة ادوار متوقعة لمصر ، هي : الدولة القائد ، والدولة الفشارك . وخلص الى استبعاد والدولة النموذج خلال المستقبل المنظور ، ان تمارس مصر دور الدولة القائد او الدولة النموذج خلال المستقبل المنظور ، ومن ثم فإنه يرشح مصر لأن تلعب دورا في تحقيق بعض المصالحات بين النظام العربية وخلق حد ادنى من التضامن العربي، مع المشاركة في النظام العربية وخلق حد ادنى من التضامن العربي، مع المشاركة في النظام

العربى بالتعاون والتنسيق مع الدول العربية فى المجالات المختلفة . واختتم 

الله مسنين توفيق دراسته بالدعوة الى ضرورة بلورة استراتيجية عربية لمصر ، استنادا الى الموقع الجغرافي ودلالات الخبرة التاريخية ، حيث ان مصر ضعيفة عندما تنعزل عن دائرتها العربية ، وقوية ومؤثرة عندما تتفاعل معها .

وتكشف دراسة د. نادية محمود مصطفى (قسم العلوم السياسيه كلية الاقتصاد والعلوم السياسية مجامعة القاهرة) عن خطورة استمرار الموقف الراهن في مجال التعامل السياسي المصرى مع مسألة الخيار النووي رغم البداية المبكرة في الستينيات لتطوير قدرات مصر النووية . فتذكر أن السياسة المصرية تكيفت مع القيود الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية التي حالت وتحول دون تطوير قدرة نووية أو حتى برنامج سلمي للطاقة النووية الكهربية . وتخلص الى القول بأن دخول مصر في المجال السلمي لاستخدامات الطاقة النووية ، وخاصة لتوليد الكهرباء هو الأمر الممكن حاليا ، وأنه يجب الاحرم مصر من دخوله ، فأن الخيار التكنولوجي هو اساس بناء قوة الدولة المعاصرة ، التي هي اساس القوة السياسية .

وفى دراسته حول اسياسة مصر الخارجية تجاه الولايات المتحدة، ينشغل د. حسن نافعة (قسم العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسة، جامعة القاهرة) بمعضلة البحث عن نقطة توازن، ويعود فى رحلة تاريخية - الى جذور العلاقات المصرية الامريكية، ويتأمل تطوراتها حتى اللحظة المعاصرة.

في هذا الاطار، سجل د. حسن نافعة مجموعة المقولات التالية:

۱ – ان استعراض التطورات التاريخية لدور الولايات المتحدة في الشرق الاوسط، منذ منتصف القرن، يوضع أن مصر كان عليها، أذا ما قبلت التعاون الأمريكي، أن تلعب دور الشريك الاصغر لاسرائيل، التي تمثل حجر اساس وركيزة للمصالح الأمريكية في المنطقة، وليس بديلا لها. ٧ - أن فحص العلاقات المصرية الامريكية ، يظهر أن السياق الذي عرضت فيه الولايات المتحدة تقديم مساعدات اقتصادية أو عسكرية لمصر اختلف من مرحلة لأخرى ، وفي كل مرحلة كان للولايات المتحدة أهداف تكتيكية واستراتيجية من وراء هذه المساعدات .

٣ - إذا كانت استراتيجية الولايات المتحدة تجاه المنطقة عموما ، ومصر خصوصا، قد اتسمت بالثيات، ولم يطرأ عليها تعديل، وان كانت هناك تغيرات تكتيكية، فان سياسة مصر تجاه الولايات المتحدة تحركت في ضوء هدف ثابت دائم هو محاولة الابقاء على الجسور المفتوحة مع الولايات المتحدة املا في مساندتها في قضاياها المختلفة .

٤ ـ اذا ادركنا ان المنطقة صراعية بطبيعتها، وان النقطة الحالية في مسار العلاقات المصرية الامريكية لاتعبر عن نقطة التوازن المنشودة ـ فان المعضلة أمام صانع القرار المصرى، هي كيف يمكن ادارة الصراع مع الولايات المتحدة، دون أن يصل إلى حد المواجهة غير مآمونة العواقب.

وتركز دراسة د. هالة سعودى (قسم العلوم السياسية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة )، على تناول دحدود العلاقة الخاصة بين مصر والولايات المتحدة ؛ غير منهج تحليل التصويت المصرى في الجمعية العامة للأمم المتحدة ومقارنته بالتصويت الأمريكي وتصويت دول عدم الانحياز ، بهدف التعرف على ما اذا كان اعتماد مصر على المساعدات الاقتصادية والعسكرية الأمريكية يؤدى الى اتخاذ المواقف الأمريكية نفسها وتبنيها .

وفي ضوء الدراسة التحليلية ، تستخلص الباحثة مجموعة الحقائق التالية :

١ – أن هناك استمرارية في مواقف السياسة المصرية ومواقف السياسة الأمريكية كما يتضح من نمط تصويب الدولتين على قرارات الجمعية العامة. وتفسر الباحثة نلك في ضوء التزام السياسة الخارجية المصرية بعدد من المبادىء، مثل التضامن مع الشعوب العربية والاسلامية والافريقية ومبادىء حركة عدم الانحياز، أما الولايات المتحدة فتسترشد في سياستها الخارجية بعدد من الاعتبارات، في مقدمتها استراتيجيتها الكونية في مواجهة الاتحاد السوفيتي، والمحافظة على المصالح الأمريكية في اقاليم العالم المختلفة

٧ ـ انه من الطبيعى نتيجة لذلك أن تختلف مواقف الدولتين بالنسبة لبعض القضايا عندما تتعارض الاعتبارات المحركة للسياسة الخارجية المصرية (مجموعة المبادىء) مع المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة، كما هو الحال بالنسبة لقضية المفصل العنصرى في جنوب لفريقيا، ونزع السلاح، وعدد كبير من أقسام القرارات الخاصة بالشرق الأوسط والقضية الفلسطينية.

٣ ـ انه من الطبيعى من ناحية أخرى امكانية حدوث تقارب فى مواقف الدرلتين بالنسبة لبعض القضايا، ليس نتيجة لضغوط أمريكية على مصر، وإنما لأنه قد يتصادف أن تتوافق الاعتبارات المحركة للسياسة الخارجية المصرية مع مواقف الولايات المتحدة فى استراتيجيتها الكونية فى مواجهة الاتحاد السوفيتى، كما اتضح بالنسبة لمواقف الدولتين فيما يتعلق بقضيتى الفغانستان وكمبوتشيا.

#### ثانيا

#### بعض المناقشات في ضوء جلسات المؤتمر

حظيت قضية مياه النيل، كأحد محددات السياسة الخارجية المصرية، باهتمام ملحوظ في مناقشات المؤتمر. ويبدو ذلك في مداخلات د. سعد الدين ابراهيم، الذي تراس الجلسة الأولى في المؤتمر. حيث قال انه لا يوافق د. أحمد حسين الرشيدي فيما ذهب اليه حول المبالغة المصرية في تقدير الاستخدام السياسي لمياه النيل من جانب دول الحوض، وانه يرى ان القضية بالفعل تحتاج الى مزيد من الاهتمام في ضوء ما تزمع بعض الدول انشاءه من مشروعات قد تؤثر بشكل سلبي على احتياجات مصر المائية. وانتقد استناد د. الرشيدي الى المدخل القانوني في الدعوة الى الاطمئنان الى حقوق مصر القانوني أله القانوني أله المدخل القانونية التي لا يمكن لأحد انتهاكها،

وفى هذه الجلسة أيضا ، اثارت دراسة د . السيد عليوة حول مكانة القيم الميكافيللية فى صنع السياسة الخارجية فى الوطن العربى ، انتقادات عديدة ، بعضها يتعلق بعدم الدقة فى بيانات الدراسة ومعلوماتها ، والبعض الآخر يتعلق بمفهوم الباحث نفسه للقيم الميكيافيللية . فقد أشار اللكتور عليوة الى أن النظام السورى قد طلب الحصول على مساعدات اقتصادية هائلة ، (٢ مليار دولار مقابل مجرد التقاء الرئيسين العراقى والسورى على الحدود) أو مقابل عدم شل القمة العربية فى عمان (نوفمبر ١٩٨٧) وذلك فى معرض ٢٥٠

حديثه عن ما اسماه ببالابتزاز السورى، وتوقف سعد الدين ابراهيم امام ذلك قائلا ان هذا ليس صحيحا، وينطرى على مبالغة كبرى، وانه فى ذلك الوقت كان فى عمان، وسأل حول حقيقة هذه الواقعة، البلغوه أنها غير صحيحة. وانتقد د. سعد الدين ابراهيم مفهوم الباحث، ودعا الى ضرورة العمل على التدقيق فى المفاهيم قبل استخدامها، والتعرف على السياق البيئى والتاريخى الذى افرزها.

وقدم د. سعد الدين ابراهيم مراجعة لدكتورة علا ابو زيد في دراستها والاسلام والسياسة الخارجية المصرية في فترة حكم مبارك عيث ركزت على القول باستخدام الاسلام كاداة في السياسة الخارجية المصرية. قال سعد الدين ابراهيم أن مفهوم الاداة يتخذ في هذا السياق معنى سلبيا، وهذا غير صحيح، ولكن العيب قد كران في مضمون، التوظيف نفسه.

وفى جلسة «الأبعاد الاقتصادية السياسة الخارجية المصرية»، اثارت دراسة د. فاطمة الشربيني «الاتجاهات الريعية في الاقتصاد المصري واثرها على توجهاته الخارجية في فترة الثمانينات» نقاشا واسعا، كان ابرزه ما أثاره رئيس الجلسة د. ابراهيم سعد الدين حول توسع الباحثة في وضع حدود لمفهوم الريع. وقال ان هذا غير بقيق غير أن هطه الدراسة بصفة عامة لاقت قبولا واسعا من جمهور الحاضرين، وكان أهم ما يلفت النظر فيها هو بلورتها للأنشطة الريعية ويقتها في الإشارة اليها عيانا، وقدرتها على الكشف عن الآثار السلبية للانشطة الريعية على الاقتصاد المصري في اطار تاريخي.

ومن المداخلات المهمة، تعقيب 1. السيد ياسين على منهجية دراسة الخطاب، بعد أن عرض الباحثون: منى مكرم عبيد ومصطفى علوى ومحمد سعد أبو عامود وعزة وهبى لرؤية النخبة السياسية لقضايا السياسة الخارجية. وخلاصة رؤية 1. ياسين تتمثل فى أنه لا ينبغى على الباحث أن يسلم تسليما مطلقا بالنص الذى يقوم بتحليله، مما قد ينتهى بالباحث الى أن يصبح مجرد مسجل لبيانات ومعلومات ظاهرة، وأن الموقف الفعلى قد يوجد فى مواقع أخرى غير النص. وبذلك فأن ملاحظة 1. السيد ياسين

تنبه الى خطورة الواقع الحالى الخاص بالمراهنة على دراسة التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى عبر تحليل الخطب والبيانات والتصريحات والمقالات وغيرها من اشكال الانتاج الفكرى، وتدفع لاعارة التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وغيرها، الاهتمام الواجب، الدى يفضى الى دراسات دقيقة تتجاوز تحليل السياسات المعلنة، بمفردها، وتمزج بينها وبين الوعى اللسياسات الفعلية،

وفى جلسة صنع السياسة الخارجية المصرية، اثارت دراسة د. جمال زهران نقاشا حول امكانية الاعتماد على مدخل البيئة النفسية للرئيس فى تفسير صنع القرار السياسى لمصر. وقال الدكتور مصطفى علوى أن الاعتماد على هذا المدخل بمفرده لا يقدم صورة كافية عن عملية صنع القرار وخاصة ما يتعلق منها بمشاركة مؤسسات أخرى إلى جانب الرئيس.

وسئلت د. امانى قنديل عن اسرار تزايد نفوذ جماعات المصالح فى صنع السياسة الاقتصادية فى مصر فى فترة الرئيس مبارك. وقدمت لذلك تفسيرا فى ضوء التحولات التى مر بها النظام السياسى المصرى مع مطلع الثمانينات السارت د. أمانى قنديل إلى أن هذه الجماعات كانت تدرك تماما ، اثناء حياة الرئيس السادات، ان كل ما يجرى فى مصر يدعو الى اطمئنانها، وانه ليس هناك ما يدعوها الى الخوف او الحذر ، فرئيس الجمهورية نفسه يعد المسئول الأول عن خروجها الى ميادين النشاط الاقتصادى ، والمسئول عن دعمها وحماية استمراريتها . ولكن بعد رحيل الرئيس السادات ، شعرت هذه الجماعات ، انها ازاء رئيس جديد ، وإن الأمر يتطلب ان تتحرك هى بنفسها ولا تنتظر تحركات الرئيس . وفى هذا السياق لكتسبت هذه الجماعات ديناميكية تفوق ما كانت عليه ايام الرئيس السادات نفسه .

وفى الجلسة التى خصصت لمناقشة التخطيط السياسة الخارجية وتنفيذهاء، عبر د. محمد السيد سليم عن دهشته من موقف د. احمد عبد الله الرافض الاختيار عدد كبير من خريجى الجامعة الأمريكية وتعيينهم في وزارة الخارجية!! وكان د. احمد عبدالله واضحا ومحددا في رده: أن طريقة الاختيار الحالية قد تمخضت عن تحيز اجتماعي بائن. فاذا ما اضفنا الى ذلك تزايد نسبة ابناء كبار الدبلوماسيين من الملحقين الجدد – رغم تفوق

البعض منهم أيضا - لاتضح أن ثمة خطورة كامنة في التحول التدريجي للجهاز الدبلوماسي الى ما يشبه الطائفة المغلقة.

وفى جلسة سياسات مصر العربية، التى رأسها د. ابراهيم صقر ، بدا واضحا ان ثمة خيطا رئيسيا يربط بين الرئيس وشباب الباحثين الذين يتقدمهم د . عبد المنعم سعيد و د . عبد الرحمن الصالحى و أ . حسن ابو طالب وأ . حسنين توفيق ، ويتمثل فى الحنين الى دور مصر العربى فى الخمسينيات حسنين توفيق ، ومحاولة الاستفادة به مع الوعى بالتطورات المعاصرة . سئل أ . حسنين توفيق : لماذا لا تعود مصر الى سابق مكانتها العربية . وأجاب أن علينا أن نميز بين أمرين : الرغبة فى القيام بدور عربى فى أن يقوم بهذا الدور ، وجهاز الدولة فى مصر الآن لا يرغب فى أن يقوم بهذا الدور ، ولا يملك القدرة المناسبة ، وهكذا فكل من الرغبة فى أن يقوم بهذا الدور ، ولا يملك القدرة المناسبة ، وهكذا فكل من الرغبة الى اعادة النظر فيما اسماه وزعامة مصر» . فهذه الزعامة – وفق رؤية د . الى اعادة النظر فيما اسماه وزعامة مصر» . فهذه الزعامة – وفق رؤية د . فراج – يصعب انجاز الوحدة معها الآن ، ونحن فى حاجة الى أن نتعامل مع الاشقاء فى العالم العربى باعتبارهم «اندادا» .

وحظيت قضية العلاقات المصرية – الأمريكية الخاصة؛ بحضور مكثف في جلسات المؤتمر. وفي جلسات سياسات مصر الخارجية اقليميا ودوليا ، التي رأسها السفير صلاح بسيوني السفير المصري السابق في الاتحاد السوفيتي ، توقف في تعقيبه عند الأهمية البالغة لهذه القضية ، وقال أنه أيضا منشفل بنقطة التوازن التي شفلت بال د. حسن نافعة، واضاف أنه يطرح للنقاش العام هذا التساول: هل كان من الممكن أن نتفادي الصدام الذي حدث بين مصر وأميريكا في الحقبة الناصرية ؟ وكان لكاتب هذه السطور حظ الاجابة على هذا التساول: وخلاصة مداخلتي: نعم كان من الممكن، ولكن بشروط: أولها عقد صلح مع اسرائيل . والثاني: التخلي عن الالتزام بتبني القضية الفلسطينية والدفاع عنها والثالث: الكف عن ممارسة دور تحرري نشيط يدعو الى الاستقلال الوطني في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ويدعم حركات التجررالوطني فيها . والثابت أن أيا من هذه الشروط لم يتحقق، وبناء على نلك فقد خطط مسئولو وزارة الخارجية الامريكية لسيناريو شهير ، بدأت معالمه تتضح ابان الصدام بين مصر وامريكا بسبب الدور المصري في

109

الكونغو واليمن والخليج، وفي غمرة تهديد الكونجرس الامريكي يقطع المساعدات الاقتصادية عن مصر . ويتمثل هذا المخطط في (أ) أن تغير أمريكا ذاتها سياستها تجاه مصر - عبد الناصر [ولم تغير امريكا سياستها] (ب)ان تهيىء امريكا الظروف التي يمكن ان تقود الى تولى شخص آخر ، يحل محل عبد الناصر، ويلتزم بسياسة لا تقلق الساسة الامريكيين ولا تهدد مصالحها الاستراتيجية في المنطقة العربية (وكانت تلك صباغة متأدبة لمخططات الاغتيال التي ببرت لعبد الناصر وكشف عنها فيما بعداء وللسباسات التي اتخذت لعزل مصر عن عالمها العربي، وغزوها من الداخل). (جـ) ان تتعامل الولايات المتحدة الأمريكية مع عبد الناصر، باعتباره زعيما يعمل من أجل تحقيق اهداف بلاده ومصالحها الوطنية، وانه في هذا الاطار يعمل لتنفيذ سياسات تتسق مع هذه الاهداف وتلك المصالح . ولكنه يظل يمثل العدوع الذي قد يعرقل بسياساته تحقيق الاهداف والمصالح الامريكية في المنطقة [وتعتبر هذه النظرة في التعامل مم عبد الناصر هي المسئولة عن المشاركة الامريكية في توجيه ضربة كبرى الي مصر - عبد الناصر في يونيو ١٩٦٧]. وإذا كانت هذه هي ملامح السيناريو الامريكي، فهل كان من الواحب على عبد الناصر ان يستجيب الى الشروط الأمريكية، حتى يقال عنه انه لم يناطح اله لايات المتحدة؟!

وفي الجلسة ذاتها ، سئلت د. هاله سعودي عما اذا كان منهج «دراسة التصويت؛ بمفرده يكفي لبلورة ملامح العلاقة بين مصر وامريكا وحدودها . فأجابت اننى استخدم هذا المنهج ، في الوقت الذي ادرك فيه تماما اهمية الاعتماد على مناهج اخرى ، تقدم بالتكامل فيما بينها معالجة اكثر شمولا لتك القضية . ولكن اليس من حق الباحث أن يختار جانبا معينا ، يحتم عليه الاحتكام الى منهج او مناهج معينة ؟ . . اعتقد ان ذلك امر ممكن . وبالنسبة لى، فلم يكن امامي غير ذلك ، خاصة وقد سبق لى ان اجريت دراسة حول العلاقات المصرية الامريكية ، استفدت فيها من الامكانيات التي تقدمها مناهج مغايرة للمنهج المستخدم في هذه الدراسة .

#### خالثا

#### ملاحظات عامة حول المؤتمر

١ – بمثل هذا المؤتمر نمونها حيدا لحالة التواصل بين النضة المثقفة في المجالين السياسي والاقتصادي بصفة خاصة، ومستولى صنع القرار السياسي في وزارة الخارجية المصرية ووزارة الدفاع وغيرهما من احهزة الدولة المعنية بصناعة السياسة الخارجية لمصير، فعلى هامش حلسات المؤتمر، الثماني، خصصت ثلاث جلسات لكيار المسئولين المصريين في وزارة الخارجية ووزارة الدفاع، حيث القي الدكتور عصمت عبد المجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية في جلسة الافتتاح (مساء الجمعة ٢ ديسمبر) كلمة اثار بعدما نقاشا مهما حول تراجع مكانة الايديولوجية في اتخاذ القرار السياسي وبروز دور الاقتصاد في العلاقة بين الشرق والغرب، والموقف المصرى بعد صدور قرار المحكمة بعودة طابا الي مصر، واسرار تأخر الاعتراف المصرى بالدولة الفلسطينية. وفي اليوم الثالث للمؤتمر (الاثنين ٥ ديسمبر) القي الدكتور اسامه الباز محاضرة حول سياسة مصر الخارجية، اعقبها نقاش مثير تساءل فيه المتحدثون عن اسرار التفاؤل الذي بدا في حديث د. الباز عن «مستقبل مصر المشرق»، وعن موقفه من العلاقات الخاصة بين مصر وأمريكا، وعن الاجراءات الامنية التي تحول دون الممارسات الدينقراطية وتحصر ممارسة العمل السياسي في مصر في اطار التعبير ؛ وليس المشاركة؛ . و وفقا لبرنامج المؤتمر ، خصصت الجلسة الختامية لكلمة المشير محمد عبدالحليم أبو غزالة نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع، غير أنه أرسل لمسئولي المؤتمر أعتذارا عن عدم الحضور،

٧ ـ يحسب لهذا المؤتمر افساح المجال أمام وجوه جديدة من الشباب ممن يتميزون بجدية ودأب شديدين. ومن هذه الزاوية فانه بحق مؤتمر للشباب اكثر من كونه مؤتمرا للشيوخ، يسهم فى تجديد دماء المؤسسة العلمية ويقدم للمجتمع العلمي كفاءات يصعب تجاهل

بعضها، ويحتاج بعضها الآخر الى تشجيع ورعاية، ويدعو بعضها الى الاطمئنان على مستقبل البحث العلمي في مصر.

٣ ـ ينبه هذا المؤتمر إلى أن هامش الحرية المتاح يعطى فرصا أكبر لاقامة
 المؤتمرات وتفهم ماتثيره من نقاش دون حساسية ويظهر ذلك في:

- (۱) ارتفاع نسبة الحضور بالنسبة لمسئولى صنع القرار المتخصصين والطلاب، والتي تجسدت في حضور ما يقرب من ١٠٠٠ شخص في بعض الاحيان.
  - (ب) القدرة على الاستفادة من خبرات عدد من كبار المفكرين والاساتذة والمسئولين في ادارة الجلسات والتعقيب على الدراسات،
- (ح) الاعداد للمؤتمر والاعلان عنه قبل موعده بفترة تقترب من العام، والالحاح على الباحثين من اصحاب الدراسات عبر خمسة خطابات ارسلت لكل منهم،
- (د) نسخ دراسات المؤتمر قبل انعقاده وتوزيعها على الباحثين والمختصين قبل انعقاد المؤتمر ايضا. وقد ادى ذلك الى اكساب جلسات المؤتمر جدية ورصانة بدت في مداخلات بعض المناقشين والمعقبين ممن قرأوا الدراسات قبل موعد عرضها.
- 3 كالعادة ، ومثلما يطرح فى مؤتمرات عديدة ، اثار البعض تساؤلا نراه أساسيا : ثم ماذا بعد ؟ قال أحمد عز الدين (رئيس قسم التحقيقات بصحيفة قصوت العرب التى أغلقت مؤخرا) «انه يشعر بنشوة فكرية لا يعرف كيف يعبر عنها ، من دراسات المؤتمر وما أثارته من مداخلات خصبة . غير أنه لا يعرف لماذا يشعر بالاحباط ؛ كان أحمد عز الدين يومى الى الفجوة بين أحاديث المثقفين ودراساتهم وتطلعاتهم ، وقرارات المسئولين التي كثيرا ما تأخذ طريقا معاكسا . وهى قضية هامة مازالت موضع نقاش وجدال فى الكثير من ساحاتنا العلمية ، وتعيد الى الأذهان ضرورة الدعوى الى «تجسير الفجوة » بين المثقف والسلطة .

رسائل جامعية:

# تدفين السجائر طويل المدى دراسّة للآداء على بعض الاختبارات النفسية (\*)

هند سید طه<sup>(★ ★)</sup>

تمثلت المشكلة محور الإهتمام في هذا البحث في الكشف عن العلاقة بين تدخين السجائر طويل المدى وكفاءة بعض الوظائف المعرفية والنفسية الحركية، وبالتحديد: سرعة الأداء النفسي الحركي، ودقة الإدراك، والذاكرة المناشرة، والانتباه، ويقة تقدير المسافة •

وترجع أهمية هذه المشكلة إلى ما كشفت عنه مجموعة كبيرة من الدراسات الميدانية التى أجريت بهدف الكشف عن دوافع احتفاظ الأفراد بعادة تدخين السجائر، رغم ما تنظرى عليه من مضار صحية خطيرة، كشفت هذه الدراسات عن أن من أهم الدوافع التى يدنى بها المدخنون عن أسباب تدخينهم للسجائر: الرغبة فى الحصول على التنبيه، وتنشيط التفكير، وتركيز الانتباه ٠

وقد ترتب على ذلك إفتراض البعض أن للتدخين آثاره الإيجابية في هذا الصدد، ومن ثم تزايد الاهتمام لدى علماء النفس بإجراء الدراسات التجريبية للكشف عن أثر التدخين على الوظائف النفسية. غير أن معظم هذه الدراسات

<sup>★</sup> رسالة بكتوراه، قسم علم النفس، كلية الأداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٨٨

<sup>★ ★</sup> خبير، قسم بحوث الجريمة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

كانت دراسات معملية تدور حول التأثير الحاد أو المباشر للتدخين، ولم نجد في التراث دراسات تجريبية تتناول العلاقة بين تدخين السجائر طويل المدئ وكفاءة الوظائف النفسية، رغم الأهمية النظرية والتطبيقية للكشف عن هذه العلاقة •

وعند فحص هذه الدراسات تبين أن اهتمامها قد انصب أساساً على وظيفتين من الوظائف المعرفية هما: الانتباه، والذاكرة المباشرة، وبالنسبة للوظيفة الأولى كان هناك إتساق بين نتائج هذه الدراسات؛ حيث تشير إلى أن التدخين يؤدى إلى تحسن في الانتباه الانتقائي، ورفع كفاءة الأداء في المهام التي تتطلب قدراً من التيقظ أو الانتباه الممتد لفترة طويلة نسبياً "

اما فيما يتصل بالوظيفة الأخرى، فقد برز التناقض بين نتائج الدراسات ؛ فعلى حين تشير بعض الدراسات إلى وجود آثار سلبية للتدخين سواء على التذكر المباشر أو التذكر بعيد المدى، تشير دراسات أخرى إلى أن التدخين يؤثر سلبياً على التذكر المباشر، ولكنه يؤدى في نفس الوقت إلى رفع كفاءة التذكر بعيد المدى \*

ومهما يكن الأمر ، فمن المتعذر أن نعمم نتائج هذه الدراسات على التدخين طويل المدى ، وذلك لعدد من التحفظات المنهجية أهمها ما يلى :

اولا: اعتمدت هذه الدراسات على تصميمين تجريبيين: أولهما يقوم على استخدام مجموعتين من الأفراد المدخنين أصلاً: إحداهما يسمح لها بتدخين سيجارة قبل الأداء على الإختبار، والأخرى لا يُسمح لها بذلك. ثم تجرى المقارنة بين أداء المجموعتين •

أما التصميم التجريبي الآخر فيتضمن المقارنة بين أداء نفس المجموعة من الأفراد المدخنين؛ مرة في ظل جلسة تجريبية يُسمح لهم فيها بتدخين سيجارة قبل تطبيق الإختبار ، والمرة الأخرى في جلسة ضابطة لا يُسمح لهم بالتدخين فيها . وهكذا لا تجد في كل من التصميمين مجموعة ضابطة من غير المدخنين أصلاً •

وجدير بالذكر أن المفحوصين في جميع هذه الدراسات طُلب منهم الإمتناع عن التدخين لعدد من الساعات (حوالي ١٢ ساعة) قبل إجراء التجربة. ولذا فإن بعض ما توصلت إليه هذه الدراسات من نتائج إيجابية للتدخين يمكن رده إلى الأثر السلبى لإنسحاب النيكوتين بالنسبة المجموعة الضابطة من المدخنين، مما ترتب عليه تدهور ادائها بالمقارنة بالمجموعة التجريبية التى سمح لها بالتدخين.

شانيا: تبين من بعض هذه الدراسات التى سُمح فيها للمجموعة التجريبية بتدخين ثلاث سجائر، أن التأثير الإيجابى للتدخين قد اقتصر فقط على السيجارة الأولى، أما السيجارتان الأخريان اللتان تم تدخينهما بعد ذلك فلم ينتج عنهما مثل هذا التأثير الإيجابي. ومعنى ذلك أن هذا التأثير مؤقت جداً، ولا يتعدى السيجارة الأولى في اليوم عندما يكرن مستوى النيكرتين في الدم منخفضاً لغاية نتيجة للإمتناع عن التدخين حوالى ١٢ ساعة، كما حدث في سياق هذه الدراسات السياق هذه الدراسات المناسلة الم

وبثير هذا بدوره تساوًلاً حول طبيعة النتائج التى كان من الممكن الحصول عليها إذا ما تم قياس الأداء بعد تدخين عدد من السجائر مع عدم الإمتناع عن التدخين لمدة طويلة قبل إجراء التجربة. فمن المحتمل أن تختلف النتائج في هذه الحالة: خاصة وأن هناك ما يشير إلى أن مستوى الاستثارة (أو ما يسمى بمستوى التنبه العصبي) يتأثر بعدد السجائر المدخنة. فبينما تؤدى الجرعات الصغيرة من النيكوتين إلى التنبيه ورفع مستوى الاستثارة، تؤدى الجرعات الأكبر إلى التخميد وخفض مستوى الاستثارة،

ويمثل هذان التحفظان وغيرهما مما عرضنا له فى دراستنا أهم أسباب عدم الإمتداد بنتائج الدراسات التجريبية عن التأثير المباشر للتدخين، وتعميمها فى مجال التدخين طويل المدى •

هذا عن الدراسات التجريبية. فإذا ما انتقلنا إلى الدراسات الارتباطية التى عنيت بقياس كفاءة الوظائف النفسية لدى المدخنين وغير المدخنين أصلاً، وجدنا رغم ندرتها، وما يؤخذ عليها من عدم تحديدها لسنوات التدخين، وعدم مراعاتها لبعض متغيرات الشخصية الهامة عند محاولة تقييم العلاقة بين تدخين السجائر وكفاءة الوظائف النفسية، خاصة متغيرات الأبعاد الاساسية للشخصية (الانبساط، والعصابية، والذهانية،) وجدنا، رغم ذلك، ان نتائجها تشير بوجه عام إلى نقص كفاءة بعض الوظائف الهامة مثل: الانتباه، والتعلم، والذاكرة المباشرة وقريبة المدى على السواء، لدى المدخنين بالمقارنة بغير المدخنين \*

وقد أدى بنا ما سبق إلى صياغة الفرض العام للدراسة الراهنة على النحو التالى : يصاحب تدخين السجائر طويل المدى نقص فى كفاءة بعض الوظائف النفسية .

ومما يزيد من تدعيم هذا الفرض ما كشفت عنه بعض الدراسات من أن لمادة النيكوتين آثاراً تراكمية ، حيث أدى حقن الفئران بجرعات يومية من هذه المادة لمدة شهور إلى إنخفاض دال في أدائها على إختبار تعلم المتاهة.

كما قد يعزز فرضنا الدراسة المصرية لتعاطى الحشيش طويل المدى التي كشفت عن وجود إرتباط سلبي بينه وبين كفاءة عدد من الوظائف المعرفية والنفسية الحركية. والواقع أن نتائج هذه الدراسة كانت من بين الأسباب الرئيسية التي دفعتنا إلى إجراء الدراسة الراهنة. فرغم الإختلاف الفارماكولوجي بين مكونات المائتين (القنب والطباق) فهناك أوجه شبه: فكلاهما من المواد المؤثرة في الجهاز العصبي المركزي، وكلاهما ينتج عنه نوع من أنواع الاعتماد \*

ونحن على بينة من أن الجزم بوجود علاقة سببية بين التدخين وتدهور الوظائف النفسية لا يمكن أن يتحقق إلا بإجراء دراسة طولية ، يتم فيها قياس هذه الوظائف لدى الأفراد قبل شروعهم في سلوك التدخين ، ثم إعادة قياس هذه الوظائف مرة أو مرات أخرى بعد مرور عدد من السنوات على رسوخ عادة التدخين •

ولكن يمكننا على أية حال ، من خلال الدراسات الارتباطية ، وخاصة إذا أخذت في اعتبارها المتغيرات السابق الإشارة إليها ، يمكننا أن نحصل على عدد من المؤشرات في هذا الاتجاه . وتعد الدراسة الحالية خطوة في هذا الطريق؛ حيث تبلورت أهدافها الرئيسية في الإجابة على الاسئلة التالية:

أولا: هل هناك فروق دالة بين المدخنين وغير المدخنين في الأداء على بعض الاختبارات المعرفية والنفسية الحركية، في اتجاه تفوق غير المدخنين؟

ثانياً: هل تقوم الأبعاد الأساسية للشخصية (الانبساط، والعصابية،

والذهانية ) بدور فى تشكيل العلاقة بين تدخين السجائر طويل المدى وكفاءة الآداء على هذه الاختبارات؟ بمعنى آخر، هل الفروق بين المدخنين وغير المدخنين ترجع فى جزء منها إلى إختلاف المجموعتين اصلاً فى هذه الأبعاد، أو إلى وجود تفاعل بين هذه الأبعاد وبين تدخين السجائر طويل المدى؟

ثالثا: هل تنخفض كفاءة الأداء على هذه الإختبارات لدى المدخنين كلما زاد عدد السجائر المدخنة يومياً، وعدد سنوات التدخين؟

ويمكن تلخيص الإجراءات المنهجية التي اتبعت فيما يلي:

#### أولا عينة الدراسة:

تكرنت عينة الدراسة من مجموعتين من الأفراد؛ إحداهما من المدخنين المنتظمين في التدخين، وعددها ٧٥ مدخناً، يتراوح عدد السجائر التي يدخنونها يومياً بين ١٠و ١٠ سيجارة (بمتوسط قدره ٢٢/٧٠ ± ٢٢/١١). كما تراوحت مدة تدخينهم للسجائر بين ٣ و ٣٣ سنة (بمتوسط قدره ٢١/١١). والمجموعة الأخرى مجموعة ضابطة من غير المدخنين أصلاً مماثلة من حيث العدد ٠

وكانت المجموعتان متكافئتين في المتغيرات التالية: الجنس ، والسن ، ومستوى التعليم ، ومستوى المهن ، ومتوسط الدخل الشهرى ، ومحل الاقامة على إساس متصل الريف - الحضر ، وعدم تعاطى الكحوليات أو أي نوع من المخدرات سواء الطبيعية أو المخلقة ، بشكل منتظم .

ثانيا: أدوات الدراسة:

طبق على أفراد المجموعتين ، في جلسات فردية استغرقت كل منها ما بين ساعة ونصف إلى ساعتين ، ما يلي :

ا – استبار مقنن لاستيفاء البيانات الشخصية الضرورية للدراسة مثل: العمر، ومستوى التعليم، والمهنة، وإجمالي الدخل الشهري، ومحل الاقامة، وما إذا كان المفحوص يتعاطى بانتظام اي نوع من الكخوليات أو المخدرات أو الأدوية (المهدئة، والمنشطة). وفي حالة التأكد من عدم الانتظام يسأل عما إذا كان يتعاطى هذه المواد أحياناً في بعض المناسبات •

كما تضمن الاستبار اسئلة عن التدخين، وعدد السجائر العدخنة يومياً، وعدد سنوات التدخين \*

ب- إستخبار أيزنك للشخصية لقياس الأبعاد الأساسية للشخصية:
 الانبساط والعصابية والذهائية، بالإضافة الى مقياس الكذب •

ج. - مجوعة من الإختبارات الموضوعية لقياس الوظائف التالية:

- سرعة الأداء النفسى الحركى: من خلال إختبار السرعة من بطارية الاستعدادت العامة ، وإختبار شطب الحروف ، وإختبار توصيل الدوائر (الجزء ا) •
- بقة الإدراك: من خلال إختبارى الاشكال المتضمنة، وبنتون للاحتفاظ
   البصرى (جزء النقل) \*
- الذاكرة المباشرة: من خلال إختبارى تذكر الكلمات وبنتون للاحتفاظ البصرى (جزء الاستدعاء) •
- الانتباه: من خلال إختبارى التيقظ السمعى، والتجميع السمعى المتثالى للأرقام
  - بقة تقدير المسافة: من خلال إختبار تقدير الأطوال •

وقد تم التحقق من الشروط السيكومترية لهذه الأدوات من حيث الثبات والصدق. كما راعينا توحيد الترتيب الذي قدمت به في كل جلسة من جلسات التطبيق الفردي، وقد تم السماح للمدخنين بحرية التدخين متى شاؤوا إلا في حالة الأداء على إختبارات سرعة الأداء النفسى الحركي •

#### ثالثا: خطة التحليل الإحصائي:

اخضعت بيانات الدراسة إلى عدد من المعالجات الإحصائية للإجابة على الاسئلة السابق ذكرها كأهداف رئيسية للبحث، وذلك على النحو التالى:

ا - استخدم أسلوب و تحليل التباين ذي التصنيف في اتجاهين و ثلاث مرات على نحو مستقل، وذلك للتحقق من الفروق بين المدخنين وغير المدخنين من حيث مدى كفاءة الأداء على الاختبارات المختلفة ، ومدى ارتباط هذه الكفاءة بالابعاد الاساسية للشخصية لدى المجموعتين ، وما إذا كان هناك تفاعل بين

كل من هذه الابعاد على حدة وبين متغير التدخين طويل المدى وقام التحليل في كل مرة على اساس تصميم عاملى (٢ + ٢) قوامه أربع مجموعات فرعية ، ويضم متغيرين مستقلين: أولهما متغير التدخين طويل المدى ، وثانيهما أحد الإبعاد الثلاثة للشخصية (الانبساط، أو العصابية، أو الذهانية) أما المتغيرات التابعة فكانت درجات الأداء على الإختبارات المختلفة ٠

وبالاضافة إلى ما سبق، ولمزيد من الضبط الإحصائي، اعدنا إجراء نفس التحليل في كل مرة من المرات الثلاث لتحليل التباين ذي التصنيف في اتجاهين بعد عزل تأثير بعدى الشخصية الآخرين، وذلك باستخدامهما كمصدرين للتباين المشترك (أو ما يمسى بالتغاير covariates)

ا – استخدم ایضاً اسلوب «تحلیل التباین دی التصنیف فی اتجاهین» داخل مجموعة المدخنین فقط، وذلك علی اساس تصمیم عاملی (۲ × ۲) قوامه اربع مجموعات فرعیة، ویشمل متغیرین مستقلین: اولهما متغیر كثافة التدخین، ای عدد السجائر المدخنة یومیاً، حیث قسمت مجموعة المدخنین ایی من یدخنون ۵ سیجارة او اقل یومیا فی مقابل من یدخنون اكثر من ۵ سیجارة یومیا. اما المتغیر المستقل الثانی فهو طول مدة التدخین، ای عدد سنوات التدخین؛ وهنا قسمت المجموعة إلی من یدخنون لمدة عشر سنوات او اقل فی مقابل من یدخنون لمدة عشر سنوات و اقل فی مقابل من یدخنون لمدة اكثر من عشر سنوات و سنوات و اقل فی مقابل من یدخنون لمدة اكثر من عشر سنوات و المدخدین المدخدین المدة اكثر من عشر سنوات و المدخدین المدخدین المدة اكثر من عشر سنوات و المدخدین المدخد

# رابعاً : النتائج :

اسفرت التحليلات الاحصائية السابقة عن مجموعة من النتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

ا – ادى متغير التدخين طويل المدى فى كل مرة من المرات الثلاث لتحليل التباين ذى التصنيف فى اتجاهين، إلى التمييز بدلالة واضحة بين المدخنين وغير المدخنين فى الأداء على الاختبارات التالية: توصيل الدوائر، والأشكال المتضمنة، وبنتون للاحتفاظ البصرى (جزء الاستدعاء)، والتيقظ السمعى. وكانت الفروق دائماً لصالح غير المدخنين، بمعنى انهم كانوا اكثر كفاءة من حيث سرعة الأداء النفسى الحركى، وبقة الادراك، والذاكرة المباشرة، والانتباه ٠

ولم يحدث أي إختلاف جوهري في هذه النتائج عندما أعدنا التحليل في كل مرة بعد عزل تأثير بُعدى الشخصية الآخرين كلجراء لتحليل التباين المشترك •

ب – لم يؤد بُعد الانبساط عند استخدامه كمتغير مستقل في تحليل التباين ذي التصنيف في اتجاهين، إلى التمييز بين المجموعات إلا في حالة إختبارين فقط: أولهما إختبار توصيل الدوائر حيث كان الفرق لصالح مرتفعي الانبساط. غير أن هذا الفرق كان أقل بكثير من الفرق الراجع إلى متغير التبخنين. بل والأهم من ذلك أنه إختفي تماماً عندما أعدنا التحليل مرة أخرى بعد عزل تأثير بعدى العصابية والذهائية، على حين ظل تأثير متغير التخين على حاله \*

اما الاختبار الثاني فهو اختبار السرعة، حيث ظهر قرق دال لصالح مرتفعى الانبساط ابضاً. وقد ظل هذا الفرق على حاله حتى بعد إعادة التحليل مع عزل تأثير بُعدى العصابية والذهانية. غير أن هذا الفرق لا يعنينا كثيراً في الدراسة الراهنة لأن ما يهمنا اساساً، كما سبق أن أوضحنا، هو تأثير كل بُعد من أبعاد الشخصية في علاقته بالفروق بين المدخنين وغير المدخنين. وبما اننا لم نجد أي فرق دال بين هاتين المجموعتين في الاداء على هذا التأثير لمتغير الانبساط.

جـ - لم يؤد بُعد العصابية عند استخدامه كمتغير مستقل في تحليل التباين ذي التصنيف في أتجاهين، الى التمييز بين المجموعات في أي من الاختبارات، سواء قبل عزل بُعدى الشخصية الآخرين أو بعد عزل تأثيرهما •

د - لم يؤد أيضاً بُعه النهائية عند استخدامه كمتغير مستقل في تحليل التباين ذي التصنيف في لتجاهين، إلى التمييز بين الجموعات في أي من الاختبارات، سواء قبل عزل بُعدى الشخصية الآخرين أو بعد عزل تأثيرهما •

هـ – لم تكشف التدايلات السابقة عن أي تفاعل دال بين متغير التدخين وأبعاد الشخصية الثلاثة، كل على حدة، إلا في حالة إختبارين فقط: أولهما إختبار التجميع السمعى المتتالى للارقام، حيث كان التفاعل الدال بين متغير التخين وبعد الانبساط؛ فتفرق غير المدخنين على المدخنين بدرجة دالة في حالة إنخفاض الإنبساط فقط، أما حالة إرتفاع الإنبساط فلم يظهر فرق دال بين المجموعتين \*

أما الاختبار الثانى فهو إختبار بنترن بلاحساظ البصرى (جزء النقل) حيث كان التفاعل الدال فى هذه الحالة بين متغير التدخين وبعد الذهانية، وإن كانت طبيعة هذا التفاعل من نوع آخر لأنه يرجع اساساً إلى إختلاف إتجاه الفروق (وليس حجمها) بين المدخنين وغير المدخنين تبعاً لموقعهما على بعد الذهانية فبينما مالت مجموعة غير المدخنين إلى التفوق على مجموعة المدخنين فى حالة إرتفاع الذهانية، حدث العكس ومال المدخنون إلى التفوق على غير المدخنين فى حالة إنخفاض الذهانية. وإن كانت الفروق فى الحالتين غير دالة احصائماً.

وقد ظل هذان النوعان من التفاعل (سواء في إختبار التجميع السمعي المتنالى للارقام أو في إختبار بنتون جزء النقل) على حالهما حتى بعد إجراء تحليل التباين المشترك •

وباستثناء ما سبق، لم يظهر في الأداء على الاختبارات الاخرى أي تفاعل دال بين متغير التدخين وكل بعد من أبعاد الشخصية •

و – لم يكشف تحليل التباين ذو التصنيف في اتجاهين داخل مجموعة المدخنين عن أي فروق دالة في الأداء على الاختبارات المختلفة، سواء عند المقارنة على أساس متغير كثافة التدخين، أو المقارنة على أساس متغير طول مدة التدخين، أو التفاعل بينهما •

وقد تمت مناقشة جميع هذه النتائج في ضوء إجابتها على اسئلة البحث من ناحية ، وفي ضوء ارتباطها بالدراسات السابقة من ناحية أخرى . وأما ما تثيره من تفسيرات وتساؤلات مختلفة فقد تيسر لنا أن نجيب على بعضها عبر عدد من المعالجات الإحصائية الإضافية ، وما يزال البعض الآخر ينتظر الإحابة ٠

ويبقى أن نعرض بايجاز لأهم النتائج التى استخلصناها مع مراعاة عدم تعميمها بطبيعة الحال إلا في حدود عينات لها نفس مواصفات عينة الدراسة الحالية وخصائصها، وأهم هذه النتائج ما يلى:

أولاً: هناك ارتباط سلبى بين تدخين السجائر طويل المدى وكفاءة بعض الوظائف النفسية الهامة مثل: سرعة الأداء النفسي الحركي، ودقة الإدراك.

والذاكرة المباشرة، والانتباه •

ثانيا: يقوم هذا الارتباط السلبى بغض النظر عن سمات شخصية المدخنين، أى موقعهم على كل بُعد من أبعاد الشخصية الاساسية (الانبساط، والعصابية، والذهانية).

ثالثاً: يوجد هذا الارتباط السلبى بغض النظر أيضاً عن عدد السجائر المدخنة يومياً، وعدد سنوات التدخين •

رابعاً: يزداد هذا الارتباط السلبي وضوحاً مع إرتفاع مستوى التعليم •

# انهاط التفاعل بين النظم التقليدية والمدينة (\*) دراسة لبعض النظم الاجتماعية في المجتمع اليمني

رشاد محمد العليمي(\* \*)

# أولاً: موضوع البحث واهميته:

يكتسب الحديث عن قضية التحديث والتقليد في الدول النامية أهمية خاصة، لاعتبارات عديدة، لعل اهمها المشكلات البنائية والتاريخية التي تعانى منها هذه الدول، وما ترتب على الأخذ بأسلوب التنمية والتحديث من تداخل بين أشكال وتكرينات إجتماعية تقليدية مرتبطة بتاريخ وتراث تلك المجتمعات، وأخرى حديثة مرتبطة بنمط الانتاج الراسمالي والحضارة الغربية الحديثة.

ويتخذ كل مجتمع شكلاً خاصاً به كمحصلة للتفاعل بين الجوانب التقليدية وبين التأثيرات الحديثة الوافدة في المجالات المختلفة، في الفكر والاتجاهات والقيم، وفي الابنية والمؤسسات، ونماذج السلوك السائدة.

ودراسة أنماط العلاقة بين النظم التقليدية والنظم الحديثة فى المجتمعات العربية، وكذلك العلاقات التاريخية والمعاصرة التى ربطت البلدان المتقدمة والبلدان النامية، تجعلنا لكثر فهما للتطورات التى شهدتها البناءات الاجتماعية والاقتصادية لدول العالم الثالث، من خلال انماط الاختلاط والتداخل التى ميزت هذه المجتمعات خلال مراحل التطور فى العصر الحديث.

وظاهرة التحديث في كثير من المجتمعات العربية تبدو في أكثر الأحيان غريبة عن البناء الاجتماعي لهذه المجتمعات. فعندما تبدأ عملية التغيير، تثور كثير من الاسئلة حول مغزى هذه التغيرات الكلية أو الجزئية، وهل هي قائمة على تفضيل هذه المجتمعات للانماط الجديدة أم أنها فرضت فرضا.

 <sup>(★)</sup> رسالة دكتوراة، قسم علم الاجتماع، كلية الأداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٨
 (★ ★) جامعة صنعاء، الجمهورية العربية اليمنية

وقد كان على علماء الاجتماع ان يقدموا تفسيرات وحلولا لتلك المشكلات التى واجهتها المجتمعات التقليدية، وتحديد السياسات التي ينبغى الأخذ بها. هل بالفاء النظم التقليدية وإحلال النظم الغربية الحديثة بدلاً عنها؟ أم بانتفاء ما يتناسب ويتفق مع المتغيرات والقيم السائدة؟

وظاهرة التحديث في المجتمع اليمنى بدأت بعد الحرب العالمية الثانية. ودخلت اليمن خلال هذه الفترة في علاقات مع مراكز الحضارة الغربية، وتعاظمت هذه العلاقات بقيام ثورة ١٩٦٢، التي كان من بين أهدافها تحديث المجتمع. وقد سار هذا التحديث في إتجاه زيادة الارتباط بالعالم الخارجي، مما ادى الى تغلغل أشكال اجتماعية وثقافية جديدة، ترتب عليها ما يلى:

١ - إندماج المجتمع اليمنى بالنظام العالمى، وما ترتب على هذا الاندماج من تحولات اقتصادية واجتماعية، أدت الى تغلغل اشكال ثقافية واجتماعية حديثة فى مجالات متعددة: كالتعليم، وأنساق الضبط الاجتماعى، وأنماط الاختراف.

٢ - تراجع الصورة التقايدية للمجتمع، وظهور أشكال ونماذج حديثة.
 فتداخلت النظم والانماط التقليدية بتك الوافدة، وبدأ الصراع بين دُعاة التقليد والتحديث في جوانب الحياة المختلفة.

٣ - فقدت الكثير من النظم والقيم التقليدية فاعليتها وتأثيرها، كما عجز الكثير منها عن إستيعاب حركة المجتمع المتغيرة، في الوقت الذي إفتقدت النظم الحديثة في اكثر الأحيان التجانس الاجتماعي مع الظروف والأوضاع المحلية.

٤ - إن مشكلة تحديث النظم الاجتماعية في المجتمع اليمني تكمن في المرزوث التأريخي، فلكل نظام جنوره التقليدية. فإلى أي مدى يمكن تحديث تلك النظم وتجاوز ثنائية التقليد والتحديث؟.

٥ - أن دراسة عملية التحديث لبعض لنظم الإجتماعية في المجتمع اليمنى سوف تقدم لنا صورة لنمط التفاعل بين القديم والحديث، خاصة و إن التحديث في المجتمع اليمني لم يفرض من قرى خارجية ،بل كان إختيارياً في الغالب، بالرغم من خضوعه لقاعدة التوازن بين العناصر التقليدية والتحديث.

ولبحث هذه القضايا فقد تعت دراسة النظام القانوني في المجتمع اليمني بأنساقه الفرعية المتمثلة في :

- ١ التشريع.
- ٢ النظم القضائية .
- ٣ المؤسسات التعليمية القانونية.
  - ٤ النظم العقامية .
- ٥ الانماط الانحرافية للسلوك الاجتماعي.

# ثانياً: اهداف الدراسة:

تحدد الهدف الرئيسى لهذا البحث في محاولة الكشف عن طبيعة العلاقة بين الأشكال والنظم الاجتماعية والثقافية التقليدية والحديثة، من خلال الاجابة على مجموعة من التساؤلات الفرعية.

### ثالثاً: مجالات الدراسة

- ١ المجال المكانى: الجمهورية العربية اليمنية.
- ٢ المجال الزمني من عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٨٥.

مع ملاحظة عدم تجاهل الفترة التاريخية السابقة، خاصة تتبع ما يفيد البحث.

# رابعاً: منهج البحث

- الكتب والوثائق والتشريعات والنشرات، والاحصائيات المختلفة المتعلقة بموضوع الدراسة.
  - ٢ الاخباريون والمقابلات.
- ٣ دارسة الحالة: وقد تم دراسة عشر حالات، خمس منها من رجال القضاء التقليدى، وخمس حالات أخرى من رجال القضاء الحديث. وتم إختيارها طبقاً لمعايير منهجية محددة.

#### خامساً: تقسيم الرسالة

تم تقسيم الرسالة الى ثلاثة أبواب، ومقدمة وخاتمة.

الباب الاولى إشتمل على ثلاثة فصول. الفصل الأول خصص للحديث عن

قضية التحديث والتقليد، مع مناقشة قضية التبعية. وخصص القصل الثانى لماقشة مفهوم الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي. وفي الفصل الثالث تم. إستعراض تحديث النظم القانونية العربية.

وإشتمل الباب الثانى على ثلاثة فصول، الأول خصص للحديث عن التقليدية والحداثة فى وسائل الضبط الإجتماعى فى المجتمع اليمنى، أما الفصل الثانى ففيه تم تتبع التطور التشريعي فى اليمن. وفي الفصل الثالث تم الحديث عن تحديث النظام القانوني اليمنى، وأبعاده، وعوائق هذا القديم، والصراع بين القديم والحديث ونتائجه وخلفياته الإجتماعية والدرية.

اما الباب الثالث فقد اشتمل على ثلاثة فصول ، الأول خصص للحديث عن المؤسسات التعليمية القانونية التقليدية والحديثة . والثانى خصص للحديث عن المؤسسات القضائية والعقابية التقليدية والحديثة . وفي الفصل الثالث تم عرض الأنماط التقليدية للإنحراف وتلك الأنماط التي ظهرت بعد التحديث واسدامها .

ثم خاتمة لأهم الإستخلاصات والنتائج. سادساً: اهم الإستخلاصات والنتائج

ظل المجتمع اليمنى لفترة طويلة من الزمن تمكمه عوامل بنائية وتاريخية داخلية ، واستمرت الكثير من الأنظمة الإجتماعية تعيد إنتاج نفسها في ظل فائض إنتاجي محدود ، وغياب أي تطوير لتلك النظم ، وتحولت الكثير من النظم والمفاهيم إلى قوة مسيطرة على كيان الفرد والمجتمع . غير أن تلك العزلة قد تحطمت بفعل عوامل عديدة خارجية وداخلية ، لعل أبرزها ثورة العزلة قد تحطمت بفعل عوامل عديدة خارجية وداخلية ، لعل أبرزها ثورة العالم ميث ترتب على قيامها بخول اليمن في علاقات واسعة مع العالم الفارجي . وتوسعت هذه العلاقات بتدفق النقط في دول الخليج المجاورة والهجرة إليها ، كما أن خطط التنمية الإقتصادية والإجتماعية قد حدت من أثار العزلة الداخلية .

غير أن هذا التطور قد أفسد الكثير من القيم ، كما أن الكثير من النظم امبيعت غير قادرة على إحتواء هذا التطور الشامل ، الأمر الذي شكل دعوة إلى وضع البدائل المناسبة لتلك النظم والمفاهيم ، وتطوير ما يمكن تطويره لمواجهة حركة المجتمع المتغيرة .

إتضح من هذه الدراسة أن النظم الإجتماعية الحديثة ، التى إفتقدت الخلفية التقليدية ، بدت وكأنها قد تجاوزت ثنائية التقليد والتحديث ، وأصبحت اكثر قدرة على إستيعاب الواقع الثقافي والإجتماعي، وتتمتع بقدر من حسن الأداء يفوق في التكوين .

لقد تبين أيضاً أن تحديث النظام القانونى اليمنى قد أكد إخفاق عملية الترفيق التراث التراث الترائل التراث الترفيق الترفيق التراث الترفيق التراث الترفيق التراث الترفيق التراث التراث

وقد شكل ذلك إخفاقاً لعملية تحديث النظم، لان ماتم عمله ليس توفيقا بين إتجاهات عامة تخدم المجتمع وترعى مصالحه، وانما هو توفيق بين أفراد ومصالح وقتية . وقد ترتب على ذلك وجود مؤسسات تقليدية غير قادرة على تطوير نفسها وتكوين كوادر لهذا التطوير ، كما أن الصراع بين دعاة التقليد والتحديث قد اعاق إنشاء وتطوير مؤسسات حديثة .

أوضحت الدراسة أن عملية بناء وتحديث النظم الإجتماعية في المجتمع اليمنى قد ارتبطت بمواقف متطرفة بعضها يرفض قيمة ما أو نظاماً معيناً، كون هذه القيمة أو هذا النظام مصدره الحضارة الغربية الحديثة. ويرفض البعض الآخر قيماً ونظماً كونها موروثة من التراث. في حين أن قضية الإختيار لابد أن تستجيب لمتطلبات الواقع، ومعطيات التاريخ، فالواقع المتغير في حاجة الى نظم متطورة لمواكبته، كما أن التاريخ اليمنى يمدنا بخبرة واسعة عن تلك الجوانب السلبية لكثير من القيم والنظم الموروثة خاصة ما يتعلق منها بتحقيق العدالة والحرية، والمساواة.

- وفيما يتعلق بمؤسسات النظام القانوني (موضوع الدراسة)، فإن تطويرها قد تم شكلاً، فقط، ففي الوقت الذي إستحدثت جوانب معينة في تلك المؤسسات، إلا أنه تم إستبعاد الانسان، وهو العنصر الاساسي في عملية التحديث. - تتسم المرحلة الإنتقالية التى يمر بها المجتمع اليمنى بالتداخل والازدواجية بين القديم والحديث. وقد صاحب هذه المرحلة حالة من الخلخلة الفكرية والتنازع القيمى، وانعكس ذلك على سلوك الأفراد وعلاقاتهم الإجتماعية، الأمر الذى أدى إلى ظهور أنماط إنحرافية حديثة، كما زادت نسبة بعض الأنماط التقليدية في ظل تصدع للقيم التقليدية الفاعلة في عملية الضبط الإجتماعي، وعدم قدرة أجهزة الضبط الحديثة التكوين على تطوير أدائها لمواجهة تلك المشكلات.

إتضح من الدراسة أن القضاء اليمنى يعيشى ازمة حقيقية، وهذه الأزمة لها العاد ثلاثة:

 ١ -- بعد تاريخى: ويتمثل فى جوانب الفساد المختلفة التى إتسم بها هذا الجهاز تاريخيا.

٧ - بعد ثقافى واجتماعى:ويتمثل فى مقاومة رجال القضاء التقليدى تحديث هذا النظام وتطويره، بحجة أن هذا التحديث يشكل غزواً ثقافياً غربياً بالاضافة الى زيادة الخصومات القانونية حول الأراضى الزراعية نتيجة الهجرة وزيادة السيولة النقدية.

٣- بعد تنظيمى (مؤسسى): ويتمثل فى تخلف هذا الجهاز عن التطور العام الذى شمل جوانب الحياة المختلفة، مما أدى إلى وجود نوع من الإغتراف بين المجتمع وجهاز القضاء. لذلك فإن المخرج لهذه الأزمة يكمن فى تحديث هذا النظام ولابد أن يبدأ بالإدارة القضائية (الإنسان).

## يعض جوانب السلوك اللغوى (\*) ليستى مسترضى الغصسام

جمعة سيد يوسف(\* \*)

موضوع هذه الدراسة هو قحص جوانب السلوك اللغوى لدى عينة من مرضى الفصام، ومقارنتهم بمجموعة ضابطة من الأسوياء. ورغم اهمية اللغة باعتبارها الوسيلة المباشرة التى تسمح للناس بمعرفة بعضهم البعض من خلال عمليات التضاطب وتنظيم السلوك والتضطيط وحل المشكلات، فإنها من اكثر الموضوعات ثراءً وتعقيداً •

وتعنى الدراسة بمعالجة جانبين اساسيين، هما إنتاج اللغة وفهمها. ونعنى بالأول القدرة على التعبير أو تقديم منتج لغوى يتفق والقواعد العامة لإنتاج اللغة . بمعنى آخر إنتاج اللغة منطوقة أو مكتوبة سواء كانت تلقائية أو كاستجابة لأسئلة أو تعليمات . أما الثانى فنقصد به القدرة على فهم المعانى القريبة والبعيدة للرسائل اللغوية في مختلف صورها وليس مجرد تمييز الكمات أو الأصوات التى تؤلفها °

والاهتمام بدراسة اللغة ليس حديثاً كما يبدو للبعض، وإنما يرجع إلى عصور بالغة القدم، حيث مثلت اللغة محوراً لاهتمام بعض الفلاسفة وعلماء الخطابة واللغويين، سواء من حيث بنائها أو وظيفتها \*

برسالة بكتوراة، قسم علم النفس، كلية الاداب، جامعة القاعرة، ١٩٨٧،

<sup>🖈 🖈</sup> مدرس، قسم علم النفس، كلية الاداب، جامعة القاهرة •

وعلى أي حال، فإن اللغة كموضوع للدراسة والبحث يمكن أن تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي البناء (أو القراعد الخاصة باللغة)، والوظيفة (أو الكيفية التي تحقق بها الجكل التواصل الذي وضعت من أجله)، والعملية (وتعنى وصف الأدوات العقلية والمواد والإجراءات التي تستخدم في إنتاج الجمل وفهمها).

وقد قسمنا هذه الدراسة إلى ستة فصول ، نعرض لها على النحو التالى :

الفصل الأول: مدخل إلى مشكلة البحث ومبرراته: ويمثل هذا الفصل تعريفاً بمشكلة البحث، ومدى إهميتها بالنسبة لبقية انواع السلوك الأخرى. وقمنا في هذا الفصل بمحاولة التمييز بين اهتمام علماء النفس وعلماء اللغة بدراسة اللغة. وكيف نشأ ذلك الفرع المسمى «بعلم اللغة النفسي Psycholingiustics أو علم نفس اللغة المعربين المبكرة والحديثة في دراسة اللغة، بعد ذلك على استعراض بعض الإسهامات المبكرة والحديثة في دراسة اللغة، حاصة فهم اللغة وإنتاجها لدى مرضى الفصام. كما تعرضنا من خلال هذا المسح إلى بعض اساليب القياس التي إستخدمت في دراسة فهم وإنتاج اللغة مثل قيرا السياق، وأسلوب التداعي، وتكنيك كلوز (اسلوب الإكمال أو الإغلاق). وقد تبين لنا من خلال هذا المسح أن هناك حقيقة بلتقي حولها الكثير من الباحثين، هي أن الخصاميين يعانون من صور مختلفة لاضطرابات اللغة أو الكلام، ليس هذا فحسب بل أن اضطراب اللغة يعتبر من الخصائص الرئيسية للفصاميين. وبرغم ذلك، فإن التراث الذي امكننا الإطلاع عليه يكشف عن ملاحظتين:

الأولى؛ النقص الشديد في الدراسات التي خصصت لفحص فهم وانتاج اللغة رغم كثرة الدراسات التي تناولت اللغة كموضوع، والثانية؛ وجود قدر كبير من التعارض حول شكل اضطرابات اللغة لدى الفصاميين.

كما تضمن هذا الفصل مناقشة مفصلة لثلاث قضايا تتصل بدراسة اللفة، بهدف اتضاد موقف واضح منها قبل البدء في تنفيذ الدراسة. القضية الأولى تتعلق بالتمييز بين اضطرابات اللغة واضطرابات الكلام، وقد تم ذلك من خلال التمييز بين اللغة والكلام بداية، ثم استعراض اشكال الاضطراب في كل منهما وكيف تم وصفها في الدراسات الطبية والسيكولوجية. وانتهينا إلى ان الدراسة الصالية ستنهض بدراسة فهم وإنتاج اللغة لدى الفصاميين استناداً

إلى عدد من العبررات النظرية والعملية اما القضية الثانية فتختص بتحديد الصورة التى سيتم بها تناول اللغة ، هل هي الصورة المنطوقة (التى نتكلم بها) ام الصورة المكتوبة ؟ بمعنى آخر العامية أم الفصحى ؟ وقد قمنا بفحص الاتجاهات والمقارنات المختلفة لهاتين الصورتين خاصة في المجتمعات التي من الثنائية اللغوية كالمجتمعات العربية ومنها المجتمع المصرى، وخلصنا إلى أننا سنتستخدم في هذه الدراسة اللغة الفصحى في شكلها المكتوب على أن تؤجل دراسة الصورة العامية المنطوقة إلى مراحل تالية، نظراً لما يكتنف دراستها من صعوبات عملية ومنهجية . والقضية الثالثة والأخيرة قارنا فيها بين استخدام مصطلحي ادراك اللغة ، وفهم اللغة . نظراً لما وجدناه بينهما أن بدلاً من إدراكها . نظراً للاختلاف بينهما أن باعتبار أن الفهم يمثل مرحلة أكثر عمومية من الادراك .

واختتمنا هزا القصل بوضع عدد من الدواقع والمبررات التي حدت بنا لدراسة هذا الموضوع، نوجزها فيما يلي:

- ١ أهمية اللغة كوسيلة من وسائل التواصل البشرى؛ باعتبارها المفتاح
   لفهم الكثير عن السلوك الضاص بالأفراد والتفاعل بينهم.
- ٧ ندرة الدراسات التي تناولت فهم اللغة وانتاجها بصفة عامة وفي
   المجال الاكلينيكي بصفة خاصة •
- ٣ ندرة الدراسات السيكولوجية التي لجريت على اللغة العربية في البيئة
   المحلبة •
- ٤ -- ما يمكن أن تسهم به هذه الدراسة في المجال الاكلينيكي لتطوير الخدمة النفسدة \*
- ٥- ما يمكن أن تمثله هذه الدراسة باعتبارها نقطة انطلاق لعدد من الدراسات التي لابد منها لتغطية جوانب السلوك اللغوى في البيئة العربية ٠

الفصل الثانى: الإطار النظرى لدراسة اللغة، وقد حاولنا فى هذا الفصل ارساء إطار نظرى يجمع بين اهتمام علماء اللغة وعلماء النفس بدراسة اللغة. وبدأنا هذا الفصل بإستعراض التقسيمات اللغوية لدراسة اللغة، وتجاوزنا القسم الأول وهو علم الصوتيات نظراً لأننا سنستخدم اللغة المكتربة. ثم توقفنا عند القسم الثانى وهو دراسة المعنى أو علم الدلالة،

وتناولنا فيه بعض تعريفات المعنى وأنواعه والنظريات المختلفة التي اهتمت بالمعنى، كالنظريات العقلية، والنظريات السلوكية، وغيرها. ثم خصصنا الجزء الاخير في هذا القسم لإستعراض بعض اساليب قياس المعنى كتحليل المكونات، وتداعى الكلمات، ومقاييس التعلم، والمقاييس الفسيولوجية والمميز الدلالي وإنتقلنا بعد ذلك إلى القسم الثالث والخاص بالنحو والصرف، أو علم التراكيب، وتحدثنا فيه عن أهمية النحو ودوره في فهم اللغة وإنتاجها ثم عرضنا لأشهر نظرياته وهي نظرية النحو التوليدي – التحويلي لتشوفسكي وبعض مفاهيمها كالتمييز بين البنية السطحية والبنية العميقة ثم التمييز بين الكفاءة والأداء، وكذلك أشكال التمييز بين اللفة والكلام كما أرساها دي سويسر وأقرها من جاء بعده، وإنعكاسات كل ذلك على الدراسات النفسية للفة.

وفي الجزء المتبقى من هذا الفصل ركزنا على مناقشة قضايا أكثر اتصالاً بالدراسات السيكولوجية، ومنها محاولة التعييز بين دراسة اللغة ودراسة التخاطب نظراً لما يحدث بينهما من خلط في كثير من الأحيان، ورغم أن الوظيفة الاساسية للغة هي التواصل أو التخاطب، فإن النشاط التواصلي يتضمن ثلاثة أو اربعة عناصر رئيسية هي:

1- متحث أو مرسل.

ب- مستمع أو مستقبل.

خام إشارى أو لغة مشتركة يتكلمها المرسل والمستقبل ويفهمانها.

د - الواسطة أو القناة التي تنقل الرسائل عبرها.

وعلى هذا فإن اللغة قد تمثل أحد عناصر النشاط التواصلي فقط. ولكن ما ينبغي أن يؤكد عليه أننا عندما ندرس اللغة – في أحيان كثيرة – لا نهمل مصدرها أو الجمهور أو الأفراد الذين تنسب إليهم. وكذلك ناقشنا في ثنايا هذا الفصل دراسة اللغة في إطار النظريات السلوكية كما لدى واطسون وثورندايك، وما تعرضت له من إنتقادات على أيدى مؤيدي المناحى الأخرى، من أمثال تشوفسكي، وردود السلوكيين عليهم، وانتقلنا بعد ذلك إلى تناول علاقة اللغة بالجهاز العصبي، والتصنيفات التشريحية لمراكز الكلام واللغة في المخ،واختمنا هذا الفصل بمناقشة قضية كانت وما تزال مثاراً للجدل

والخلاف بين الباحثين. وهي علاقة اللغة بالتفكير. وقد حاولنا من جانبنا إبراز أوجه الإلتقاء والاسفتراق ووجهات النظر المختلفة بشأن هذه القضية وتبنينا اتجاها توفيقياً وسطاً لحلها •

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى الفصل المثالث ويعنى باستعراض الدراسات السابقة للسلوك اللغوى فى الإطار السوى والمرضى على حد سواء، من منظور نقدى. وركزنا على الدراسات التي تناولت فهم اللغة أو إنتاجها لتقديم جانب من ملامح الإهتمام بهذا الموضوع. وتبين لنا من مسحنا للتراث عدم وجود دراسات تجمع بين فهم اللغة وإنتاجها وبالتالي قمنا بتقسيم مجموعة الدراسات التي عرضنا لها إلى دراسات مباشرة وغير مباشرة حسب مدى إقترابها أو أبتعادها عن أهداف دراستنا. ثم أعدنا تقسيمها مرة أخرى بين دراسات للأسوياء وأخرى لمرضى الفصام. وإنتهينا من عرض هذه الدراسات إلى إبراز أوجه القصور التي عانت منها وهي:

- ١ صفر حجم العينات وإغفال خصائمها في أحيان كثيرة ٠
- ٢ الاعتماد على أداة واحدة والتعميم من نتائجها وعدم الاهتمام بنكر بياناتها السيكومترية •
- ٣ أن البعض درس فهم اللغة بشكل يوحى بأننا بصدد دراسة الإدراك السمعى التقليدي \*
- ٤ إقتصرت بعض الدراسات على عينات متفرقة من الكلام دون النظر
   إلى اللغة الطبيعية أو الحديث المتصل •
- ٥ عدم استخدام عينات ضابطة من الأسوياء والإكتفاء بعينات من مرضى مخالفين للعينة الأصلية •
  - ٦ التركيز على الفهم دون الإنتاج.

الفصل الرابع: وتناولنا فيه مشكلة الدراسة واهدافها ومنهجها والإجراءات التي لتبعت في جمع بياناتها. وقد تحددت مشكلة الدراسة في القياس الموضوعي لفهم وإنتاج اللغة باستخدام بعض الاختبارات الموضوعية، ومحاولة التمييز على اساسها بين مجموعة من مرضى الفصام المزمن والأسوياء. وتمثلت أهدافها فيما يلى:

أولاً: تحديد ما إذا كانت إختبارات فهم اللغة وإنتاجها تستطيع التمييز بدرجة جوهرية بين الأسوياء والفصاميين.

ثانياً :تحديد ما إذا كانت الفروق بين الأسوياء والفصاميين في فهم اللغة وإنتاجها ترتبط بمستوى التعليم •

ثالثاً: تحديد ما إذا كانت الفروق بين الأسوياء والفصاميين في فهم اللغة وانتاجها ترتبط بمتغير العمر •

رابعاً تحديد ما إذا كانت هناك فروق جوهرية بين الفصاميين والأسوياء فى فهم اللغة وإنتاجها نتيجة للتفاعل بين متغيرات التشخيص ومستوى التعليم والعمر معاً أو نتيجة للتفاعل بين كل أثنين منهما على حده °

خامساً تحديد ما إذا كانت هناك علاقات ارتباطية بين اختبارات فهم اللغة وانتاجها وكذلك ارتباطها باختبار المفردات من الوكسلربلفيو كمؤشر أولى للحصيلة اللغوية.

أما بالنسبة لمنهج الدراسة وإجراءاتها فتضمنت ما يلى:

١ – عينة الدراسة: اشتملت عينة الدراسة على مجموعتين ؛ الأولى من مرضى الفصام المزمن المقيمين بدار الاستشفاء للصحة النفسية بالعباسية ، والثانية مجموعة ضابطة من الأسوياء ، قوام كل من المجموعتين مائة مفحوص ، وروعى التكافؤ بينهما في العمر والجنس والذكاء ومستوى التعليم •

ب - ادوات الدراسة: إجريت في البداية تجربة استطلاعية هدفها الأول اختبار كفاءة الاختبارات التي صممت لقياس فهم وإنتاج اللغة وذلك قبل البدء في الدراسة الأساسية. وإنتهينا من هذه التجرية الاستطلاعية إلى بطارية إختبارات تنقسم إلى مجموعتين! الأولى لقياس فهم اللغة، وتضم: الحنف المنتظم، والحكم على الجمل، والتداعي المقيد، والتفسير المجازى. والثانية لقياس إنتاج اللغة وتشمل صباغة الجمل، وترتيب الكلمات، وطلاقة الكلمات، وطلاقة الكمات، وطلاقة الكمات، والمفردات من الوكسلربلفيو، وأختبار توصيل الدوائر الجزء ، ب، وقد تم والمفردات من الوكسلربلفيو، وأختبار توصيل الدوائر الجزء ، ب، وقد تم تحقيق مجموعة الخصائص السيكومترية لها، متمثلة في حساب ثباتها وصدقها بما يتلائم والبيئة المصرية ،

جـ - موقف التطبيق: كان التطبيق يتم فردياً لكل مفحوص في الدراسة ، وتراوحت جلسة التطبيق بين ساعة واربعين دقيقة وساعتين وعشرين دقيقة بدتوسط ساعتين تقريباً . وكان يتم تقديم الإختبارات الفرعية أولاً لإنتقاء المفحوصين ، تليها الإختبارات الأساسية بتقديم إختبار للفهم وآخر للإنتاج بالتبادل . وتقديم الإختبارات بترتيب معين لنصف أفراد العينة وتقدم بترتيب معكوس للنصف الآخر وذلك لتحاشي آثار التعب •

### د - التحليل الإحصائي للبيانات:

للوقوف على الفروق بين المجموعات تم استخدام تحليل التباين القائم على الساس تصميم عاملى ٢×٢×٢ . وحيثما كانت دف ٤ دالة تم حساب قيم ١٠٠٤ للوقوف على دلالات أعمق للفروق بين المجموعات من ناحية ولمعرفة المجموعة التى تسببت في ايجاد مثل هذه الفروق وبهدف معرفة حجم واتجاه العلاقة بين اختبارات فهم وانتاج اللغة وبعضها البعض ثم بينها وبين اختبار المفردات من الوكسلربلقيو ثم حساب معامل الارتباط البسيط ٠

وقد اختص الفصل الخامس بعرض ما اسفرت عنه الدراسة من نتائج. وقد عرضت هذه النتائج في ثلاثة اقسام: الأول خاص بنتائج تحليل التباين لاختبارات فهم اللغة ثم لاختبارات انتاج اللغة. والثاني خاص بنتائج معاملات الارتباط والثالث خاص ببعض المعالجات التي أجريت على اختبار المفردات من الوكسلر بلفيو. وفيما يلي أهم النتائج •

اولاً: المعالجات بين الفصاميين والأسرياء في فهم اللغة وإنتاجها على الساس وف، ثم على الساس قيم ون التبين الآتى:

- ١ كانت هناك فروق جوهرية بين الأسوياء والفصاميين في جميع إختبارات فهم اللغة وانتاجها لصالح مجموعة الأسوياء ٠
- ٢ لم يتأكد الفرض القائل بأن الفصاميين يفهمون لغة نظرائهم من
   الفصاميين بدرجة تفوق فهم الأسوياء لهم •
- ٣- تبين أن مرض الفصام يقوم بالدور الرئيسي في إحداث الفروق
   الجوهرية بين مجموعات الدراسة المختلفة سواء كانوا من مرتفعي
   التعليم أو منخفضيه من كبار السن أو صفار السن.

- ٤ تبين أن لمستوى التعليم دورا في إحداث الفروق بين مجموعات.
   الدراسة، يلى الدور الذي يقوم به المرض وإن كان تأثيره في اختبارات فهم اللغة بفوق تأثيره في إختبارات إنتاج اللغة .
- ه فشل متغير العمر في التمييز بين مجموعات الدراسة منفرداً أو متفاعلاً مع غيره بإستثناء درجة المضمون والدرجة الكلية في اختبار الحكم على الجمل •
- ٦ اقتصرت التفاعلات الدالة على التفاعل بين متغيرى التشخيص
   ومستوى التعليم \*

### ثانيا: بالنسبة للعلاقات بين إختبارات فهم اللغة وإنتاجها تبين مايأتى:

- ١ يوجد ارتباط بيجابى جوهرى بين فهم اللغه وانتاجها فى عينة الفصاميين من حيث وصل اربعة عشر معاملاً إلى مستوى الدلالة من بين ستة عشر معاملاً. بينما العلاقة بينهما اقرب إلى الاستقلال فى عينة الأسوياء حيث وصلت أربعة معاملات فقط إلى مستوى الدلالة •
- ٧ ارتبطت جميع اختبارات فهم اللغة ببعضها البعض ارتباطاً ايجابياً دالاً في عينتي الأسوياء والفصاميين. اما اختبارات إنتاج اللغة فقد ارتبطت ببعضها ارتباطاً ايجابياً دالاً في عينة الفصاميين، ووصل معامل ارتباط واحد فقط إلى مستوى الدلالة في عينة الأسوياء ٠ معامل ارتباط واحد فقط إلى مستوى الدلالة في عينة الأسوياء ٠

### ثالثًا: بالنسبة لإختبارات المفردات من الوكلسربلفيو، تبين:

- ١ أن هذا الإختبار ميرٌ بين مجموعات الدراسة سواء كان محك التمييز
   التشخيصي أو مستوى التعليم أو العمر •
- ٧- ارتبطت الدرجة على هذا الإختبار بمعظم إختبارات فهم اللغة وإنتاجها إرتباطاً إيجابياً دالاً في العينتين وبالتالي فقد إتبعنا ذلك باجراء تحليل للتباين المشترك إستبعدنا به إحصائيا درجة المفردات ثم قارنا بين الأسوياء والفصاميين في متغيرات الدراسة الأساسية وتبين لنا إنخفاض الغروق بينهما لكنها ظلت مرتفعة الدلالة جداً حيث تجاوزت مستوى دلالة قدره ٥٠٠٠٠٠.

وقد اختتمنا هذه الدراسة **بالفصل السادس،** وخصصناه لمناقشة

النتائج والقاء الضوء على ما تحمله من دلالات ومعان، وذلك فى ضوء بعض النظريات ونتائج بعض الدراسات الأخرى فى مجالات سيكولوجية مختلفة. كما حاولنا الربط بين نتائج هذه الدراسة وبعض الدراسات الإكلينيكية التى كشفت عن بعض الاضطرابات لدى بعض الفئات من المرضى الفصاميين كاضطرابات الذاكرة والإدراك والانتباه واستراتيجية تنظيم ومعالجة المعلومات، وآثار التداوى بالعقاقير النفسية والإقامة الطويلة بالمستشفى وغير ذلك. وقد حاولنا رسم إطار نظرى يجمع فى ثناياه شتات النتائج والمعلومات التى توصلنا إليها فى بناء متناغم.

وانتهينا من الدراسة إلى صياغة بعض الأسئلة التي تمثل مشكلات بحثية في حاجة إلى مزيد من الدراسة والتمحيص حتى تزداد الصورة وضوحاً، ويتم سبر أغوار بقية جوانب السلوك اللغوى بالشكل الذي يسمح بالاستفادة منه على المستويين الأكاديمي والتطبيقي •



# التمييز بين فنات من مرضى الصرع فى الأداء على بعض الاختبارات المعرفية وبعض مقايس النخصية(\*)

## سهير فهيم الغباشي(\* \*)

من بين الحقائق الملفتة للانتباه فيما كتب عن الصرع بوجه عام، وما كتب عنه في ميدان علم النفس العصبي بوجه خاص، ثلاث منها كان لها الدور الرئيسي في بعث الدافع لاتجاه الباحثة للعمل بهذا النمط من البحوث.

الحقيقة الأولى تتمثل فى المعدلات المرتفعة التى يسجلها هذا الاضطراب بين أفراد الجمهور العام بالنسبة لسائر الأمراض العقلية والعصبية الأخرى. وهذا يصدق على دول العالم المختلفة النامية منها وغير النامية، فهر يحتل المركز الثانى فى قائمة أضطرابات الجهاز العصبى من حيث الانتشار. وتقدر نسبة انتشاره فى المجتمعات المتقدمة ب ٥ فى المائة، علماً بأنه يبلغ فى الدول النامية أربعة أو خمسة أمثال نسب انتشاره فى الدول الصناعية الكرى.

وثمة حقيقة أخرى مؤداها أن الصرع على اختلاف أنواعه يمكن أن يصيب كل الأعمال، ومع فإن أكثر أنواعه انتشارا، وهو الصرع العام ذو النوبات الكبرى، يكون أميل للحدوث في أكثر مراحل العمر الارتقائية حرجاً. فهو

<sup>(\*)</sup> رسالة دكتوراة، قسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٨

<sup>(\* \*)</sup> مدرس، قسم علم النفس، كليبة الأداب، جامعة القاهرة،

يسجل أعلى معدل للأصابة به فى مرحلتى الطفولة والمراهقة، طبقا للبحوث الوبائية، أى أنه يصيب المراحل الارتقائية التى يزداد فيها نشاط عوامل النضيج والارتقاء.

أما الحقيقة الثالثة فتتيحها النظرة المتأنية لبحوث النشاط المعرفى والوجداني لدى مرضى الصرع. هذه الحقيقة مؤداها: أن مرض الصرع يشكل خطورة حقيقية على المجتمع ليس فقط من الوجهة الطبية ، ولكن من الوجهة السيكولوجية أيضا، وتتمثل مؤشرات هذه الخطورة – إلى جانب نسب إنتشاره المرتفعة بين أفراد المجتمع – فيما أوصت به الأللة المتجمعة عن البحوث السيكولوجية العديدة عن وجود علاقات تربط بين متغيرات هذا المرض وبين انخفاض عدد من القدرات التكيفية اللازمة لتوافق السوى للفرد في الحياة.

وربما كانت هذه الحقيقة الأخيرة وراء الدافع الرئيسي للاهتمام الواسع الذي يعكسه التراث في موضوع المسرع ، لا سيما من حيث علاقته بالمتغيرات السبكولوجية المختلفة. وقد توجه الاهتمام العام في فترة معينة من تاريخ بحوث الصرع نحو دراسة النكاء أو القدرة العقلبة العامة في علاقتها بمرض الصرع. على أنه تبين فيما بعد أن تفسير نسب الذكاء المنعفضة لدى الصرعيين مقارنة بها لدى الأسوياء، أو تفسير معدلات تدهور نكاء الصرعيين لابد وأن يتم بحدر ، بل لابد وأن يتم في ضوء عوامل كثيرة ، من بينها تذبذب التركيز لدى مرضى الصرع، وتغيرات إيقاع المخ الكهربائي، والعقاقير المضادة للصرع، وغيرها من متغيرات المرض العصبية والسيكولوجية. فالصرع يتسم بتعدد المتغيرات التي تسهم في تشكيل أعراضه، ويتشابك العلاقات فيما بينها. فهو من وجهة نظر الطب الحديث بمثل زملة أعراض، وله أسباب متنوعة ، كما أنه يرتبط بمظاهر إكلنبكية ومعملية متنوعة. حيث تتمثل الأعراض الإكلينية في اضطراب الوعي أوالحركة أو الإحساس، بينما تتمثل الصورة المعملية، والتي يكشف عنها رسام المخ الكهربائي E.E.G في اضطراب النشاط الكهربائي لخلايا المخ العصبية وهذا الاضطراب يشار له بالتزامن المفرط في النشاط الكهرمائي للمخ.

ومن الأمور الهامة التي كشفت عنها البحوث في هذا الوقت ايضا، أن الاعتماد على نسب النكاء في تقدير مستوى الأداء التكيفي لدى مرضى الصرع لم يعد كافياً، وأنه ربما يكون منَ الأفضل الاتجاه نحو تكثيف الضوء على الوظائف النوعية التى يمكن أن يُفسر فى ضوئها انخفاض نسبة الذكاء، مثل الانتباه أو التركيز أو الذاكرة أو التعلم، الخ..

من هنا أتى توجه الدراسة الراهنة نحو بحث أكثر المتغيرات المعرفية والمزاجية إثارة لعلامات استفهام في علاقتها بمتغيرات الصرع واقلها حظا في الدخول في بحوث منظمة لكثرة الصعوبات أو المشكلات المنهجية المحيطة بها. وعلى هذا تحددت متغيرات الدراسة المعرفية في كل من الانتباه والذاكرة طويلة المدى والتخطيط. أما المتغيرات المزاجية فقد تمثلت في بعدى الانبساط والعصابية، على النحو الذي أعده أيزنك في بحوث الشخصية. وإلى جانب عنايتنا الرئيسية ببحث علاقة هذه المتغيرات المختلفة بمتغير المرض بوجه عام، كان لنا بعض التوجهات الفرعية لاستكشاف علاقتها أيضا بنعطين من المتغيرات النوعية: واحد منها ينتمي للصرع كمرض، وهي تتمثل في تغيرات رسم المخ، ونمط بدء النوبة الصرعية، وطول فترة المرض، أما النمط الثاني من هذه المتغيرات النوعية فيتمثل في ثلاث من الخصائص الديموجرافية للعينات، وهي: العمر والجنس وسنوات التعليم.

وفى الاجزاء التالية من هذا التلخيص، سوف نعرض – فى إشارة سريعة – لأهم ما تضمنته فصول الرسالة التى خصصت لوصف تفاصيل الدراسة فى كل مراحلها النظرية والعملية، على أن نتبع ذلك بعرض موجو للاجراءات الرئيسية التى مر بها البحث الراهن، ولأبرز ما وقف عليه من نتائج.

تتألف الرسالة من ستة فصول. اختص الفصل الأول منها بالحديث عن مبررات إجراء الدراسة في ضوء ما كشفت عنه بحوث التراث.

أما الفصل الثانى فقد خصص للحديث عن بعض الملامح الرئيسية لمرضى الصدرع في الحدود الملائمة المتخصص التى تخدم فهم خصائص عينة الدراسة المرضية، وفهم التصبيم التجريبي الذي يقوم في جزء منه على خصائص هذه العينة. حيث تكلمنا عن التصنيفات الحديثة للصرع وعن النوبات الصرعية خاصة النوبة الصرعية الكبرى، كما تحدثنا عن رسم المخ من حيث علاقته بالأداء على الاختبارات. كما خصصنا جزءا من هذا الفصل لدراسة الآثار التى تخلفها العقاقير المضادة للصرع على الوظائف المعرفية وسمات الشخصية.

ثم انتقلنا في الفصل الثالث للحديث عن المتغيرات السيكولوجية الاساسية التي تقوم عليها الدراسة الراهنة، وهي متغيرات الانتباه والذاكرة طويلة المدى والتخطيط، والانبساط والعصابية، موضحين الإطار النظرى العام الذي يصاغ من خلاله المفهوم، كما أوضحنا أبعاد التعريف الاجرائي، الذي سيتحدد بمقتضاه كيفية قياس المفهوم، ثم قدمنا إشارة سريعة لأبرز التكوينات العصبية بالمنح إسهاماً في تشكيل الوظيفة، وذلك في حدود لا تتجاوز إستكمال فهم الدور العصبي النفسى الذي يعكسه المفهوم.

أما الفصل الرابع فقد خصصناه لتحديد المنهج الذى تتبعه الدراسة، ولوصف إجراءاتها التي تقوم عليها، حيث حددنا الأهداف والفروض التي تقوم عليها الدراسة، وقدمنا وصفا لخطوات إعداد الاختبارات وإجراءات التحقق من كفاءتها السيكومترية، ثم قمنا بوصف عينات الدراسة، تلاه تحديدا لخطة التحليل الاحصائي للبيانات.

وفى الفصل الخامس قمنا يتقديم عرض مفصل لنتائج الدراسة بعد أن اخضعناها للتحليلات الاحصائية المختلفة.

اما في الفصل السادس والأخير فقد قمنا بمناقشة هذه النتائج في ضوء ما انتهت إليه الدراسات السابقة واختتمنا الرسالة ببيان معالم الأهمية النظرية والتطبيقية التي ينطوى عليها البحث.

وفيما يلى عرض موجز للخطوات الرئيسية التى مرت بها التجربة الراهنة، ولأهم ما وقفت عليه من نتائج:

تتجه هذه الدراسة إلى هدف رئيسي هو الكشف عن ملامح محددة لكل من الجانب المعرفي والجانب الوجداني لدي مرضى صرع النوبات الكبرى مقارنين بالأسوياء. وقد سبق لنا أن حددنا متغيرات كل من الجانبين. هذا الهدف الرئيسي، تبعه طرح مجموعة من الأسئلة الفرعية، جزء منها يبحث في شكل العلاقة بين بعض المتغيرات الديموجرافية هي العمر والجنس وسنوات التعليم من ناحية، وملامح كل من الجانب المعرفي والجانب المزاجي من ناحية أخرى، وهذه الفئة من الاسئلة يتم بحثها في نطاق كل من مجموعتي المرضى والأسوياء. أما الجزء الآخر من هذه الأسئلة فيدور حول شكل العلاقة المرضى والأسوياء. أما الجزء الآخر من هذه الأسئلة فيدور حول شكل العلاقة

بين بعض متغيرات مرض الصرع من ناحية ، وهي تغيرات رسم المخ ونمط بدء النوبة وطول فترة المرض، وكل من ملامح الجانب المعرفي والعزاجي من ناحية أخرى..

ولقياس متغيراتنا السيكولوجية قمنا بإعداد بطارية الاختبارات على النحو الآتي:

ثلاثة اختبارات لقياس الانتباه هي: سعة الأرقام والتقدم في الجمع التسلسلي والسمعي والمعروف باسم Pasat، وشطب الأرقام.

اختبارات لقياس الذاكرة طويلة المدى هما ذاكرة التداعى والذاكرة التعبيرية.

أربعة اختبارات لقياس التخطيط هي: الآثار وترتيب الصور، وتخطيط الطريق، وصنع القرار.

استخبار مختصر لقياس بعدى الانبساط والعصابية في الشخصية وهو صورة مختصرة لعقياس لبطارية إيزنك في الشخصية والمعروفة باسم EPI.

و أخيرا اثنان من الاختبارات المستعدة من قياس وكسلر لذكاء الراشدين وهما المتشابهات ورسوم المكعبات لغرض ضبط متغير الذكاء في العينة.

قمنا بتطبيق هذه البطارية في جلسات فردية، كل منها يستغرق زمنا يتراوح بين الساعة والثلث إلى الساعة والنصف، يتخللها فترة راحة مدتها عشر بقائق.

أما عينة الدراسة فقد تكونت من مجموعتين رئيسيتين: إحداهما للمرضى، والأخرى للأسوياء، قوام كل منها ٣٦ فرداً، ثلاثون منهم نكوراً، وست من الإناث، تراوحت فيهما الأعمار من ١٨ سنة إلى ٣٩ سنة. وقد اتبع أسلوب المزاوجة عند اختيار مجموعة الأسوياء لكى تتكافأ مع مجموعة المرضى فى النواحى الديموجرافية إلى حد كبير.

وقد تم اختيار غالبية المرضى من عيادة الصرع التابعة لقسم الأمراض العصبية بمستشفى قصر العينى، كما تم اختيار جزء آخر من عيادات الأعصاب الخاصة بمستشفيات جامعية أخرى. وكان التشخيص الذى تم

بمقتضاه دخول المرضى فى عينتنا هو: صرح النوبات الكبرى دو السبب غير المعروف. وكان يتم ذلك بواسطة لهد الأطباء المتخصصين، علماً بأن كل المرضى كانوا تحت العلاج بأحد العقاقير المضادة للصرع. كما كانوا ممن أجرى لهم رسم للمخ فى إحدى المعامل المتخصصة.

وقد تم تصنيف بيانات عينة المرضى طبقا لمتغير رسم المخ إلى مجموعات مقارنة ثنائية على النحو التالى:

- ذوى رسم مخ سوى فى مقابل ذوى رسم مخ غير سوى.
- ذوى تغيرات بورية في مقابل ذوى تغيرات تحت قشرية.
- ذرى تغيرات بؤرية فى احد شقى المخ فى مقابل ذوى تغيرات بؤرية
   فى كلا شقى المخ.

هذا وقد تم إجراء هذه المقارنات الثنائية مرة اخرى في ظل ضبط متفير نمط بدء النوبة الصرعية. حيث تم توحيد هذا المتفير لدى مجموعات المقارنة، لتبين شكل الأداء في ظل تغيرات رسم المخ دون تدخل متغير نمط بدء النوبة.

أما في ضوء متغير طول فترة المرض ، فقد وزعنا العينة في مجموعتين : إحداهما تضم من بلغت فترة المرض لديهم خمس سنوات فأقل والأخرى تضم من بلغت فترة المرض لديهم أكثر من خمس سنوات.

مذا فيما يتعلق بالتصنيفات داخل عينة المرضى طبقا لمتغيرات المرض. أما فيما يتعلق بالتصنيفات طبقا لمتغيرات العمر والجنس وسنوات التعليم، فقد خضع لها كل من مجموعتى المرضى والأسوياء، وذلك لتبين شكل العلاقة بين هذه المتغيرات، ومتغيراتنا المعرفية والمزاجية، لا سيما وأن عيناتنا تتسم بمدى عمرى وتعليمى واسع، كما تتسم بعدم تكافؤ الذكور والإناث في العدد.

وجدير بالذكر أن بيانات الدراسة قد خضعت لنوعين من التحليلات الاحصائية: احدهما هو أسلوب الحساب البرامترى،وذلك في حالة العينات الكبرى، والآخر هو الحساب اللابرمترى في حالة العينات الصغرى التي يقل عدد أفرادها عن عشرة. وفي حالة الحساب البرامترى اعتمدنا على أسلوب تحليل التغاير الذي يسمح ببيان دلالة الفروق بين المجموعتين مع الضبط

الاحصائى لمتغيرات السن والتعليم والذكاء. اما في حالة الحساب، اللابرامترى فقد اتبعنا طريقتي مان دوتيني وويلكوكسون.

وقد ادت إجراءات التحليل الاحصائى للبيانات إلى مجموعة من النتائج نجملها في النقاط الآتية:

أولا: ظهرت فروق جوهرية بين المرضى والأسوياء على معظم اختبارات الانتباه والذاكرة طويلة المدى والتخطيط، وذلك فى ظل الضبط الاحصائى لمتفيرى الذكاء وكل من متغيرى العمر وسنوات التعليم.

ثانيا: لم تظهر فروق دالة بين المجموعتين على كل من متغيرى الانبساط والمصابية.

ثالثًا: فيما يتعلق بالعوامل الديموجرافية، ومدى ارتباط الأداء على اختباراتنا بها، فقد تبينا ما يأتى:

- (†) لم يرتبط الأداء على المتغيرات المعرفية والمزاجية بعامل الجنس لدى كل من المرضى والأسوياء.
- (ب) كان ارتباط الأداء على المتغيرات المعرفية (خاصة متغيرات التخطيط) بعامل العمر واضحا في عينة الأسوياء عنه في عينة المرضى.
- (ج) بدا ارتباط الأداء على المتغيرات المعرفية (كل متغيرات التخطيط وبعض متغيرات الانتباه والذاكرة) بعامل التعليم أوضح من ارتباطه بعامل العمر، وذلك في كل من مجموعتي المرضى والأسوياء.
- (د) لم يرتبط الاداء على متغيرى الانبساط والعصابية بكل من العمل والتعليم لدى كل من العينتين.
- رابعا: في نطاق عينة المرضى، جاءت نتائج رسم المخ، ونعط بدء النوبة الصرعية على النحو التالى:
- (1) لم توجد فروق جوهرية بين مجموعتى رسم المخ السوى وغير السوى على كل المتغيرات المعرفية، كما اختفت أيضا فى حالة متغير العصابية، بينما بدا مرضى رسم المخ السوى أكثر انبساطية من مرضى رسم المخ غير السوى على نحو جوهرى.

- (ب) لم نحصل على فروق دالة بين مجموعتى التغيرات البؤرية، والتغيرات تحت القشرية على معظم المتغيرات المعرفية، ومتغيرى الانبساط والعصابية.
- (ج) جاءت نتائج إعادة المقارنة بين المجموعتين السابقتين بعد توحيد
   عامل نمط بدء النوبة بينهما، مشابهة لننتائج قبل هذا الاجراء.
- (د) لم تظهر فروق جوهرية بين مجموعة تغيرات رسم المخ بآحد الشقين،
   ومجموعة تغيرات رسم المخ بكلا الشقين.
- (ه) وأخيرا كشفت المقارنة بين المرضى طبقا لمتغير طول فترة المرض عند ظهور فروق جوهرية محدودة النطاق بين من تبلغ فترة المرض لديهم عنه فقل ومن تزيد فترة المرض لديهم عن خمس سنوات وذلك على اختبارين فقط احدهما خاص بالانتباه وهو سعة الأرقام والآخر خاص بالتخطيط وهو تخطيط الطريق.

هذا وقد تمت مناقشة هذه النتائج في ضوء ما وقفت عليه البحوث السابقة، بحيث أمكن من خلال هذا تبين اتجاه النتائج الراهنة نحو المسايرة أو نحو المغايرة مع البحوث السابقة. كما أمكن طرح التفسيرات المحتملة التي يمكن أن تقوم خلف هذه النتائج مع التفكير في الإطار الذي يمكن أن يقيم خطوط اتصال بين التفسيرات المرجحة.

عرض كتب:

# مِمير القطاع العام في مصر(\*)

تالیف: قۇاد مرسى عرض ئقدى: على فهمى

 ١ - تأتى أهمية هذا العرض النقدى لمؤلف استاذنا فؤاد مرسى تحت عنوان: «مصير القطاع العام في مصر - دراسة في إخضاع والسمالية الدولة لرأس المال المجلى والأجنبي» من أمرين أساسيين:

أولهما - الأهمية المثارة حول الموضوع نفسه، وهو موضوع القطاع العام في مصر، ومستقبله تحديداً •

وثانيهما - بساطة ووضوح الدراسة، وإغلب الظن أن الأستاذ المؤلف - مع اقتداره أو ربما الاقتداره - قد عمد إلى هذا التبسيط لطرح الفكرة على أوسع جمهور ممكن من القراء. ولعل هذا النهج أن يكون سياسة حكيمة في التآليف حول بعض الموضوعات العامة، يجدر أن يتبع دائما. ذلك أننا نرى ضرورة إشاعة المعرفة العلمية حول القضايا العامة الهامة على أوسع نطاق ممكن. فالمعرفة العلمية - وبخاصة في ظروف الانحطاط والتردى - لا يمكن أن يكون مقصودا بها مخاطبة الصفوات فحسب، بل يجب أن تمتد إلى مخاطبة الجماهير التي تمس القضايا الاجتماعية والاقتصادية يومها ومستقبلها في الصميم.

<sup>★</sup> مركز البحوث العربية، القاهرة ١٩٨٧. ١١٥ صفحة، قطع صغير.

- ٧ ومن هنا فنحن نتصدى لعرض هذا الكتاب الهام على نحو نقدى، بدون إخلال بما ارتآه المؤلف من تبسيط متعمد، وذلك كنوع من انواع المشاركة في تعميم الفكر بين جمهور أوسع من المتلقين. ذلك أن الفكر -- في تقديرنا لا يستمد مشروعيته الا من خلال إشاعته وتعميمه في اتجاه أن يصبح حركة عامة واداة للنغيير في مصلحة جماهير الكادحين أنفسهم \*
- ٣ ونعتقد أن الايجاز في الكتاب عمدى في حد ذاته لتوصيل الافكار
   بيسر وبدون حشو وحشد للتفاصيل المعقدة التي قد تعجز القارىء
   غير المتخصص عن المتابعة والاستيعاب والفهم •
- 3 وينقسم الكتاب إلى مقدمة قصيرة وثلاثة فصول وخاتمة ثم أخيرا ثبت وجيز بأهم المراجع. وتتسم المقدمة بوضوح الرؤية والحسم والانحياز الفكرى لصالح الجماهير •
- و وفي الفصل الأول تحت عنوان: وتغيرات كمية متصاعدة لاخصاع القطاع العام؛ استعرض المؤلف عدة احداث جزئية هامة، مثل إطلاق حرية النشاط لراس المال منذ تبنى سياسة «الانفتاح الاقتصادي»، وإطلاق حرية النمو لراس المال. ثم عرّج على مرحلة إلفاء الدور القيادي للقطاع العام، كما تناول مرحلة آخرى الا وهي مرحلة نقل ملكية القطاع العام إلى رأس المال الخاص، ثم إعادة النظر في فلسفة القطاع العام نفسه مستعرضنا المشروعات المختلفة التى قدمت في هذا الصدد منذ عام ١٩٨٨، وأخيرا استعرض المؤلف في إيجاز أوضاع القطاع العام [عند تأليف الكتاب] •
- ٣ وإن العصل الثانى تحت عنوان وتغير كيفى من قاعدة التنمية المستقلة إلى قاعدة لتطوير الراسمالية ، انطلق المؤلف من القانون العلمى المعروف فى الأدبيات الماركسية مستعرضا تطور القطاع العام فى مصر منذ ما قبل التأميم وحتى الانفتاح ، مرورا بعمليات التمصير وما بعدها . ثم تناول بشىء من التفصيل والطرافة معا ما اسماء بالأرضية الانفتاحية للدولة ، وكيف افرزت مناخاً عاماً فى اتجاه النهب المنظم وغير المنظم واستنزاف الفائض الاقتصادى والأساليب المختلفة التى تم بها هذا النهب ، من دفع القطاع العام دفعاً عمدياً المختلفة التى تم بها هذا النهب ، من دفع القطاع العام دفعاً عمدياً

نحق الخسارة بتطويقه بعقبات التسويق ويعقبات الاستبرادي وأبضا يتمويل أرباح القطاع العام إلى تراكم خاص . وعمد المؤلف إلى ايراد وصف تفصيلي لكيفية تحول القطاع العام إلى مصدر مباشر لتكوين راسمال جديد وراسمال طفيلي ببد الأقلية البيروقراطية المنحرفة وبيد الراسمالية المتواطئة وبيد الراسمالية الأجنبية. ثم استعرض المؤلف كيف يتم هذا في الواقع العملي تحت ثلاث صور: الاسراف في الانفاق دون مبرر، والتواطؤ في عمليات التعاقد مع القطاع الخاص المعلى والأجنبي، وأخيرا الارتباط العضوي بين القطاع العام ورأس المال المجلى أو الأجنبي في صورة المشاركة . وأورد المؤلف بعد ذلك - دعما لاطروحاته - الكثير من الجداول والإحصاءات التي تثبت ذلك ، سواء في قطاع الإسكان أو في قطاع التجارة والمال أو في قطاع الصناعة . ثم تناول المؤلف - بالتفصيل - قاعدة تطوير الرأسمالية والقانون العام للتراكم الراسمالي الذي ينطوي على جانبين اساسيين: تمركز راس المال بيد الراسماليين، أي نمو رأس المال، ثم تركز رأس المال بأيدي قلة من الراسماليين، أي نمو رأس المال نتيجة ابتلام الاقوياء للضعفاء من الرأسماليين. ثم استعرض تاريخ تطور هذا القانون في مصر، وكيف أن سياسة الانفتاح الاقتصادي في التطبيق قد أعادت من جديد حرية تطور الرأسمالية ، وكيف أصبح القطاع العام منذ أواسط السبعينات قاعدة لتطوير الرأسمالية بحكم موقعه في الاقتصاد كقطاع لراسمالية الدولة. وأورد المؤلف تفاصيل كثيرة حول كيفية تزويد القطاع العام للراسمالية الطفيلية بمصدر أساسى من مصادر ثروتها ، من خلال عقود التوريد وعقود المقاولة وعقود الشراء والتوزيع. ثم استعرض المؤلف كيف اصبح القطاع العام قاعدة لتطوير الراسمالية البيروقراطية، وهي شكل جديد من أشكال الراسمالية ازدهر في مصر في ظل سياسة الانفتاح الاقتصادي، كما لعبت الهجرة إلى الأقطار العربية النفطية ، بل الهجرة إلى المشروعات الانفتاحية في مصر وفي مقدمتها البنوك، دوراً اساسياً في تفريغ القطاع العام من أهم عناصر قواه البشرية ؛ بل أكثر من ذلك فأن الراسمالية البيروقراطية مستولة - في المقام الأول - عن افشال القطاع العام وتخريبه لصالح كبار الطفيليين. وأورد المؤلف أمثلة عديدة تتعلق بقطاعات هامة ، مثل قطاع صيد الأسماك في أعالى البحار، وقطاع السياحة، وقطاع التشييد والاسكان والتعمير، ولسوف تكون لنا عودة لمناقشة هذه الجزئية فيما بعد، إذ أننا نعتقد أن ارهاصات الرأسمالية البيروقراطية والفساد البيروقراطى فى القطاع العام قد بدأت منذ تأسيسه، بعد حركة التأميمات مباشره نتيجة ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية سنوضحها فيما بعد.

٧ - بعد ذلك استعرض المؤلف دور القطاع العام آنيا كقاعدة لتطوير الرأسمالية الاجنبية، وذلك في تفصيلات دقيقة، وانتقد دعوى مشاركة رأس المال الأجنبي في ذلك، فهذه المشاركة لم تأت لنا بالتكنولوجيا الموعودة، إذ أن ما وصل إلينا منها هو البالي والمتجاوز تقنيا فقط؛ كما رد المؤلف على المدافعين عن مشاركة رأس المال الأجنبي للقطاع العام بدعوى الربح، بأن الدراسات الميدانية قد أوردت أن محصلة صافى ربح القطاع العام المصرى من المشاركة في ٢١ شركة مع شركات عابرة للقوميات لم تتجاوز مبلغ مليون ونصف مليون جنيه عام ١٩٨٤، بينما نصيب القطاع العام في رأس مال تلك الشركات المشتركة وصل إلى ١٩٧٥ مليون جنيه.

٨- ثم يأتى الفصل الثالث والأخير من الكتاب تحت عنوان: قطاع لراسمالية الدولة التابعة، حيث صدر المولف هذا الفصل بعبارة هامة: [ليس هناك أخطر من تحول القطاع العام إلى قاعدة للتبعية الاقتصادية، أي إلى قطاع لراسمالية الدولة التابعة. فهنا يتم التداخل العضوى بين رأس المال العالم ورأس المال العالمي في ظل أوضاع عدم التكافؤ ليس فقط كمقولة نظرية وإنما كحقيقة واقعية، وبذلك يضمن رأس المال الأجنبي، أي الامبريالية العالمية، التمكن مع ما يعكسه ذلك على الاقتصاد في مجموعه وعلى السياسة في جملتها وعلى المجتمع على الاقتصاد في مجموعه وعلى السياسة في جملتها وعلى المجتمع اعتباره «دراسة حالة» لعدد من الشركات والمؤسسات المالية في مصر، على إطار تحولها لرأسمالية الدولة التابعة. فعرض لموضوع تطوير وإعادة الشركة الأهلية للغزل والنسيج، وكيف توصلت إدارة الشركة إلى اتفاق مع البنك الدولي على قرض بعبلغ ٦٩ مليون دولار، تصل فوائده المجمعة إلى ٥٢ مليون دولار، على أن تقدم الحكومة أو أي مستثمر المجمعة إلى ٥٢ مليون دولار، على أن تقدم الحكومة أو أي مستثمر

آخر بقية التمويل المطلوبة وهو ٣٥ مليون دولار شاملة الفوائد، أى أن جملة التكلفة التمويلية التى تتحصل بها الشركة سوف ترتفع إلى ١٥٦ مليون دولار بينما كانت تقديرات الخبراء المصريين في الشركة وخارجها تصل بالتكاليف إلى ٣٠ مليون دولار فقط. ثم عرض المؤلف لنتائج هذا الاتفاق مع البنك الدولى، فأجملها في إنقاص إنتاج الأقمشة الشعبية من ٢٠ مليون متر فقط، وانخفاض الشعبية من ٢٠٠٥ مليون متر سنويا إلى ٨ مليون متر فقط، وانخفاض مباني مصنعين للغزل وعن مبنى الادارة والكومبيوتر، واختيار بيت خبرة أجنبي هو ببيت جيرسيء السويسري باتعاب أولية عن دراسة خبرة أجنبي هو ببيت جيرسيء السويسري باتعاب أولية عن دراسة الخبان الدولي الخبرة هذا عن دراسة النواحي الادارية والمالية والتدريب، بما يصل الجبموع أتعابه إلى ٧ر٤ مليون دولار، وبذلك كان أتفاق البنك الدولي مع هذه الشركة من شأنه في الواقع انتزاع رأس المال الأجنبي لسلطة وضع برامج الاستثمار والتطوير لقطاع بالغ الأهمية في مصر وهو قطاع الغزل والنسيج.

و وتاتى دراسة الحالة الثانية عن «البنك الأهلى المصرى»، واندماجه مع رأس المال الأجنبى. ففي بداية الانفتاح الاقتصادى، الفي تخصيص هذا البنك لتمويل التجارة الخارجية، وشجع على اقتحام عالم الاستثمار والسعى للاندماج مع رأس المال المحلى والأجنبي. ولعل ما يؤكد ذلك أن ميزانية البنك عن عامي ٨٤، ١٩٨٥ تثير إلى أن هذا البنك يشارك في تأسيس ٦٢ مشروعاً تغطى مختلف الأنشطة الاقتصادية، وتبلغ مساهمة البنك في هذه المشروعات ١٣٦٨ مليون جنيه في عام ١٩٨٥، كما تبلغ مساهمة البنك في هذه المشروعات ١٣٨٨ مليون جنيه في العام، كما قام البنك بالمساهمة في تأسيس بنوك مشركة في مصر مع اكبر البنوك العالمية، مثل ببنك تشيش الأهلى، والبنك الأهلى سوسيتيه جنرال، وبنك الائتمان الدولي»، وذلك كبنوك تجارية. كما شارك في تأسيس «الشركة المصرفية العربية الدولية؛ كبنك أعمال. وشارك في تأسيس بنوك في تأسيس «الشركة القابضة الأوربية العربية»، ومهمتها تأسيس بنوك فرعية، قامت بالفعل في بروكسل وفراتكفورت ولندن. كما شارك البنك فرعية، قامت بالفعل في بروكسل وفراتكفورت ولندن. كما شارك البنك فرعية، قامت بالفعل في بروكسل وفراتكفورت ولندن. كما شارك البنك فرعية، قامت بالفعل في بروكسل وفراتكفورت ولندن. كما شارك البنك فرعية ، قامت بالفعل في بروكسل وفراتكفورت ولندن. كما شارك البنك

- فى قيام «البنك العربى الأوروبى»، وقام بتأسيس شركات مصرية وعربية ودولية تعمل فى مجالات الاقتصادية ولسعة فى الخارج، مثل «الشركة المصربة للصلب».
- ١٠ بل إن ابنك مصرا، بتاريخه العريق في تمصير النشاط المصرفي خاصه والاقتصاد المصري عامة، قد شارك في تأسيس ثلاثة بنوك مشتركة، أهمها وبنك مصر الدولي، وهو بنك تجاري أنشيء بالتعاون مع بنك وفيرست ناشيونال سيتي، ومن عجب، أن بنك مصر قد التزم في عقد التأسيس، بنقل ملكية جزء من أسهمه إلى الشركات التجارية المسناعية التي السسها في الماضي قبل تأميمه، أي أنه التزم بالتخلي عن الأغلبية المطلقة التي يعتد بها في ملكية رأسمال بنك مصر الدولي وفي مجلس الإدارة، ونلك بالبيع للرأسمالية المصرية.
- ١١ كما تكر المؤلف أن ببنك فيصل الاسلامي، الذي يمتلك رأس المال السعودي أغلب أسهمه، أستحدث حق العميل في الاحتفاظ بحسابات سرية لا يسمح لأجهزة الرقابة العامة ولا البنك المركزي بالاطلاع عليها. كما أشار المؤلف إلى ما هو معروف ومتداول من أن المصرف العربي الدولي، خارج تماماً عن نطاق تطبيق القوانين المصرفة.
- ١٢ كما المح المؤلف إلى أن بعض البنوك تقوم بالاشتغال بتجارة العملة بالمخالفة للقانون، ومن ثم تحقق أرباحاً كبيرة.
- ١٣ ثم يقدم المؤلف دراسة حالة فريدة في بابها ، على اساس انها مثال واضح لتداخل الفساد البيروقراطي واندماج القطاع العام في قطاع الرأسمالية التابعة ، الا وهي حالة «الشركة العامة للبطاريات»، واندماجها مع «شركة كلورايد»، وأورد المؤلف كافة المحاولات التي بنلت لتطوير نشاط الشركة للتلاءم مع أوضاع الانفتاح.
- ١٤ وأخيرا يعرض المؤلف لعدد من الاقتراحات تؤدى فى رآيه إلى إقرار مشروعية القطاع العام والتسليم بدوره فى قيادة الاقتصاد القومى، وتذليل العقبات التى تقف فى سبيل نجاحه.

١٥ – ويطرح المؤلف في النهاية تساؤلاً ساخراً عن اسطورة نقل التكنولوجيا المتقدمة، وضرورة التخلى عن هذه الأسطورة، ويقرر أنه في ظل سنوات الانفتاح لم ننقل حتى الان شيئا عبقريا سوى التعلق المزرى بالملكية وشراه التملك والأنانية الراسمالية المبتذلة.

### مناقشة نقدية لأهم أطروحات الكتاب:

١٦ – بعد ما اسلفنا من عرض وجيز لأهم محتويات الكتاب، فاننا نعمد إلى مناقشة نقدية موضوعية، لأهم الاطروحات الرئيسية التي عرضها المؤلف في كتابه.

١٧ – وبالطبع، فلسنا بصدد مناقشة كافة الأفكار التي أوردها المؤلف، ذلك أننا نوافقه تماما على بعضها ، كما أن بعضها الآخر محل اتفاق كبير ، وبخاصة من منطلقات الديولوجية بعينها ؛ كما أن البعض الثالث من الأفكار تعد من قبيل الأفكار العادية ، بدون غض - بالطبع - من القيمة العلمية للمؤلف المقتدر والكتاب الذي نعرضه جميعاً .

۱۸ - ولعل أهم فكرة محورية عرضها المؤلف، عندما تناول دور القطاع العام في مصر في عهد الانفتاح، كقاعدة لتطوير الراسمالية البيروقراطية دنلك أن القطاع العام نتيجة سياسات الانفتاح يتحول لجاعدة لانتاج عناصر الرأسمالية مباشرة، من خلال تحول كبار العاملين فيه والمسيطرين على تقاليده إلى أصحاب ثروات رأسمالية بحكم مواقعهم داخل القطاع العام. ومن ثم يرتبطون عضوييا بالمجرى العام لتطور الرأسمالية، وبخاصة بالتعاون مع الرأسمالية الطفيلية .... بل ويسارع هؤلاء البيزوقراطيون إلى ربط القطاع العام برأس المال الدولي برباط التعاون وحتى المشاركة ... مما يشكّل في النهاية فئة بيروقراطية واسعة من كبار القطاع العام ومن هم على صلة بهم، وهي فئة تستند إلى الوظيفة العامة لحصول على دخول غير مشروعة، وتكوين ثروات طائلة عرفت من قديم باسم المال الحرام. [ص 12 من الكتاب].

١٩ - وهذه العقولة البالغة الأهمية التي أوردها المؤلف، ونقلناها عنه فيما
 سلف مباشرة والتي نوافقه عليها تماما، تستحق وقفة طويلة متأنية

لتقصى الأسباب التاريخية والمعاصرة التي جعلت – وتجعل – عدداً كبيراً من قادة القطاع العام من البيروقراطيين والتكنوقراط متنكرين لعرمم الوظيفي بل وللأمانة العامة التي وضعتهم امامها الدولة إبان خلقق وتطوير القطاع العام بعد حركة التأميمات الشهيرة. وفي تقديرها أن خلق القطاع العام كنتيجة مباشرة للتأميم الذي حدث في أوائل الستينات – وإن كان خطوة ضرورية من الناحيتين الأقتصاديلا والاجتماعية في محاولة إحداث تنمية مستقلة – إلا أنها كانت خطوة عجلي من حيث تدبير الاطارات الوظيفية اللازمة لادارة وتسيير وحدات القطاع العام في مجموعها. فخلق هذه الاجهزة الكبرى والهامة تم بقرارات فوقية بدون اعداد كافي لمن سيلون أمرها، مع ما لهذا الاعداد من أهمية قصوى في تخقيق الأهداف المتوخاة من خلق وانشاء هذا القطاع العام، بل أننا لا نعدو والحقيقة إذا قلنا أن كثيرا من المناصب القبادية في القطاع العام قد أسندت إلى غير اكفاء من النواحي الفنية والادارية، بل وإلى من هم ليسوا بعيدين عن موطن الشبهات من النواحي المالية.

٢٠ - ومن هنا فضحن نفرق - عن عمد - بين أمرين هامين:

اولهما - فلسفة وانشاء قطاع عام بغية إحداث تنمية مستقلة.

وثانيهما - رموز الادارة أو معظمهم في هذا القطاع المام منذ بداية انشائه . فنحن نزعم أن هذه القيادات - بعينها - كانت تضمر الإفادة من مواقعها الوظيفية بالقطاع المام ، كما نزعم أن معظم هذه القيادات لم تكن تؤمن بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية المتوخاة من إحداث القطاع العام ومن قرارات التأميم ، بل على العكس كانت تضمر شرا بالتجربة التنموية المستقلة كلها ، عندما تلوح الفرصة . لذلك فعندما كانت قبضة الدولة قوية كانت معظم هذه القيادات الفاسدة في حالة كمون كلى أو جزئى ، أو في حالة أقرب إلى حالة التقية وفقا للمصطلح كاسلامى .

٢١ - ولذلك فعندما ترنح النظام تحت وطأة هزيمة ١٩٩٧، بدأت تطل رؤس
 الفتنة، وبدأت الفوايا الشرية المضمرة لدى معظم قيادات القطاع العام

في حالة ترقب. وعندما حانت الفرصة بالانقلاب الحاد الذي حدث بتبنى سياسة الانفتاح، بل منذ ورقة اكتوبر تحديداً، فان قيادات القطاع العام أو بالأحرى معظمها قد تحركت بسرعة وبمهارة وبتخطيط وبعزم لتخريب تجربة التنميية المستقلة من خلال القطاع العام مستغلين مناصبهم الرئيسية في هذا القطاع بفي تحقيق ثروات حرام وفي ربط هذا القطاع بالرأسمالية الطفيلية التي كانت تنمو هي الأخرى في أحشاء المجتمع المصرى، وعلى الأخص بين متوسطى الملاك الزراعيين من أواسط الستينات. ولعل هذه الراسمالية الزراعية أن تتسم - في المقام الأول - بكل سمات التخلف الريفي التقليدي من جهة، كما تتسم بعدم الاستنارة وبالجهل وبالرغبة المحمومة في تعويض خسائرها التي مُنيت بها منذ بدايات الحقبة الناصرية.

٢٢ – ومن هنا فنحر وإن كنا نوافق المؤلف فيما ذهب اليه من تكون الرأسمالية البيروقراطية في القطاع العام منذ الانفتاح بعامة ، إلا أننا نعتقد أن البدايات الباكرة قد حدثت قبل تبنى سياسة الانفتاح بسنين عدداً ، وإنها كانت تكرينا جنينيا في رحم القطاع العام منذ انشائه تحدداً .

- Saleh, Saneya, 1986, Egyptian Women Law: Theory and Practice.
  Unpublished Material.
- Special Correspondent Report, 1985," Women and Violence". In Economic and Political Weekly, A Sameeksha Trust Publication, Vol. XX. no. 12. March 23.
- Susan, Edwards (ed.) 1985 Gender Sex and the Law. Croom Helm, London, U.K.
- United Nations, 1985, Seventh United Nations Congress on the Prevention of Crime and the Treatment of Offenders, Victims of Crime, the Situation of Women as Victims of Crime Report of the Secretary General. Milan, Italy: 26 August 6 September, Paragraphs 29 37, pp. 8, 9.
- Zaalouk, Malak 1976 "The Social Structure of Divorce Adjudication".

  M.A. Thesis, American University in Calro.

#### References

Al Ahram, 1986 - 1987.

Annual Statistical Book for Egypt, 1952 - 1983.

Fannon, Frantz, 1968, The Wretched of the Earth. Grove Press Inc., New York..

Harb, El Ghazaly, 1985, Istiqiai Al Maraa Fil Islam (The Independence of Women in Islam). Dar al Mostagbal al Arabi, Cairo.

Higazi, Mostafa, 1980, Al Takhaluf Al Igtimaii: Psychologeyat Al Insaan Al Maqhour (The Psychology of the Oppressed Individual in Under-developed Society). Beirut: The Arab Development Institute.

Memi, Albert, 1973, Portraft du Colonise. Petite Bibliothique Payot, Paris.

Mitchell, Alexander R.K., 1978, Violence in the Family. England.

Radwan, Zainab, 1982, El Nazereya Al Ijitimaeya Fil Fikr Al Islami, Dar al Maaref, Cairo.

#### Sabah El Kheir

-Sabek, El Sayyid 1985 Figh Al Sunnah (The Jurisprudence of the Prophet's Tradition) Part II. Dar al Thaqafa, Qatar. and offer some financial support when necessary. A number of such bureaus were visited and it was discovered that although the idea was potentially very progressive it was not sufficiently developed or given sufficient attention. Most of the bureaus are not adequately staffed nor are they efficient. Moreover they are very poorty advertized and hence very few people frequent them. The Ministry of Social Affairs has traditionally been headed by women. It has also traditionally supported women's Issues and appears to be the only source of formal and financial support to the family bureaus. It is here suggested that they be revitalized and reorganized to serve new functions in coordination with crises centers and shelters.

63 - As mentioned previously no shelters exist for battered wives yet in Egypt. Although a number of shelters do exist for divorced women, illigitimate children and migrant students. The present Minister of Social Affairs, a women, Dr. Amal Osman, has in September 1987 promised to establish the first crises center or shelter for battered wives in Egypt. The shelter will be set up in the district of Shubrah, a very poor residential area. It will temporarily receive women in crises situations and will be under the supervision of the Ministry of Social Affairs. It will be linked up to the family bureaus and will in addition have their own staff members formed of social workers, psychologists, lawyers and doctors. Moreover the centers will be linked to the "Productive Family Program" also under the auspices of the Ministry of Social Affairs. The program aims at training women to become productive and develop new skills.

- 60 One can only hope that sources of structural violence will whither away with increased development. However one cannot wait until such a time appears. Nor can one wait until societal and cultural norms condemn violence against women. Some practical steps need to be taken especially with victims having children and not knowing where to go especially that a lot of families do not encourage the return of wives and children home.
- 61 It is here suggested that more efforts be made to bring the phenomenon to public attention and also create statistical data. Moreover it is suggested that voluntary societies and associations concerned with women's issues provide temporary and/or permanent shelter and refuge for female victims of domestic violence.

#### Commitments, Policies and Programmes of Government to Overcome the Problem :

62 - The only existent institutional help given to women in trouble is through the family councelling bureaus. These bureaus were founded in 1961 and exist in every district of the capital Cairo and in every province. They are staffed by social workers, psychologists, lawyers and religious dignitaries. The bureaus are appendaged to the Ministry of Social Affairs. They are not yet recognized by the Ministry of Justice. The bureaus receive cases of family discord, marital conflicts, child custody, financial problems as well as psychic and other ad hoc problems. They offer wives councelling on legal and religious matters

31

- 57 The president of the parquet on the other hand believed that the source of all problems is women's insanity and uncouth behaviour. After the age of 35, according to him, women lose their peace and morality. They become involved in extramarital relations. Man can but be violent in such situations.
- 58 A young medical doctor expressed his disrespect for most of the battered women sent to him in the public hospital for a medical certificate. He indiscriminatingly accused them of lying claiming that some woman in fact deliberately wounded themselves in order to have a case against their husbands. He then mentioned the examble of a woman who came for a certificate for a case of forced abortion. Her husband had kicked her in the stomach causing abortion and the loss of her baby. The doctor's theory was that the woman was lying and probably carried an illigitimate child which she wanted to get rid of. The doctor refused her a medical certificate. Thus her sole piece of evidence was denied to her.
- 59 The social worker was of course quite sympathetic to victimized women being herself a sensitive women. However her societal role almost forced her into the traditional pattern of preventing family breakdown for the sake of the children. She herself described her role as being a painkiller. She simply temporarily soothed the aggrieved women but had no solution to offer in the long run.

is still not published and is a book on health, sponsored by Ford Foundation and written by a number of Egyptian women, with one chapter on forms of violence.

#### Official Attitudes Towards Wife Battering:

55 - It is obvious that attitudes of judges, magistrates and police officers towards battered or violated, abused women is part and parcel of the general societal attitudes towards them. Interviews of fifteen judges of a personal status court in Cairo revealed that to the judges women who came to court were nothing but prostitutes. They lied and were treacherous. They enjoyed violence and could not live without it. The reason why they chose to accuse their husbands is that they probably had a better suitor. (Zaalouk, 1976). A well renowned judge who dealt with cases of battered wives believed that women who were beaten were provocative women who did not abide by the teachings of fislam and tradition.

56 - The chief officer in the police station visted mentioned that the reason for present day family violence is women's irresponsability and rebellion. Women were deemed to be foolishly arrogant. They provoked their husbands. A man comes back home hoping to find the peace and calm he yearns for after a long day's work. Instead he is met by a nagging wife. How can he help but hit her. The real proplem has to do with all the siliv ideas about equality between sexes!!.

29

- 52 From a survey of the daily newspaper al-Ahram for a period of two months (July-August 1987) a number of crimes and acts of violence against women were depicted. These ranged from battering to rape, injury and murder. Although the reported incidents are meant to be objective accounts of facts, it is interesting to note that even such reports were blased by societal norms. For example a young female student who was raped by four men was reported not to have lost her virginity in the process, thus it appears it was aliright. Meanwhile a young American women was reported to have been raped, however after the investigations it was discovered that she was not originally a virgin. It is as though the latter fact was published to suggest that hence we should not sympathize too much with the victim since the fact that she was not originally a virgin meant that she was available anyway.
- 53 During Friday prayers at one mosque, the shaikh commented on the former case of rape concerning the young student who was kidnapped and raped in a middle class residential area, by suggesting that the young girl was to blame since she should not have been out in the street at that time of the night. The girl, it was reported, had been kidnapped before her house when her male cousin was walking her home after a family visit at 9 p.m.
- 54 With regard to education, no such programs exist on any institutional or informal level. The issue of wife battering or violence against women is totally neglected. The only work that has been done

Y17 28

50 - Moreover violence against women is almost always forgiven and allowed when the question of honour and chastity is at stake. Wife killing is accounted for in the law in cases of adultery.

#### Mass Media and Education:

51 - The Egyptian mass media, cinema in particular, is replete with the traditional scene where a man suspects a wife of infidelity, kills her or heats her. In the latter case even when the wife is innocent she will normally spend the rest of her years in grief and mourning and will always appear as the martyred mother seeking to ctach a glimpse of her children in the father's custody. Never is violence presented as a societal issue in its ugly form. It is rather more presented as part of everyday accepted behavior whereby the audience will only sympathize with the woman for being unjustly hit if she proves innocent, rather than hit at all. In such a general environment of accepting beating of wives, husbands will easily have a case against their aggrieved wives, by mentioning in court or before the judge that he was provoked by a wife who went out of the house without his permission and was sloopy in the household, in one such case when the battered wife took her husband to court, the latter beat her in the court. The judges were symathetic to the husband and simply attempted to calm him down. (1)

<sup>(1)</sup> A case reported by the social worker during a visit at the police station. The social worker normally follows the cases through, her job often involves home visits as well as accompanying women to court when necessary. But she mainly tries to advise women to mantain the family.

before court where judges will be responsible for the infliction of punishment.

49 - Culturally this has been translated to mean that men have the unconditional right to "educate" and punish their wives when the latter misbehave. Misbehavlour here ranges from verbal arrogance to inefficiency in housework. Most of the cases in the present study had ended up in reconciliation largely due to a number of societal pressures. The police aimed at reconciliation as well as social workers. judges and magistrates. Moreover the strongest source of pressure was the family. Reconciliation mainly signified that the wife drop the case totally and resume her marital life whilst the husband was not penalized and continued to inflate his male ego. In numerous cases, after the wife had filed a complaint at the police office, she would later do back and ask for the case to be dropped, as her family would not hear of it, nor would they support her or take her back in. Meanwhile during interviews with judges a number of them greatly expressed their distaste for the principle of penalizing a husband for beating his wife. In fact just recently the daily newspaper Al-Ahram reported that after one such case had appeared in court the husband protested against the application of the penal law number 58 of 1937 to wife battering since religion allowed for it. The judges accepted his defense and the case was postponed until the constitutional court revised the law and came to a decision. (1)

<sup>(1)</sup> Reported in Sabah El Kheir, August 13, 1987, No. 1649.

count are claimed to be extracted or inferred from the philosophy of Islam which seemingly allows for wife beating.

48 - According to Islamic philosophers, especially the more enlightened members of jurisprudence, the women's verse in the Ooran did indeed mention hitting wives but under very specific conditions and with very special significance. The use of physical reprisal in a marital relation is allowed when all other forms and understanding and communication fail. Husbands will first protest by verbally reprimanding behaviour that is unacceptable to them morally, socially and psychically. If the wife chooses to ignore the husband's protest,he will proceed to restrain from all forms of emotional and sexual relations. If again this fails he will express his deep and continued protest by hitting his wife with a tooth pick, as a symbol of his protest and which serves to show that the purpose is merely to ascertain protest and not to be cruel to ones wife. There are many Qoranic verses and savings of the Prophet which clearly forbid and curse cruelty to women generally and wives especially. (Sabek, 1985) . Moreover women may also protest against their husbands behavior by verbally protesting or seeking the help of relatives and finally by requiring that the husband be brought

<sup>(1)</sup> For an enlightened view of women's position in Islamic society see:

al-Ghazali Harb, The Independence of Women in Islam, and Zeinab
Radwan, The Social Theory in Islamic Thought (Dar El-Maaref, Cairo 1982)

against women are gender specific. They came as a result of universal hierarchical gender relations wherein men are in most societies dominat whilst women are subordinate. Women are being controlled sexually and economically (through labour and income). In the process of control women become the instruments through which the social system reproduces itself and through which oppression and inequality are maintained. Women in most undereveloped societies become the final link in the "trickling down effect" of violence. They are by definition weaker, inferior and subordinate.

- 46 Most cultures maintain a set of gender role expectations. These expectations appear rather similar in most societies regardless of the degree of development. Women are mostly expected to fulfill their roles as mothers and soothing laborious wives. Falling short of such role expectations appears as provocation calling for violent male reactions. (Edwards, 1985). Note the case of the two Ph.D. researchers afore-mentioned whereby the wife had asked the husband to participate in house-work.
- 47 In most Arab societies, women are especially oppressed and regarded as inferior to men. They are expected to obey their male masters. The oriental male mentality does not easily tolerate equality amongst sexes. Many of the societies norms and ideologies on that

discussed in the introduction of the paper. Men vented brutal behavior towards their wives for economic reasons which largely appeared as a function of the very difficult lives led by individuals in a developing country whose average per capita income in 1981/82 was in the order of 446.3 Egyptian pounds per annum (the equivalent of about 600 dollars per annum).<sup>(1)</sup>Economic oppression is practiced on many levels, note worthy housing and the standard of living all of which render the level of frustration fairly high amongst individuals and allow for a feeling of helplessness both of which are very important components of the violence formula.

44 - This is not at all of course to justify the phenomenon, but simply to point out to the structural dynamics of its manifestation. Apart from the political and economic objective conditions of violence, one needs to also look at general societal ideology and attitudes. In other words, why violence against women and to what extent is the phenomenon being tolerated?

#### **Community Response to Violence:**

### Cultural and Societal Ideologies Legitimizing Violence Against

#### Women:

45 - Whilst violence against women is perceived as a structural phenomenon which is indeed part of the general violence against oppressed classes, the forms of control and coercion exercised

<sup>(1)</sup> See Annual Book of Statistics in Egypt, 1952 - 1983.

in his account. When the wife refused the systematic battering began.

Another husband who was ill had asked his wife to sell her jewelry when the latter hesitated he beat her up. This cuts across classes.

- 41 Other husbands claim to be "provoked" by far too demanding wives. One husband brutally beat his wife, who was not working and demanded financial support for herself and her five children. The husband claimed she asked for too much. The wife had asked for fifty Egyptian pounds\* per month. An amount barely sufficient to feed one person. Another husband, a resarcher and Ph.D. in a Research Institute violently beat his wife leaving behind a number of visible marks because she had dared to ask her husband to lend her a helping hand in the housework as she was also a Ph.D. and researcher.
- 42 The phenomenon of economic exploitation and abuse of wives was not specific to a single class, but rather cut across all classes. The manifestation of the specific incidence however varied by class.
- 43 Generally speaking very few cases appeared as cases of individual violence due to alcoholism or personality problems. Most of the cases appeared as the result of structural violence in society earlier

<sup>\*</sup> The equivalent of about 20 U.S. dollars.

- 39 Another fairly widely spread underlying cause for abuse occurred when several of the husbands had been beating their wives in order to end a relationship in such a way as not only to avoid divorce expenses and financial obligations, but also to gain control of the marital home. The housing problem in Egypt is so very acute that many couples indulge in violence over the flat. Couples may be quite sure that the continuation of marriage or cohabitation is impossible yet they will continue to live together and indulge in violence hoping to lead one of the partners out, usually the wife. The recent Edyptian personal status law had allowed mothering wives having the custody of the children to reside in the marital home in the case of divorce. A young housewife who had been battered by her husband, complained at the police station and yet was determined to continue cohabitation in the same flat even though her hasband had repudiated her. According to the middle aged social worker this is not an uncommon situation in the Egypt of today. This syndrome is mainly a middle and lower class one.
- 40 On the other occasions in the various reported cases husbands had been beating their wives for straight forward financial reasons, i.e. they wanted money off a richer wife. This was the case of a school teacher who had made some money in Arab countries and whose husband claimed that according to social norms she had no business having a separate bank account but should place her money

tensions. In the following I will attempt to highlight some of the reasons reported by the victimized women and the social worker. I will also attempt to correlate the reasons to the couples social class. No generalizations can here be made as the sample is yet fairly small. One can only make allusions to indicators of wider trends.

- Personality problems: This was a terribly rare cause.
   Only recurring, when the husband suffered from impotence.
- II Love stories and jealousies: This featured as a very minor cause for battering and normally occurred between young couples, students in particular. Violence was in most such cases mutual even though it was the wife who filled the complaint. This is mainly a middle class syndreme.
- Polygamy: On several occasions the husband had indulged in beating his wife simply because he wished to marry another and hoped the first wife would be intimidated by repeated assaults and so petition for divorce. In the latter case the husband had everything to gain since he in the first place wanted a separation, and yet did not wish to pay alimony and all the various financial obligations that accompany divorce. This appeared as a fairly prevalent pattern and cut across classes.

that not only uneducated lower class women came to the police station, but also some of the new emerging classes that emerged with the infitah or open door economic policies, several examples were given of small scale businessmen and import/exporters as well as commercial agents, who battered their wives. Moreover university professors were included, military officers, pilots, shool teachers, unemployed, plumbers, jewellers, government employees, university students and lawyers.

- 36 Some of the victimized were unemployed housewives, others worked in professions ranging from school teachers, government employees, lawyers, medical practitioners and university students.
- 37 it therefore, appears that the phenomenon is not specific to a single class nor to non-working housewives. However, the causes of violence it appears vary with class.

#### Reported Causes of Battering:

38 - In most Western studies the causes of violence are related to psychological personality problems in the form of sadomasochistic relations or heavy drinking and alcoholism on the part of the husband. (Mitchell, 1978). In the case of Egypt most of the reasons for domestic battering could be traced back to economic reasons and stress situations from the increased oppressive quality of life and the general

responsibles at the police station, it is indeed a factor to be contended with

#### Class Origins of the Battered Women

33 - According to the officers at the police station and the social worker, most battered women who complained legally were lower class. Middle class women were, according to them, normally far too shy to reveal their turmoiled family life publicly. They are usually much more prone to bear with it. Lower class women will not only complain in court, but will themselves attempt to physically retailate. Officers are not terribly sympathetic to these types of lower class women.

34 - It is however the opinion of the president of the parquet that wife battering occurs at all levels of the society and mostly amongst the educated. His belief is that the major courses behind battering are: a) economic crises including the emigration of labourers to Arab countries which causes family problems and allows for adulterous wives, and b) the ascending liberation of women's movements which he referred to as 'rebellious behavior'.

35 - From the cases examined in the present study it appears

<sup>(3)</sup> Information obtained through interviews during the various visits to the police station, in October/November, 1986.

the parquet and the social worker, almost all the cases end up in reconciliation. One officer observed that in some cases the wife will have filed numerous complaints and will have been battered by her husband over an extened period. However the minute an apology is made the legal process is interrupted by the aggrieved wife. Rare are the cases when retallation is insisted upon by the wife. Even more rare are the cases when husbands have actually been imprisoned. Although some studies very definitely point to the fact that punishment by imprisonment was found to act as preventive element in continued battering by husbands. (Edwards, 1985, p.205).

32 - As in other societies, in Egypt the role of the police and legal system generally has been one of "Peace Keeping" or mediator. Except on extremely rare occasions when it has been deemed necessary to take harch measures against the aggressor. On one occasion the president of the parquet insisted to imprison the aggressor for he had not only battered his wife, but had in the process injured his 3 year old daughter. (1) On another reported case, a husband had been sentenced to one year in jail after publically slapping his upper class wife at work. (2) The last incidence might lead one to ask is class here a relevant factor in the types of punishments inflicted? According to discussions with

<sup>(1)</sup> This case was dug up during a visit to the police station.

<sup>(2)</sup> Case reported in Al-Ahram daily newspaper, Tuesday: October 14th 1986, p.5.

28 - Upon arrival to the police station a young officer will attempt to first appease the women and advise her to reconciliate. If she accepts he will refer her to the social worker at the police station. If she refuses and adamantly insists to go through all the procedures the complaint is filed and the aggrieved person is required to go for medical check-up to examine the gravity of the assault.

29 - Once the report is finalized and medical check-up completed the aggrieved is referred to the "Parquet" for investigation. No witnesses are required. The aggrieved's statements and medical check-up are sufficient evidence. Once again the aggrieved may relinquish her accusation or choose to push it further to court. If she decides to relinquish her case the president of the parquet or various other magistrates will suspend the case or choose to send it to court in which case the judge will not pursue the case.

30 - If however the aggrieved or victimized wife decides to pursue her case it may then either be finalized and decided upon at the investigation level or it will go for a court session. The parquet is an investigating authority which may be authorized to keep the accused in custody until the case is observed in court.

#### Outcome of Legal Procedures:

31 - According to the police officers, magistrates, president of

Article 242 states that inflictors of beating not causing any of the above mentioned harm will be imprisioned for not more than a year and will be charged with a fine not less than ten pounds and not exceeding 200 Egyptian pounds. If in the act of beating, weapons, sticks or tools are employed causing injury, the aggressor will be imprisoned. (1)

26 - Another law dealing with injured and or battered wives, is the personal status law, allowing women the right of divorce on the grounds of harm inflicted upon them by their spouse. Harm being here either by word or deed. Once the wife has proved the injury she may want to sue her husband in court and also petition for divorce. (Al-Attar 1985, pp. 202 - 208).

#### Legal & Police Procedures Followed by Aggrieved Women:

27 - The very first step taken by a woman who wishes to end her husband's violent behaviour, short of family intervention and negotiation, is to file a complaint in the nearest police station. Most of the cases studied in the pilot survey had been advised to go to the police station by friends and neighbours. The afore-mentioned survey on legal consciousness seems to indicate that more and more women are becoming aware of legal protective channels.

The Ministry of Justice, Law No.58 for the year 1937. The Penal Code and its Amendment

eager or keen to perform its role as a source of support to the wife. Rather women who have been violated against are very often faced with situations where they are let down by the family or advised to accept this form of socially accepted behavior. Especially poorer families are most unwilling for economic reasons to care for their battered daughters and children. In urban areas battered women are more and more supported emotionally by friends and neighbours. (Zaalouk, 1976)<sup>(1)</sup>

#### Legal Provisions:

25 - The law protecting battered wives is the Penal Code no.58 of 1937 and its later amendments, which does not particularly deal with the phenomenon, but is concerned with the act of beating generally in society. The measures are found under the third book entitled Crimes & Misdemeanors Directed Against Individuals, chapter one on Killing, Injuring and Beating. Articles 240-243 deal with the Act of Beating. Article 240 stipulates that aggressors causing permanent disablement as a result of beating and or violence shall be sentenced to prison for a period of from three to five years. Article 241 stipulates that inflictors of physical pain or beating causing incapacity for a period of 20 days shall be imprisoned for not more than two years, or shall pay a fine of not less than 20 Egyptian pounds and not more than 300 Egyptian pounds.

in the Study on Divorce Cases Brought to Court, it appeared that female
 itioants not most of their support from friends and neighbours.

officers who have been in charge of such cases over periods of 10 - 15 years claim that the incidence of reported wife battering are increasing. Moreover, the president of the parquet also stresses the increasing incidence of reported cases. Now of course this may be a sign of the diminishing tolerance of women for behavior of this kind in society, we are only left with the impressions of those active in the legal and police machinary.

- 22 Meanwhile judging from divorce petitions presented to one of the major Cairo personal status courts, quite a large number of women greatly suffered from physical violence and illtreatment. (Zaalouk, 1976). Meanwhile in a recent survey conducted upon 118 working urban women, on the extent of legal consciousness, the majority of the women seemed to want to include within the marriage contract a clause requiring that husbands treat their wives well. (Saleh, 1986). This may be taken as an indication of the normal state of affaire being ill treatment.
- 23 "fraditionally of course battered women had recourse to their families as the sole support system available. This continues to be pretty much the case in the country-side. However in the city there are signs of change.
  - 24 The traditional family, for economic reasons, is no longer

the practice is fairly widely spread.

- 19 In a number of Western societies as well as few non-western societies, India being in the forefront, societies have been established to protect or aid battered wives. These societies provide shelter and councelling for these women suffering in isolation and seeking help. Walking out on a marriage for reasons of economic and emotional dependence may often appear far more impossible than coping with and tolerating physical violence. Thus women very often are in dire need of counselling emotional and psychic support, as well as shelter for themselves and children. In the West it has been discovered that those women seeking help are far less interested in retailation against aggressive violent husbands than they are in finding a safe place to start a new and sane life. (Mitchell, 1978, pp.73 74).
- 20 In Egypt it was discovered from this research that violence produces great family disorders, particularly with regard to children, since women and children in the absence of shelters and crises centers, are often forced to remain in very violent environments for all their lives.
- 21 In Egypt no institutions exist to accommodate battered women. Although statistics on the matter are generally absent there are a number of indicators that seem to point to the increase. Police

Commission on the Status of Women at its thirtieth session adopted resolution 1984/14 in which it requested the Secretary-General to convene a seminar of experts on family violence, "taking into account what may emanate on this subject from the Seventh Congress...... with a view to making recommendations to combat this abuse" - In this connection, the attention of "he Congress is drawn to the recommendations and resolutions of the International Seminar on Violence in the Family, convened in 1983 by the Aliance of Non-governmental Organizations on Crime Prevention and Criminal Justice in cooperation with the Secretariat.

18 - Domestic violence emcompasses a range of abuses that occur in house-hold or community settings. These include physical violence or force by a spouse or partner in a consensual union, which in its more serious forms almost always occurs against a female victim. Many legal systems and cultures have long permitted the physical chastisement of wives and female dependants by men. Many marriages involve serious or chronic violence, and in fact coerced sexual relations and sexual abuse are far more common inside than outside marriage. In one country, according to the secretariats's survey data. Although no data were available from which to deduce the exact extent of wife assault, it was estimated that 1 in 10 women were married or involved in a common law relationship were physically battered. (U.N. 1985, pp. 8 - 9). Other statistics collected from Western society indicate that

i 1

27.

- 15 The term battered wives was coined during the seventies to draw the attention of society to the fact that women or adult females are also victims of beating just as children are. In fact often times both women and children become simultaneous victims.
- 16 Wife battering has caught the attention of many non-governmental associations both on the national and global level, and for good reasons. "Violence in the family has been identified by international bodies as a problem that requires urgent attention. The mid-decade world conference of the United Nations Decade for Women adopted resolution 5 on battered women and violence in the family, in which it was stated that violence in the home and in the family as well as in institutions, and in particular physical, sexual and other forms of abuse of women, constitutes an intolerable offense to the dignity of human beings as well as a grave problem for the physical and mental health of the family as well as for society.
- 17 The regional preparatory meetings for the Seventh Congress, the Committee on Crime Prevention and Control at its eighth session and the Interregional Prepartory Meeting on Victims of Crime emphasized that domestic violence should be considered by the Seventh Congress under the topic "Victims of Crime". Furthermore, the Economics and Social Council, on the recommendation of the

the social worker in charge of dealing with domestic violence. She had been on the job for nine years and served as my key informent. Several police officers were interviewed on various procedural statistical and attitudinal matters. The parquet of the same district was visited and magistrates interviewed. Judges dealing with such cases were also interviewed as well as various specialists working in family councelling bureaus.

#### The General State of the Art:

14 - The present study which is a very first attempt in this very dark and obscure area of domestic violence is of course very preliminary and wanting in hard facts. A major shortcoming of the study is the absence of statistics on the matter. The violent act of beating in society is generally classified in police stations as general beating. Hence statistics on the specific act of wife battering, although not totally impossible, would require mammoth efforts. It would basically mean going through all the records hoping to recognise from the report when the beating involves spouses. This exercise is not certain to be successful as the records do not specify kinship relations. Nevertheless statistics are a very important need if studies in that field are to be of any significance or avail. Meanwhile no study exists to the knowledge of this author on the topic. Moreover, whilst family councelling bureaus do produce statistics on family conflicts, they do not specify if they are violent or mild ones.

Interrelated. Such forms vary from baby battering, to child neglect and abuse, to school refusal where children vehemently refuse to go to school and thence become the subject of parental violence, adolescent violence in the home, violence between spouses to sexual violence. (Mitchell 1978, pp. 57 - 82)

- 12 This paper is an attempt to deal with one of the least easily dealt with forms of violence in the home, namely wife beating. This form is very diffivult to tackle due to the very loose legal definitions, the secrecy surrounding family matters and all the various societal norms, the prevailing ideological beliefs and attitudes regarding women's duties and obligations, men's rights and privileges and the various justifications used which center around women being regarded as socially pathological. The paper will place the act of wife beating contextually. Le. within Egyptian society which differs from Western society on a number of levels. The differences will at times be reflected in the phenomenon of battering. We shall attempt to refer to the cultural differences as we go along.
- 13 The present paper is based on a preliminary pilot study of 50 cases of battered wives reported in one of Cairo's police station, over a period of nine months. The police station is situated in a Cairean district which combines a number of residential areas representing different socio-economic conditions. The cases were examined with the help of

are left with discrimination and aggression generally. (Higazi, 1980, pp. 184 - 186)

- 9 Underdeveloped societies are characterised by disharmony and lack of equality between the power structure and the masses. Such a state of affairs has a "trickling down" effect upon all forms of human relations. So that in the final analysis even love and sexual relations are oppressive.
- 10 individuals in underdeveloped societies live in a reality of terror and oppression and unsettling feelings. Violence becomes a way of life both in its obvious and latent forms. The inequality of relations generally an important of violence has a trickling down effect upon all wakes of societal life and becomes further magnified on the family level, where the clear physical inequality of dominant males and submissive women and children become the chosen stage for daily violent activity. (Higazi, 1980, pp. 202 206)

#### 11 - Domestic Violence:

Violence as a result of all the above is expressed from within the family. It is the "tricking effect" of the broader society, it reflects tense and unnatural power relations where the victims as in the broader society feature as the weakest and most opressed. Forms of family violence have varied although most studies will tell us that they are

277

structural for it is a reaction to a system which thrives on the political and economic oppression of individuals and social injustice, both of which are integral component of underdevelopment.

- 7 Violence in undereveloped societies takes on many forms and shapes. It may be passive at times, disguised at other, or even symbolic when individuals choose to direct their violence against the breaking of societal laws and norms. Violence may be outer directed or inner directed if and when individuals choose to direct their violent acts to themselves or those very close to themselves. Moreover, violence may take on an existential dimension, i.e. it may be a general way of life whereby individuals under constraint threat and permenent tension enter into oppressive and discriminatory relationships. (Higazi, 1980, pp. 173 179)
- 8 The individual in underdeveloped societies who has greatly suffered from chronic and systematic violations of his rights as a human being will not hesitate to perpetuate the system by violating the rights of others. The world of underdevelopment resembles a jungle, it is full of wolves who are constantly alert to possible violations and attacks upon their human rights even when the general atmosphere appears on the surface to be calm and complacent. The truth of the matter is that the type of relations born in such an atmosphere are tense, oppressive and discriminatory. Understanding and sympathy are absent. Instead we

psyche and personality make-up of the Algerian after the liberation war and the nature of the violence experienced is similar to the personality type of the American side street rapist or underground aggressor. (see Fanon, 1968. and Meml, 1973). Nor is it likely that families living in Refugee camps, under inhuman conditions, experience the same forms of violence as those families living in an environment of peace and development.

#### Violence in Third World Underdeveloped Societies:

- 5 In underdeveloped societies violence takes on a specific form, structure and meaning. Violence in such societies is by and large more intense and wide spread, even in its latent forms. It certainly carries a very high component of frustration and humiliation. Violent behavior in underdeveloped societies is the very last resort man will have recourse to for purposes of survival. It is a weapon used by subservient humiliated individuals who seek to remedy societal distortions, structural oppression and to regain self esteem. Violence is normally employed when individuals feel threatened and when normal dialogue appears dysfunctional. It is a last resort when individuals know for sure that their voices will never be heard save through violent action.
- 6 Violence in such a society is akin to underdevelopment, it is the other side of the coin, it is born with oppression. Violence is here

which are non-physical or simply the threat of violence. We must keep in mind that violence may simply be a structural atmosphere, or may be inflicted upon the brains of a human being or his emotions without having re-course to the physical. Thus another definition of violence which appears slightly more adequate and useful is that "Any Individual or group is subject to violence when it faces the threat of coercion or is disciplined to act in a manner required by another individual or group". (1)

- 3 Acts of direct violence, or the mere externalisation of violence through physical assaults may simply be the symptom of deeper violence which its within the social structure, in other words it is not enough to define violence or describe it, but it is equally important to dig up some of its components. Violence is to do with frustration, oppression and competition over very scarce resources. Frustration under pressure and oppression is one of the important components of the violence formula along with other components which may not be all that structural, i.e. have more to do with the individual personality component. Violence, unlike simple aggression, has to do with destruction, which is another component of the violence formula. It is excessive aggression which alms at destruction.
- 4 Violence is world wide. It is a universal phenomenon. However it varies in accordance with local conditions, both in its form and intensity. (Mitchell, 1978, Preface), it is quite unlikely that the

<sup>(1) &</sup>quot;Women and Violence", p. 491.

# Violence in the Family The Case of Wife Battering in Egypt Malak Zaalouk

#### On the Concept of Violence Generally:

1 - The concept of violence may be defined in various ways. It may be defined narrowly or very broadly. The act of violence must be distinguished from that of mere aggression. While an acceptable amount of aggression is a normal state of affairs, violence on the other hand is not. Broadly and generally speaking violence may be defined as any state of exploitation within which any relationship of domination and subordination is defined as a violent one. On the very narrow end of the definition violence might be confined to very specific acts of physical violence. Both extremes here are not very useful or adaquate. Other definitions take a semantic position, hence the Chamber's Twentieth Century Dictionary defines violence as excessive, unrestrained or unjustified force, outrage or injury. Webster's Dictionary defines violence as the act of moving or acting characterised by physical force, especially by extreme or sudden, or by unjust and improper force. (Mitchell, 1978, p.11)

#### 2 - All the above definitions seem to exclude forms of violence

Ph.D, Sociolgy. Expert, The National Center for Social and Criminological Research, Cairo.

Special Correspondent report "Women and Violence" in Economic and Political Weekly, a Sameesksha Trust Publication, Vol. XX No. 12, March 23, 1985, p. 491.

## The National Review of Social Scienes

Vol. 26 January 1989 No. 1

#### Contents

#### in English:

Violence in the Family: The Case of Wife Battering in Egypt.

Malak Zaalouk

#### In Arabic:

The Egyptian National Character

Ahmad Zayed

The Press and the Open University

Nagwa Hussain Khalil

The jordanian Society in the Folk Songs

Ahmad al - Rabalaa

Dialectical Materialism

Ibrahim al - Issawi

Conferences

**Dissertations** 

Book - reviews

## The National Review of Social Sciences

# The National Center for Social and Criminological Research

Zamalek P. O., Cairo, Egypt

Editor in Chief

Ahmed M. Khalifa

Assistant Editor Ezzat Hegazy

#### Correspondence:

Assistant Editor, The National Review of Social Sciences, The National Center for Social & Criminological Research, Zamalek P.O., Cairo, EGYPT.

Price:
US \$ 5 per issue
US \$ 10 per volume

# The National Review of Social Sciences

# Issued by

The National Center for Social and Criminological Research Cairo

#### CONTENTS

In English:

Violence in the Family: The Case of wife Battering in Egypt

In Arabic:

The Egyption National Character

The Press and the Open University

THe Jordanian Society in the Folk Songs

Dialectical Materialism

Conferences Dissertations Book Reviews

